عبد الله إمام

چيهان

سيدة مصر الأولى والأخيرة



عبد الله إمام



١٩٨٥

عفــوا ...

عفــوا ...

انها هى التى اختارت لنفسها أن تكون شخصية عامة .
تراس الاجتماعات ، وتصــدر التعليمات ، وتعطى الاوامر ،
وتتفاوض باسم البلاد .. وتدلى بالاحاديث .. وتصدر الكتب
... انها هى التى دفعت بنفسها الى معترك السياسة ...
تهاجم ، وتدافع ... تنقد وتمدح ... لها رأى مسموع فى كل
الامور ... وفى كل المناسبات ... تحكم علنــــا ومن وراء
الســـتار ...

انها هى التى رأست الوزراء وتقدمت المسئولين ، وتابعها
الصحفيون ، وسافرتممثلة لمصر ، متحدثة ، متفاوضةباسمها
تصدرت صور تحركاتها نشرات الاخبار كأهم أحداث فى الدولة
وأهم أنشطة لها ...

عفــــوا ...

انها هى التى رات آلا تكتفى بدور زوجة الرئيس ، فقفزت
الى دور المشاركة فى الحكم ... وفى السلطة ، وعليهــا ان
تتحمل نصيبها من المسئولية ... حتى ولو كان دورها لايستند
الى أى تشريع أو عرف ... فالناس يعرفون انها كانت أقوى
من التشريع ، ومن العرف ... ومن كل الذين جاءوا نتيجــة
جهد وعمل ... ومثابرة ...

انها هى التى أطلقت على نفسها اسم السيدة الأولى ...

لم تعرف مصر قبلها سيدة أولى ... عرفت ملكات ...
وزوجات لرؤساء لم يشاركن جميعا فى حكم ، ولم يبدين رأيا ،
او يظهرن فى الصورة ...

عفــــوا ...

انه لابد من انصافها بأن نقول أن تطلعاتها الى الشهرة ،

والى ممارسة العمل العام كانت سابقة على تولى زوجها حكم مصر ، وقد سبب ذلك لها ولزوجها فى الماضى متاعب ، ولكنها استطاعت أن تعوض كل شىء عندما اصبحت السيدة الاولى فكان لها أكثر مما للسيدة الاولى فى اى مكان من العـــالم من حقوق ... وامتد نفوذها الى كل المواقع ... وكل الاعمال ، وامتدت سيطرتها الى كل المسئولين ..

فهى التى دخلت الميدان بارادتها ومازالت رغـــم زوال السلطان تحاول أن تتشبث به ...

عفـــوا ..

هذه صفحات من تاريخ سيدة أسمت نفسها الســـيدة الاولى .. وستكون الاخيرة لانه ليس متصـــورا أن يأتى فى تاريخ مصر من تفعل مثلما فعلت ..

عفـــــوا ...

ليس المقصود أى مساس بحياتها أو شخصيتها ، فقد نأيت عن كثير من ذلك ... فقط أكتفى — الان — بان أعرض لبعض من الجوانب البارزة من أنشطتها وحياتها ومصدرى الأساسى شهادتها .. هى وزوجها ... ومن حولهما من الحاشية ... ومن الاصدقاء ... والمقربين ... وكتابات الصحفيين ... والوقائع المنشورة ... فقط مهمتى كانت الجمع والرصد .. لتذكير الناس ... ولتبقى كل الوقائع مجمعة أمام الـــذين سيكتبون التاريخ أو يطلون يوما على تلك الفترة ليعرفوا كيف كانت تدار الامور .

عفـــوا ...

لقد أردت فقط ان أضع أمام الذين سيقراون ذات يوم قريب مذكراتها ... جوانب يعرفونها ... وربما ضاعت فى زحـــام الأحـــداث .....

« عبد الله امـــام »

الملكة شجرة الدر ...

يميل كثير من المثقفين الى عقد مقارنات بين السيدة جيهان صفوت رعوف ، والملكة شجرة الدر ... ليس فقط لان كلتيهما كانت الزوجة الثانية ، ولا لان كلا منهما حكمت مصر من وراء ستار الزوج ، ولا لان كلتيهما قد مات زوجها مقتولا ، ولا لان واحدة تسلطنت جهارا ، والاخرى كانت سلطانة فى الظلام ، ولكنهم يرون أوجها كثيرة اخرى للشبه بينهما حتى يرى البعض انهما أصل وصورة مع اختلاف الظروف ... وكانت شجرة الدر جارية تركية مسيحية الاصل ، اشتراها الملك الصالح أيوب ، واستطاعت أن تلفت نظره بجمالها ، فتزوجها وانجب منها ولدا ذكرا واحدا ... وكان قد تولى الحكم فى أعقاب مؤامرة على أخيه الحاكم .. أبعد فيها أخاه ، ولكنه خلال حكمه أصر على أن يغتال أخاه ليخلو له الجو تماما .

أما قصة شجرة الدر ، فان خير من يرويها هو المؤرخ المعاصر ابن اياس بأسلوب ذلك العصر حيث يقول عن الملك الصالح نجم الدين زوجها انه « لما تم أمره فى السلطنة أخذ فى تدبير ملكه ، واستكثر من مشترى المماليك الاتراك » .

وهو أول من جلب المماليك الأتراك الى مصر ، حتى ضاقت بهم القاهرة ، وصاروا يشوشوا على الناس ، وينهبوا البضائع من على الدكاكين ، فضج الناس منهم ، وكثر الدعاء على الملك الصالح بسببهم .

اضطربت أحوال الديار المصرية لعظم هذه البلبلة ، ثم جاءت الأخبار بأن الفرنج ملكوا ثغر دمياط ، وسبب ذاك أن نائب دمياط

خاف على أهل المدينة ، فهرب هو واياهم تحت الليل ، وترك ابـــواب المدينة مفتوحة ، فلما أصبحوا الفرنج وجدوا ابواب المدينة مفتحـــة ، ولا فيها احد من الناس ، فظنوا الفرنج أن ذلك مكيدة من المسلمين .. فتمهلوا حتى ظهر لهم أن ماقى المدينة أحد من المسلمين ، فدخلوا اليها من غير مانع وملكوها .

ثم أن الملك الصالح خرج من القاهرة ، وهو عليل فى محفة ، وخرج معه السواد الأعظم من أهل مصر ، وحضر عربان الوجه القبلى ... وعربان البحيرة وعربان الشرقية ، فاجتمع معه نحو عشرين ألف مقاتل خارجا عن المشاه .

فلما وصل الملك الصالح الى المنصورة ، أمر بشنق نائب دمياط ومعه جماعة من الأمراء الذين كانوا بدمياط ، فشنق فى يوم واحد نحو خمسين أميرا بسبب خروجهم منمدينة دمياط ، بغير اذن السلطان . فلما فعل ذلك ، نفر عنه فلول العسكر ، وقصدوا الوثوب عليه‌هناك وهو فى الخيمة ، فأشار بعض الامراء بترك ذلك وقال : « ما هـــذا صواب فى هذا الوقت .

ثم صار القتال عمالا بين المسلمين والفرنج ، وقتل من الفريقين مالا يحصى عددهم ، هذا والسلطان الملك الصالح كل يوم يتـــزايد فى المرض ، وامتنع عن اجتماع الأمراء به ..

فلما كانت ليلة الأحد رابع عشر من شعبان ، سنة سبع وأربعين وستمائة ، توفى الملك الصالح نجم الـــــدين أيوب بن الملك الكامل محمـــد .

فلما مات بالمنصورة ، كتم موته خوفا من الفـــرنج أن يطمعوا فى أخذ الديار المصرية ، فحمل الملك الصالح فى زورق تحت الليل ، وجىء به الى قلعة الروضة فدفن فى تلك القلعة المقدم ذكرها ، فدفن بها مدة ثم نقل من بعد ذلك الى القبة التى بجوار المدرسة الصالحية ، فدفن بها ، فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ، تســـــع سنين وسبعة أشهر وأحد عشر يوما .

فلما مات الملك الصالح ، كتم موته عن العسكر ، فكانت المراسيم تخرج كل يوم بعلامة السلطان ، فلا يشك من يراها أنها خط الملك الصالح ، وكانت الأمراء تجتمع فى المواكب ، ويظهرون أن السلطان مريض ، وكانت الأطباء تدخل على جارى العادة كل يوم ، وكــذلك طبق الزوار ، يدخل فى كل يوم على العادة ، والقصاد رايحة جيا من المنصورة الى القاهرة ، ولا يعلم احد بموت الملك الصالح .

أما مغيث الدين توران شاه فهو الثامن من ملوك بنى أيوب بمصر بويع بالسلطنة بعد موت أبيه ، فى مستهل محــرم ، افتتاح عام ثمان واربعين وستمائة وكانت ولايته بعد موت أبيه بأربعة أشهر .

فلما تسلطن نودى باسمه فى العسكر بالدعاء للملك المعظم توران شاه ، والترحم على الملك الصالح نجم الدين ، فلبس شــعار الملك بالمنصورة وتلقب بالملك المعظم ولما أبدى انه يريد التخلص من شجرة الدر اتفقت مع المماليك البحرية لقتله نظير مائتى دينار لكل واحــد ، والأمراء كل واحد بألف دينار .

وكان توران شاه أهوج رهاج ، عنده خفة زائدة ، فكان اذا سكر يصف الشموع الكبار بالليل ، ويأخذ السيف بيده ، ويضرب به تلك الشموع ، ويقول « هــكذا افعل بالمماليك البحــرية اذا دخلت القاهرة » . . . فلما بلغ مماليك أبيه ذلك أضمروا له السوء ، وتغيرت خواطرهم عليه ، فلما كان يوم الاثنين تاسع محرم سنة ثمان وأربعين وستمائة ، جلس الملك المعظم توران شاه فى موكبه والأمــراء بين يديه وكان أمر رءوس النواب بأن يقفوا قدامه بعصى ، وهى ملبسة بالذهب فى أوقات المواكب .

فلما انفض أمر الموكب ، حضر السماط ، وجلس السلطان على عادته بصدر السماط فلما جلس تقدم اليه جماعة من المماليك البحرية وبأيديهم السيوف ، فضربوه على يديه قطعوها . فقام وهرب ، ودخل الى ذلك البرج الخشب الذى على شاطىء البحر واغلق عليه الباب فأطلقوا عليه النار ، فخرج من البرج والقى نفسه فى البحر وصــار

يسبح فيه ، والنشاب يأخذه من كل ناحية ، وهو يقول : « خـــذوا ملككم ودعونى أرجع الى حصن حيفا » ، فلم يغثه أحد من العسكر الذى حضر معه .. فلا زال على ذلك حتى قتل وهو فى البحر ، فمات حريقا غريقا قتيلا ، ثم دفن فى بعض شطوط البحر ولا يعلم له قبر .

ولما قتل توران شاه ، رجع الامراء والعسكر الى القاهـــرة ، وطلعوا قلعة الجبل وضربوا مشورة فيمن يولوه السلطنة من الأمراء والعسكر فاتفقوا على تولية شجرة الـــدر زوجة الملك الصـــالح نجم الدين أيوب ، وأن يكون الأمير أيبك التركمانى مدبر المملكة معها فتحالفوا الأمراء على ذلك ، وسلطنوا شجرة الدر وهذا أمر غريب لم يقع قط بالديار المصرية .

● ســــــلطنة شجرة الـــدر :

كانت تاسع من تولى السلطنة بمصر من جماعة بنى أيوب ، فلما وقع الاتفـــــاق على سلطنتها ، حضر القـــاضى تاج الدين بن بنت الاعز ، وبايعها بالسلطنة على كره منه .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لما تولت شجرة الدر على الديار المصرية عملت فى ذلك مقامة ، وذكرت فيها ، بماذا ابتلى الله به المسلمين بولاية امرأة عليهم . وكانت سلطنتها يوم الخميس ثانى صفر سنة ثمان واربعين وستمائة والبسوها خلعة السلطان ، وهى فندورة مخمل مرقومة بالذهب ، فباس لها الامراء الارض من وراء الحجـــاب .

فلما تم أمرها فى السلطنة ، أنعمت بالوظائف السنية عــــــلى الأمراء ، وفرقت الأقاطيع الثقال على المماليك البحرية ، واغـــدقت على الجند بالأموال والخيول حتى أرضت الجميع الكبير والصــــغير منهم بكل مايمكن ، وساست الرعية أحسن سياسة .

وكان الأمير أيبك التركمانى مدبر المملكة ، لكن كان لا يتصرف فى شىء من أمور المملكة الا بعد مشورتها ، وكانت عــلامتها عــــلى المراسيم بخطها : « والدة خليل » وكانت الخطباء تخطب باســمها

على منابر مصر وأعمالها وتقول بعد الدعاء للخليفة : « واحفظ اللهم الجهة الصالحية ، ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ، ذات الحجاب الجليل ، والستر الجميل ، والدة المرحوم خليل » وكان خليل ابن الملك الصالح ، وتوفى فى حياة والده .

لما بلغ الخليفة المعتصم بالله وهو ببغداد ان أهل مصر قد سلطنوا امرأة ، ارسل يقول لهم : اعلموا انكان مابقى عندكم فىمصر من الرجال من يصلح للسلطنة ، فنحن نرسل اليكم من يصلح لها ، أما سمعتم فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » ، وانكر عليهم بسبب ذلك غاية الانكار .

فلما بلغ شجرة الدر ذلك ، جمعت الأمراء والقضاة ، وخلعت نفسها من السلطنة برضاها فكانت مدة سلطنتها بمصر ثلاثة أشهر الا اياما ..

فلما خلعت نفسها من السلطنة ، اشار القاضى تاج الدين ابن بنت الأعز أن تتزوج شجرة الدر بالأمير أيبك التركمانى ، فلا زال يتلطف بها حتى أذعنت بذلك ، فما قام من المجلس حتى عقد العقد بينهما . ثم ان القاضى بايع أيبك التركمانى بالسلطنة بعد خلع شجرة الدر ، فهو اول ملوك الترك بمصر ... وبويع عز الدين ايبك التركمانى الصالحى النجمى ، بالسلطنة بعد خلع شجرة الدر ، يوم السبت تاسع عشرين ربيع الآخر سنة ثمان واربعين وستمائة ، وتلقب بالملك المعز ، وركب بشعار السلطنة وحملت على رأسه القبة والطير ، ولعب قدامه بالغواشى الذهب ، وجلس على سرير الملك وباس له الأمراء الأرض .

وكان أصله من مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب ، اشتراه وأعتقه وصار أميرا فى حياة أستاذه الملك الصالح ، ثم بقى أتابك العساكر ، بعد قتل الملك المعظم توران شاه ، ثم بقى سلطانا ، بعد خلع شجرة الدر من السلطنة .

لما تسلطن أيبك التركمانى ، فلم ترض أهل مصر به ، فكان اذا

ركب يسمعونه العوام ما يـــكره ، ويقولـون له : « نحن ما نريد الا سلطانا رئيسا ، ولد على فطرة الاسلام » ، فكان ابيك يغدق على العوام بالعطايا الجزيلة ، حتى يسكتوا عنه .

دبت عقارب الفتن بين الملك المعز ، وبين زوجته شجرة الدر ، فتغيرت عليه وتغير عليها ، لأنها كانت تمن عليه فى كل وقت ، وتقول له : « لولا أنا ما وصلت أنت للسلطنة » . وكانت الزمته بطـلاق زوجته أم ولده الامير على فطلقها ، وكانت شجرة الدر تركية الجنس شديدة الغيرة ، وبلغها أن الملك المعز ، ارسل يخطب بنت بدر الدين لؤلؤ ، صاحب الموصل ، فصار بينهما وحشة من كل وجه .

وكانت شجرة الدر تظن أن هذا الأمر الذى هى فيه يتم لهـا ، ولو راح ابيك وهذا عين الغلط ، ولكن النساء ناقصات عقل ، وقـد طاشت بما وقع لها ، فلما تزايد الأمر ، غضب منها الملك المعز ، ونزل الى مناظر اللوق ، وكانت مناظر اللوق تشرف على البحر ، فأقام بها الملك المعز أياما وهو غضبان من شجرة الدر ، وكان معها فى غاية الضنك ، فلما أقام بمناظر اللوق ، أرسلت اليه قاضى القضـاة تاج الدين بن بنت الأعز ، فتلطف به حتى طلع الى القلعة ، وكانت شجرة الدر قد أضمرت له السوء ، فلما طلع لاقته ، وقبلت يده من غير عادة ، فظن ابيك أن ذلك على وجه الرضا منها .

فلما كان ليلة الأربعاء خامس عشرين ربيع الأول سـنة خمس وخمسين وستماية ، ندبت له شجرة الدر خمسة من الخدام الروم ، وقالت لهم : « اذا دخل الحمام اقتلوه بها » فلما نام معها ودخـل الحمام ، وقد تراضيا ، فبينما هما فى الحمام ، دخل عليهمـا هؤلاء الخدم وبأيديهم سيوف مسلولة ، فلما عاينهم الملك المعز ، استجار بشجرة الدر ، وقبل يدها ، فقالت للخدام : « اتركوه » ، فأغلظ عليها بعض الخدام ، وقال لها : « متى تركناه لا يبقى عليك ولا علينا » . . فقتلوه فى الحمام خنقا ، فأرقدوه على فراش الحمـام وقالوا اغمى عليه فى الحمـام . .

وكانت قتلته ليلة الاربعاء خامس عشرين ربيـــع الأول من تلك السنة ، فلما اصبح الصباح اشيع بين الناس موته ، فركب ابنـــه الأمير على ، والمماليك المعزية وطلعوا الى القلعة ، فغسلوا الملك المعز ، وكفنوه ، وصلوا عليه ، ودفنوه بالقرافة الصغرى .. ثـم أن الامير على قبض على شجرة الدر ، وسلمها الى أمـــه ، فأمرت جواريها ان يقتلوها بالقباقيب والنعال ، فقتلوها حتى ماتت .

فلما ماتت سحبوها من رجلها ، وارموها فى الخندق الذى وراء القلعة ، وهى عريانة ، ليس فى وسطها غير اللباس فقط ، فاستمرت مرمية فى الخندق ثلاثة ايام لم تدفن ، وقيل أن بعض الحرافيش نزل تحت الليل الى الخندق وقطع تكة لباسها وكان فيهـــا اكرة لؤلؤ ، ونافجة مسك ، فسبحان من يعز ويذل ، ثم بعد ثلاثة أيام حملت الى المدرسة التى بجوار بيت الخليفة فدفنت بها ، وكان اصلها من جوارى الملك الصالح نجم الدين أيوب ، اشتراها ايام أبيه الملك الكامل فحظيت عنده واستولدها ابنه خليل ، ثم اعتقها وتزوج بها وكانت معـــه فى البلاد الشامية مدة طويلة . فلما قدم مصر وتسلطن وكان كثـــير الغزوات فكانت شجرة الدر تتولى امور المملكة عند غيـــاب الملك الصالح .. وكانت ذات عقل وحزم ، كاتبة قارئة ، عـــارفة بأمور المملكة ، فسلطنوها لحسن معرفتها ، وسداد رايها ، وكان لها بـــر ومعروف وايثار وأوقاف على جهات بر وصدقة . وقد نالت من الدنيا مالم تنله امراة قبلها ولا بعدها وخطب باسمها على المنـــابر مصر واعمالها ، وكانت مدة سلطنتها بالديار المصرية نحو ثلاثة شـــهور الا أياما ، وكانت قتلتها يوم الثلاثاء خامس عشرين ربيع الآخر من تلك السنة .. واما الخدام الذين قتلوا الملك المعز ، فهرب بعضـــهم الى بلاد الشرق وصلب بعضهم على باب القلعة » .

هذه هى قصة شجرة الدر .. مسيحية الأم .. تركية الأصل .. دفعت بزوجها الى القتل .. كانت ذات عقل وحزم .. كاتبة قارئـــة عارفة بأمور المملكة .. لا تفوتها صغيرة ولا كبيرة الا وترصدها ..

اللقـــاء الأول .. والزواج ..

هذه القصة كما رواها ابن اياس هى التى أعطت الايحـــاء لدى بعض المثقفين لعقد مثل هذه المقارنات بين السيدة جيهان ، والسيدة شجرة الدر .....

ان حياة جيهان ، يمكن أن تؤكد أو تنفى هذه المقارنات ! ..

والد السيدة جيهان السيد صفوت رؤوف .. تركى الأصـــل ، يعمل باشكاتب صحة القاهرة بمنطقة المنيرة بالقاهرة !

ووالدتها السيدة جلاديس انجليزية الأصل والجنسية ـ مسيحية الديانة ... تعرفت على السيد صفوت خلال السنوات التى امضاها فى انجلترا للدراسة التى لم يكملها .

الدكتور موصوف محجوب كان يعمل طبيبا بصحة القاهرة على صلة بباشكاتب الصحة الذى يعمل معه .. وكانت وظيفة باشكاتب الصحة ، وظيفة لا بأس بها .. وقـــد اقامت السيدة جـــلاديس فى القاهرة حتى وفاتها بعد أن أصبحت ابنتها جيهان .. سيدة مصر الاولى .. وبعد أن أصبحت جيهان سيدة أولى تعبت الســـفارة المصرية فى لندن فى البحث عن اقارب السيدة جلاديس ولكنها لـــم تعثر على أحد .. ودفنت السيدة جـــلاديس فى مقـــابر الاسرة بالقاهرة !

ابنة الدكتور موصوف محجوب تزوجت الضابط حسن عزت ، الذى شارك فى عدد من التنظيمات السياسية السرية بالجيش قبـــل الثورة ، وسجن مع السادات ، فى قضية الجواسيس الالمان المعروفة بقضية الراقصة حكمت فهمى والالمانيين ابلر وساندى .. ثم حكم عليه بالسجن فى قضية خطف ملفات قضية أمين عثمان ..

وهناك أربع روايات حول بداية تعارف السيدة جيهان بزوجها محمد أنور محمد الساداتى ..

●● الأولى : هى رواية « السادات » نفسه فى « البحث عن الذات » بأنه عقب صدور الحكم ببراءته فىقضية اغتيال أمين عثمان وخروجه من السجن التقى بزميله القديم حسن عزت « وكنت أرتدى ملابسى الجاكتة البيضاء والبنطلون الرمادى ، نفس الملابس التى خرجت بها من السجن ، وكانت كل ما أملك .. ولاحظ حسن عزت أن البنطلون قد بلى من الخلف ، فقلت له ليس عندى غيره ، وحتى لو ذهبنا الى بيت والدى ما وجدت بديلا عنه وقبل أن نتوجه الى السويس ذهبت مع حسن عزت الى القاهرة حيث اشترينا قمصان وفصلت بدلتين ، وكانت أول مرة أرى فيها الجوارب السوكيت التى يبدو انها ظهرت خلال وجودى بالسجن فأعجبتنى واشترى لى حسن عزت ثلاثة أو أربعة أزواج منها ، وبعدها ركبت معه سيارة وذهبنا الى السويس ..

فى بيته هناك التقيت لأول مرة بجيهان حيث كانت فى زيارة لابنة عمتها زوجة حسن عزت وقضيت معهم بعض الايام » .

وقد تمت خطبته لجيهان يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٤٨ ، وتم الزواج فى ٢٩ مايو ١٩٤٩ « وأخذتها معى حيث قضينا شهر العسل ومابعده فى لوكاندة متوسطة الحال من لوكاندات الأقاليم » .

●● الرواية الثانية هى أن جيهان كانت مخطوبة للضابط مصطفى كامل مراد الذى يقيم الى جوارهم فى حى منيل الروضة وكان مصطفى مراد صديقا لانور السادات وأنه تعرف عليها عن طريق الجوار وقد قال لى مصطفى كامل مراد انه أخذ موضوع خطبتها للسادات ببساطة ، مادامت هى قد فضلت انور السادات صديقه عليه ...

وعندما سألته عما اذا كان قد تشاجر مع أنور السادات بسبب ذلك قال لى : بالعكس لقد كان أنور صديقا وكانت روحه طيبة ، فقد أبدى لى استعداده للتنازل عن خطبتها من أجلى .

●● الثالثة : تقول أن والدة جيهان السيدة جلاديس كانت على صلة وثيقة بالسيدة ناهد رشاد زوجة يوسف رشـــاد طبيب الملك فاروق ، وقائد الحرس الحديدى الذى انشىء لحماية الملك ، والذى تعرف عليه السادات بالمستشفى العسكرى بمرسى مطروح عــــام ١٩٤١ ، وضمه فيما بعد الى تنظيم الحرس الحديدى ، وأنه تعــرف على جيهان لأول مرة ، وتم الزواج عن هذا الطريق ..

وعندما كتب السادات عن علاقته بيوسف رشاد ذكر أنـــه كان يذهب للقائه بنادى السيارات ، وكانت معه السيدة جيهان ..

وفضلا عن ذلك فقد وجد بمكتب يوسف رشاد فى القصر الملكى بعد الثورة ما يفيد بأنه أعطى أنور السادات ألف جنيه بمناسبة زواجه .

●● الرواية الرابعة : هى ما رواها حسن عزت نفســـــه فى مذكراته حيث تقترب روايته من كل الروايات الثلاث السابقة ، فهو يقول ان مصطفى مراد كان يسكن فى الروضة ، وكان يســـعى الى التقدم الى جيهان وكان انور يخشى أن يغير صفوت رأيه فى انـــــور ويفضل عليه مصطفى ..

وان « جين » جيهان كانت تزور ابنة عمتها زوجته الســـــيدة عايدة ، وتم تعارف جيهان بأنور فى منزله بالسويس .. رواية حسن عزت تقـــول :

« بعد ستة أشهر من الافراج عن السادات افتتحنا مكتبـــــا للمقاولات وبدأنا العمــــل معتمدين عــلى الله .. ومرت الايــام وذات يـــوم ، بعد ما يقرب من ١٠ شـــهور ، حضـــر الى المرحوم صــــفوت رؤوف فى الســـــاعة السابعة صباحا ، وكانت بيننـــا صداقة حميمة وثقة متبادلة بالاضافة الى كونه خال زوجتى وفى منزلة والدها ، وقال لى أن والدتى زارتهم بالأمس كى تخطب جيهـــــان ابنته الى على شقيقى واخذت تنتقص من قدر عائلة الســـــادات ووالدته ..

و « لماذا تسب أمى السادات وعائلته ؟ » سألته متعجبـــــا وفوجئت به يجيب قائلا ان انور تقدم لخطبة جيهان قبل أيام !! ... ووالدتك تريد خطبتها لأخيك على ..

واصبت بالذهول .. ان أنور يعيش معى منذ حوالى سـنة ثم يتقدم الى فتاة هى فى مقام ابنتى وكانت تقيم فى بيتى دون أن يفاتحنى عن الأمر او يأخذ رأيى ؟!

صحيح ان جيهان فتاة رائعة الجمال ، خفيفة الظل ومتحدثة لبقة ومن عائلة كريمة .. لكن أنور متزوج وله ثلاث بنات .. ثم ان احواله المادية ليست على ما يرام ، تحت الصفر ، فى حين ان على ، شقيقى يعمل نائبا لمدير مبيعات شركة موبيل أويل ويحصل على راتب ١٢٠ جنيها فى الشهر ..

وسألت المرحوم صفوت رؤوف ما هو المطلوب منى فقال أنــه سيرضى بحكمى قائلا .. على شقيقك وأنور اخوك وجيهـــان اختك الصغيرة ... فطلبت منه أن يمهلنى حتى صباح اليوم التالى ..

كان أنور مايزال نائما فناديته وسألته مازحا ان كان « كيوبيد » قد بدأ عمله بينه وبين جيهان فقال « والله يا أبو على هى بنت لطيفة جدا وطيبة وبنت ناس طيبين » ...

ـ ولكن اقبال زوجتك وبناتك ؟؟

ـ اقبال أنا طلقتها يا حسن لما كنت بالسجن .

وقع على الخبر كالصاعقة .. وسألته عن سبب الطـــلاق فأجاب بأنها « أدارت ظهرها لامى وأهلى » ..

لم أشأ الدخول فى تفاصيل شؤونه الخاصة ...

وكان أمامى المصحف الشريف فتناولته وقدمته اليه وطلبت منــه أن يقسم بالله العظيم انها ظلمته وأنه طلقها كما ذكر لى ، فلم يتردد ووضع يده فوق كتاب الله قائلا « والله العظيم طلقتها لأنها ظالمـــة ... ظالمة ... ظالمة » .. سكت للحظة ثم سألته لماذا لم تخطرنى فى حينها ؟ فقال « لم أكن أريد أن تتوقف مساعدتك لها وللعيال » .. وتركنى وانصرف ..

ناديت جيهان وسألتها عن « كيوبيد وسهامه » وعنـــدما أجابت قلت لها « هل تعلمين أنه متزوج وله ثلاث بنات ؟ » فقالت : « والله العظيم ــ يا أبيه حسن ــ لو أنه متزوج وعنده ١٤ عيل لتزوجته » !

وفى صباح اليوم التالى جاء صفوت والدها حسب الموعد المتفق عليه ، فقلت له أن يتوكل على الله ويزوج ابنته لأنور .. صحيح أن على شقيقى على خلق .. وفى وضع اجتماعى جيد ، وان أنور لا يملك مالا الا أنه وفى تقديرى خير من يصلح لجيهان ، وأضفت « لو وضع عشرة مثل على عزت فى كفة ميزان ، وأنور فى الكفة الأخرى لرجحت كفة السادات » ..

ثم جاءنى السادات بعد ذلك وسألنى رأيى فى عقد القران والفرح فنصحته أن ننتهى أولا من عمليات مقاولات الشرقية ــ ٥٢ عملية ــ التى يشرف هو على تنفيذها وبعد تسليمها وتقسيم أرباحها ، حسب اتفاق الشركة التى بيننا فيمكن له أن يعقد قرانه على جيهان ويتزوجها الا أن أنور قال ان من الافضل « كتب الكتاب » فورا لأن هناك من قد يتقدم الى جيهان (١) . فقلت له أن عقدالقران يتطلب مهرا و «شبكة» وغير ذلك من مصروفات وتكاليف الزواج المعروفة فأجاب على الفور لا ... لا ... صفوت لا ينظر للمادة فهى آخر شىء تفكر فيه هـــذه العائلة . وعموما أنا سأرتب كل شىء .. بعد ذلك بأيام جلســـــنا مع صفوت وباقى أفراد عائلتنا الصغيرة وأثار صفوت موضــــوع « المهر والشبكة » فقال أنور على الفور : « جين » زى عايـــدة والمهر الذى دفعه حسن لعايدة ندفعه لجين . فوافق الجميع وعندما اختليت به لأستوضحه كيف سيدبر كل هذه المصروفات ، خاصـــة وقد قال ان « جين » مثل « عايدة » وهو سيدفع ما دفعتـــــه أنا ، وكانت تكاليف زواجى قد وصلت الىحوالى ١٠٠٠ جنيه ، أجابنى على

---

(١) مصطفى كامل مراد يسكن فى الروضة ويسعى الى التقـــدم الى جيهان وكان أنور يخشى ان يغير صفوت رأيه .

الفور : ندفع من رأس مال الشركة وبمجرد اتمام الزواج أنا على استعداد لكي اعمل ١٥ ــ ١٧ ساعة يوميا ولن تمر سوى ستة اشهر حتى اكون قد سلمت العمليات كلها الى الادارة الهندسية هذا عملى وواجبى وسنربح وارد لك المبلغ .

قلت له ان هذه مخاطرة كبيرة واننى اخشى ان اخرجنا مثل هذا المبلغ الكبير من رأس المال السائل ، أن يتعذر علينا شراء مستلزمات العمليات من اسمنت وحديد ومواسير ودفع أجور العمال فينتكس العمل ويحدث مالا تحمد عقباه ... أو قد لايتمكن هو ــ لاى سبب خارج ارادته ــ من تنفيذ العمليات وتسليمها فى موعدها ويستحيل على انا اتمامها لانشغالى فى عمليات أخرى فى ذلك الوقت ، وكانت بناء حوض للسباحة خاص بالجيش المصرى فى اسوان وتسع عمليات مياه بالجيزة ... غير انه قاطعنى بحدة وقال « ايه يا حسن انت مش مستأمنى ، دى مسألة أمانةوذمة وانا ارفض مجرد طرحها للنقاش » .

وقد كان له ما اراد وسلمت المهر الى صفوت وأسرع هو مع خطيبته جيهان واختارا « شبكة » مماثلة لتلك التى قدمتها الى زوجتى ثم أثير موضوع « الفرح » فاقترحت عليه بينى وبينه أن نكتفى ببعض الأصدقاء وفى أضيق الحدود ، ولكن عندما جلسنا الى افراد العائلة اقترح دعوة جميع الأصدقاء وان يشترى بـ ٢٠٠ جنيه ماكولات من « جروبى » .. لاكرام الضيوف . ثم جاء بعبد العزيز محمود لاحياء الحفل وذلك مقابل ٣٠٠ جنيه بالاضافة الى راقصتين مقابل مائة جنيه لكل منهما ، فوصل اجمالى ما انفق على الزواج حوالى ١٥٠٠ جنيه وكان الجميع سعداء ... الا اننى كنت قلق على مصير تنفيذ العمليات بعدما استقطع من راس المال السائل ... كنت اخشى النكسة » ..

● الروايات الاربع ...

وليس مهما أن نرجح واحدة من هذه الروايات على الأخرى ، فربما اختلطت الروايات الأربع لتكون قصة اللقاء الأول الذى نتج

عنه الزواج بين فتاة جميلة فى مقتبل العمر ، ورجل ناجح هو زوج وأب لثلاث بنات من زوجته الأولى ، وفى وقت خرج فيه من السجن . وأيضا بلا عمل ... وليس لديه مال ، ولم يكن يملك الا بدلة واحدة بالية وحتى بيت والده ليس فيه غيرها ..

كان الضابط محمد أنور الساداتى قد تزوج عقب تخـــرجه من الكلية الحربية فى فبراير عام ١٩٣٨ من السيدة اقبال ماضى ابنـــة عمدة قرية ميت أبو الكوم ..

والان أصبحت جيهان صفوت رؤوف زوجة لانور الســاداتى الذى يعمل مع حسن عزت فى مقاولة توصيل المياه الى ٥٢ قــرية بمحافظة الشرقية ..

وبواسطة يوسف رشاد عاد زوجها الى الجيش ، واصـــبحت جيهان زوجة للضابط انور الساداتى .. وظلت بعيدة عن كل الاضواء حتى بعد أن أصبح زوجها عضوا بمجلس قيادة ثورة يوليـــو ، ومسئولا فى اكثر من موقع آخرها رئاسته لمجلس الامة ..

ولم تظهر لها فى الصحف صور تذكر ، كما لم يعرف لها اى نشاط سياسى أو اجتماعى طوال سنوات الثورة ... ربما ظهرت صورتها ذات مرة مع بعض زوجات المسئولين ، وهن يدرسن اللغة الفرنسية بالمركز الثقافى الفرنسى ، ويومها غضب عبد الناصر لنشر صـــور زوجات المسئولين ، واعتبرها نوعا من العودة الى الماضى منافيــة لتقاليد المجتمع الجديد ..

بعد النكسة كونت جيهان جمعية اجتماعية فى مدينة تلا القريبة من ميت أبو الكوم بهدف المعاونة فى أعمال رعـــاية المقاتلين واسر الشهداء ... وكانت جهود المرأة المصرية من خلال تنظيماتها المختلفة السياسية والاجتماعية تتخذ هذا الاتجاه ..

ونشرت لها احدى المجلات صورة وامامها الاموال التى جمعتها والملابس التى أعدتها الجمعية لابناء المقاتلين والشهداء ..

وغضب جمال عبد الناصر قائلا أن هذه الصورة تذكره بصورة السيدة زينب الوكيل — زوجة مصطفى النحاس باشا — عندما جمعت اموالا لجمعية البر ..

وكان قد إثير لغط كبير فى محاكمات الشعب التى حاكمت سياسى ما قبل الثورة حول هذه الجمعية وحول الاموال التى جمعتها ..

وطلب عبد الناصر من السادات منع زوجته من تكرار مثل هذا العمل !!

وفيما عدا ذلك لم يكن لها دور قبل أن يتولى زوجها منصب الرئيس ويفتن بالولايات المتحدة الى حد أن يطلق على زوجته اسم السيدة الاولى تيمنا وتشبها بالسيدة الاولى فى البيت الابيض الامريكى ... « فكانت جيهان أول امرأة عربية تمنح نفسها لقب السيدة الاولى .. ولعلها تكون أيضا الاخيرة » ..

اذن فليس فى حياة السيدة الاولى من قبل ماهو مثير ..

فهى زوجة .. وأم لثلاث بنات هى : لبنى ونهى وجيهان ولابن واحد هو جمال الذى سماه أبوه على اسم جمال عبد الناصر كدليل على الحب والصداقة والوفاء والاخلاص .. وهى أيضا ربة بيت تستقبل ضيوف زوجها فى منزلها ، ومن أهمهم جمال عبد الناصرنفسه الذى كان يمضى معظم سهراته فى بيت أنور السادات على النيل طوال الشهور الاخيرة من حياته ..

جيهان .. وانقلاب مايو .

لم يكن هناك خلافات بين مجموعة مايو التى اطلق عليهـــا فيما بعد مراكز القوى ، وبين السيدة جيهان قبل أن يتـــولى السادات المسئولية ..

وربما كانت هناك خلافات جذرية بين هذه المجموعة وبين السادات نفسه قبل توليه منصبه ولكن هذه الخلافات كان يغطـــى عليها وجود جمال عبد الناصر وارتباط الجميع به .. أو هكذا كان يبدو ..

ولقد تحركت مجموعة مايو فور وفاة الرئيس فى اتجاه اختيار السادات خلفا له .. ولم يشذ عـــن هذه المجمـــوعة . ويخالفها الا حسين الشافعى الذى رفض الموافقة على ان يتولى الســـــادات المسئولية خلفا لجمال عبد الناصر .

ولقد كان لحسين الشافعى ولاشك اسبابه التى ابداهـــــا ولكن الذين كانوا يسيطرون على الاتحاد المشــــــتراكى ، ومجلس الامة ، ووزارات الداخلية ، والحربية ، والاعلام وغيرها ، كان لهم رأى آخر ، ولعل ظهور بعض أعضاء مجلس قيادة ثورة يوليو فى الصورة ، واجتماعهم ، والمذكرة التى قدموها الى السادات ، كـــان وراء الاسراع باختيار وتفضيل أنور السادات على غيره ، تصوروا من مجموعة مايو أن ذلك سوف يقطع الطريق على اعضاء مجلس الثورة، ويقضى على محاولتهم العودة الى الاضواء .. وكان ذلك صـــحيحا الى حد كبير ..

فالخوف من أعضاء مجلس الثورة كان هو الدافع الاساسى

وراء الاشراع فى تنصيب السادات رئيسا ؛ والسادات نفسه يقول انه كان يريد ان يتولى المسئولية نائبا لتكملة مدة رياسة عبد الناصر .

على أى حال فقد أصبح السادات رئيسا بعد أن عاهد الشعب على أن يسير على طريق عبد الناصر .. وبعد أن قال فى مجلس الامة « لقد جئت اليكم على طريق جمال عبد الناصر واعتبر ان ترشيحكم لى بتولى رئاسة الجمهورية هو توجيه بالسير على طريق جمال عبد الناصر ؛ واذا ابدت جماهير شعبنا رأيها فى الاستفتاء العام بنعم ، فاننى سوف اعتبر ذلك امرا بالسير فى طريق جمال عبد الناصر الذى اعلن امامكم بشرف اننى سأواصل السير فيه على اية حال . ومن أى موقع .. »

على ان تلك على كل حال قضية اخرى .. المهم ان السادات أصبح رئيسا وأصبحت السيدة جيهان حرم الرئيس .. وبدأ تدخلها فى كل الامور حتى راجت نكته بين الناس تقول ان السادات عندما يرفض أو يوافق على أى مشروع فان وراء ذلك سببان و .. « جيهان » .

● الصدام الاول :

كان الصدام الاول بين جيهان ومجموعة مايو مع سامى شرف عقب الحفل الذى سبق ان اشرنا اليه باعادة تقديم السفراء لانفسهم للرئيس فى قاعة العرش بقصر عابدين ، وهو الحفل الذى تجنب التليفزيون فيه ان يصور حرم الرئيس .

ولم يكن ذلك بتوجيهات من أحد ، أو فى حركة موجهة ضد حرم الرئيس . فقد تصرف المسئولون فى التليفزيون من تلقاء انفسهم بموجب التعليمات السابقة التى درجوا على اتباعها منذ أيام عبد الناصر .. وكانت التعليمات المحددة والواضحة لدى التليفزيون انه اذا تصادف ، وكانت قواعد البرتوكول تحتم حضور حرم الرئيس معه احد الاحتفالات ، فان التليفزيون لا يصور حرم الرئيس هكذا كانت تعليمات عبد الناصر .. ولم يكن من بينها ابدا أى تصور ان حرم

الرئيس يمكن أن تحضر احتفالات فى قاعة العـــرش بقصر عابدين لاستقبال السفراء والقناصل والبيلوماسيين ، فذلك أمر لـم يحدث من قبل ولا من بعد .. من أجل ذلك لم يعرض التليفزيون صـورة جيهان فى الحفل .. مما اغضبها ..

فى اليوم التالى كان سامى شرف يحمل اوراقا يريد عرضها على السادات وقال له السادات : ان الست تريد ان تراه ..

وعندما دخل عليها كانت فى أشد حالات الغضب ظنا أنه تعمد منع صورها من التليفزيون .. وامسكت بخصلة من شعرها على نحو ما تفعل بعض السيدات فى الاحياء الشعبية ، واقسمت بهذه الخصلة من الشعر انها سوف « توريه » .

بعدها بأسابيع كانت تقيم حفل عشاء حضرته زوجات بعض الوزراء ، الذين استمروا فى العمل مع السادات بعد مايو — وقالت لهن بصراحة : انها لن ترتاح الا اذا ادخلتهم السجن ! .. اشارة الى بعض الاشخاص الذين كان يدور الحديث حولهم ..

وبعيدا عن الجوانب السياسية فى انقلاب مايو . وهو لم يكـن صراعا على السلطة ، كان صراعا بين طرفين كلاهما فى السلطـة وكلاهما وجوده شرعى .. بعيدا عن هذه الجوانب نقول انه لم يكن يتم للسيدة جيهان ، ولزوجها الانفراد الكامل بالسلطة . والتصرف على نحو ما حدث فى ظل وجود مجموعة هى شريكة فى السلطة ، بل انها تعتبر نفسها — صحا او خطأ — انها هى التى وضعت السادات فى موقعه ، والمفروض اذا لم يكن يدين لها بالولاء بأن يعمل حسابها على اقل تقدير ، وسوف نرى أن السادات قد تخلص فيما بعد من كل الذين يمكن ان يكون لهم دين فى عنقه ، وهم الذين عاونوه فى التخلص من مجموعة مايو .. حتى يقيم دولته الخاصة من الذين يكون له فى عنقهم دين أقول انه بعيدا عن الجوانب السياسية من الصراع — أيا كان المظلوم فيه — فاننا لا ينبغى ان نغفل الجوانب الشخصية فى الامر ، ولاشك ان وجود هذه المجموعة كان يحد الى حد كبـير

من طموحات السيدة جيهان والسيد زوجها .. وخاصة اذا كانت البداية مثل ما حدث من اقامة هذا الحفل الباذخ .. ومن الغضب لعدم ظهور السيدة على شاشة التليفزيون .. أيضـــــا لتزمتهم ورفضهم نقل تحف من قصر عابدين الى منزل الجيزة !!

فلاشك ان وجود هذه المجموعة بتوجيهاتها ووضعيتها الخاصة كان سيحد من كثير من هذه الطموحات ، طموحات السيدة وزوجها ايضا .

وربما كان فى ذلك التصور تبسيط .. بل وتسطيح لقضـــــية سياسية كبرى هى قضية مايو ولكنه مجرد تصور قد يأتى فى آخـــر الاسباب ، وينبغى ان يوضع امام الذين سيدرسون هذه القضية من زواياها المختلفة بموضوعية وشمول ..

● الاسرة المســـلحة :

وقعت احداث مايو التى صورها السادات على انها ثورة كاملة بكل ابعادها بعد أربعة أعوام من وقوعها .. واحداث مايو هى القبض على المجموعة التى شاركت السادات السلطة والمسئولية .. وسواء كانت تعد لانقلاب أم لا ، فقد استقالت المجموعة كلها ؛ ممـــا اتاح للسادات فرصة تنفيذ مخططه الذى وضعه قبلها بشهرين بالقاء القبض على شركائه فى الحكم .

وتروى السيدة جيهان احداث مايو بأكثر من طريقة .. فذات مرة قالت :

« جاءنى عديد من أعضاء البرلمان ، وقالوا اننى لابد أن احذر زوجى من مؤامرة ضده .. أخبرته ولكنه تركنى مغيظة من هدوئـــه .. سألته من الذى يقف معك لا وزير حربية ، ولا وزير داخلية ، ولا وزير اعلام ..

لا أحد معك ، لم يزد عن قوله : لا تنزعجى .. ان الله معنا .. كان هادئا للغاية ، ولا يعنى هذا أنه لا يثق بى بل انه لا يريد أن يزعجنى ويقلقنى .

وبعد لحظة قليلة من الحصول على شريط تسجيل الحوار بين المتآمرين كان زوجى يخطط للذهاب الى الاسكندرية . وقد الغى رحلته وعاد الى القاهرة .. اننا لم ننم فى تلك الليلة أى الليلة السابقة على تفجير المسألة برمتها .. ان زوجى عادة ينام بمساس الى جوار سريره .. فانها عادته ، وفى تلك الليلة اغلقت حجرة النوم .. وقلت له : بهذه الطريقة اذا جاءوا ستكون مستعدا بمسدسك ..

وجاء الفريق الذى كان صديقا يسأل عما اذا كان زوجى قد أمر الدبابات المسلحة بالتحرك نحو منزلنا .

كانت الدبابات تتحرك واعتقدنا أنها ضدنا وعلمنا فيما بعد انها أرسلت لحمايتنا .. وذهبت الى كبرى بناتى « لبنى » واقترحت عليها ان تنام تلك الليلة فى منزل اختى .. وكان عمر لبنى ١٧ عاما ..

ولكنها قالت « اذا دمروا المنزل هل تعتقدى اننا سنكون سعداء اذا فارقنا والدنا ووالدتنا » ..

واخذت كتابها ، وذهبت الى السرير ، وكان عمر جمال ١٥ عاما فقط ، ولكنه حمل بندقية الصيد ـــ ! ـــ وأصر على ان يعمل حارسا وقال « أريد ان احمى والدى » وفى اليوم التالى القى زوجى القبض على المتآمرين » ..

فى هذه الرواية تصف الاسرة المقاتلة .. الابن ببندقية الصيد ، والاب بالمسدس .. والفريق الصديق هو على اغلب الظن الفريق محمد صادق .. وتقول انها وضعت انفها فى هذه القضية مبكرا فالذين ذهبوا اليها يحذرونها من مؤامرة ضد زوجها .. وأبلغت الزوج ولكنه لايابه لا لانه لا يثق فيها لاسمح الله ، ولكنه لانه لايريد ازعاجها .. وفضلا عن ان هذه الرواية تناقض ما رواه السادات نفسه عن احداث تلك الفترة ـــ وهى ليست موضوع هذه الدراسة .. الا انها تدل على أنها لم تكن بعيدة عن سير الاحداث ..

● **رواية ثانية لجيهان :**

وربما توضح السيدة جيهان الموقف الشخصى من رجال مايو فى روايتها الثانية لهذه الاحداث حيث تقول ان هذه المجموعة قـــد اذلت دون وجه حق . . حتى وصل الاذلال اليها هى شخصيا وقـد يكون ذلك أو بعض ما اوضحته من قبل . . ولكنها تروى واقعــة اخرى مختلفة تقول عن يوم مايو .

« انه يوم عظيم فى حياتى كما انه عظيم فى حياة الاخرين ، ولقد وضع هذا اليوم حدا لحفنة من البشر سيطرت واذلت دون وجه حق ، حتى بالنسبة لى ، أنا فى وضعى هذا ، كان لهم افعال سيئة اذكر ان الدكتورة حكمت ابو زيد ارسلت لى تلغرافا لـم يصلنى الا بعد ثلاثة أشهر ، لقد سألت عن هذا التلغراف فقيل لى انه لم يصل، ولما تاخر عن هذا الحد دب فى نفسى الشك عندئذ طلبت أن يبحثوا عنه فى مكتب البريد وهنا شعر سامى شرف وكان فى منصبه بالرياسة ان المسألة ربما تنكشف ابلغنى ان التلغراف وصل عنده خطأ وانه لـم يكن يعرف ، قلت له ان كنت تعرف فهذه مصيبة وان كنت لا تعرف فالمصيبة اعظم ، اذا كان هذا التصرف على زوجة رئيس الجمهورية فما هى تصرفاتكم مع الاخرين .

لقد سألت الرئيس مرة هل استطيع ان اعرف من معك الآن . . وزير الحربية محمد فوزى ، وزير الاعلام محمد فائق ، وزير الداخلية شعراوى جمعة ، امين الاتحاد الاشتراكى عبد المحسن أبو النور ، حتى سامى شرف ومكتبك فى الرياسة كلهم ضدك ، فمن معك اذن . ورد ناظرا الى اعلى الى السماء وهو يشير بيده ، هل تنسين هذا . . هل تنسين ربنا » . .

ولو اننى استبعد ان يكون حوار بهذا الشكل قـــد دار بين السيدة جيهان ، وبين سامى شرف فالتصور انها ـــ حتى ذلك الوقت ـــ لم تكن تستطيع ان توجه اليه مثل هذه الكلمات ، وعلى

فرض صحة رواية السيدة جيهان حول البرقية المزعومة والهامة التى قلبت الدنيا عليها فاننا لابد أن نعرف ان السيدة حكمت ابو زيد نفسها صاحبة البرقية كانت واحدة من مراكز القوى وانها ابعدت عن مواقعها كلها بسبب ما نسب اليها من انتمائها الى مجموعة مايو .. وسافرت الى الخارج ومازالت تعيش هناك .

● **الزيات لم يجد انقلابا :**

فى تلك الليلة التى قدم فيها مجموعة مايو استقالاتهم للسادات بعد ان اقال شعراوى جمعة من منصبه يوزير للداخلية وأمين للتنظيم . كان هناك اجتماع صغير فى قصر الجيزة .. ويقول محمد عبد السلام الزيات أنه ما كادت الاذاعة تبدأ فى اذاعة استقالات أعضاء اللجنة التنفيذية العليا وبعض الوزراء حتى استدعيت على عجل الى السادات ، ولم يكن فى « المنزل » فى ذلك الحين غير السادات وكان بملابسه المنزلية ، والسيدة حرم السادات ومحمد حسنين هيكل ، وكانت السيدة حرم السادات فى حالة ذعر بين ، اما السادات فقد كان جالسا الى جانب التليفون وهو يضع الطبنجة الى جانبه .كان الصمت يخيم على جميع من فى منزل السادات ، اردت أن أقطع الصمت قلت للسادات : طبنجة ايه يا ريس اللى انت حاططها جنبك .. وانا دخلت البيت بسيارتى الخاصة ولم يسألنى أحد من الحرس الى أين انت ذاهب .. والحالة عادية تماما فى الخارج ، ولو كانت هناك مؤامرة لنفذت بكل بساطة .. علينا ان نفكر سريعا ايه اللى هنعمله ، وقال السادات : انا بعثت محمود ابو وافيه لاحضار محمود فوزى لاننا لم نستطع ان نتصل به فى التليفون فى منزله فى الهرم على ترعة المريوطية وسيد مرعى لا يرد تليفونه ، قلت له : ليس المهم الآن سيد مرعى أو محمود فوزى أن أمامنا مهمتين عاجلتين .. السيطرة على الاذاعة ، وضمان أمن القاهرة .

وقال : أنا طلبت الليثى ناصف ، وجاى حالا لضمان أمن القاهرة ..

وتوقف هيكل وقال : عليك يازيات تروح الاذاعة .. قلت لهيكل : انت أقرب الى جو الاذاعة منى ، فقد كنت وزيرا للاعلام .. فقال انا مش ممكن أروح أى حتة .. ونظرت الى السيدة جيهان السادات نظرة فيها رجاء .. وقبلت المهمة ، وانا اقدر خطورتها » !

● زوج شقيقة جيهان :

فى الفترة التى تلت احداث مايو مباشرة لم تظهر السيدة جيهان فى الصورة أبدا .. ولم تنشر الصحف صورها .. ولم تدل بأية أحاديث صحفية ..

ولكن يبدو أنها لم تكن صامتة ، وانها كانت تتحرك ، ولكن حركتها ظلت بعيدة عن العيون .. ذلك أن هذا التحرك كان يتم عن طريق عقد لقاءات واجتماعات فى قصر كاسترو بالجيزة الذى اصبح الآن قصر الرياسة ، ويمكن أن تنتقل اليه كل التحف ، دون أن تجد من يعترض من تلك الفئة التى عملت مع ناصر ، وكانت لها مقاييس مختلفة .

صحيح أن الذين تمت الاستعانة بهم فى المرحلة الاولى هم من نفس النوعية التى عملت مع ناصر وأنه تم استغلال الخلافات الشخصية بينهم وبين من سموا بمجموعة مايو ، ولكن معارضتهم يمكن أن تكون أقل ، لانهم لم يعيشوا الصورة كاملة فضلا عن أن أوضاعهم لم تكن من القوة مثل الاخرين ، وهم على اى حال مشغولون فيما هو أهم بهذه الاحداث الكبيرة .. ففى السجن رهن المحاكمة نائب رئيس جمهورية ، وأعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ، وألمع وزراء مصر ، وهناك مهام عاجلة بازالة اثر ما حدث واعادة ترتيب البيت .. وفى تلك الفترة بدأت تخرج من « ناحية » جيهان بوادر الردة واذا كان انقلاب ١٥ مايو هو بداية الردة على ثورة يوليو ، فقد بدأت بوادر هذه الردة من منزل السادات نفسه ولم تكن السيدة جيهان بعيدة عنها ، فقد كانت تحضر

كل الحوارات وكل اللقاءات .. ولقد كان الفارس الاول فى كل هذه العمليات هو زوج شقيقتها السيد محمود أبو وافية الذى لمع نجمه السياسى فى فترة السادات .. وتولى مسئوليات سياسية بتكليف من عديله أنور السادات .

فقد كان محمود أبو وافية زوج شقيقة جيهان أول من تقدم بطلب لتأسيس منبر الوسط الذى تحول بعد ذلك الى حزب مصر .. وهو حزب السادات الذى هرول جميع اعضائه الى الحزب الوطنى فور اعلان السادات : أنه سوف يشكل حزبا ، وعندما وقع السادات على قرار بتكوين حزب العمل . وكان القانون يشترط عددا من اعضاء مجلس الشعب لكى يقوم أى حزب ؛ بادر السادات بايفاد عديله محمود أبو وافية على رأس « بعثة » من اعضاء مجلس الشعب لينضموا الى حزب العمل حتى يستكمل النصاب القانونى اللازم لانشاء الحزب .. واصبح محمود أبو فية نائبا لرئيس حزب العمل المعارض .

وكان غريبا أن يكون على رأس الحزب المعارض للسادات عديل السادات ؛ وزوج شقيقة جيهان ، بيد ان محمود أبو وافية لم يستمر طويلا فى حزب العمل بعد أن اتضح له ان الحزب لا يشارك فى التمثيلية ، ولكنه يتخذ اتجاها جادا فى معارضته .. فاستقال من حزب العمل وعاد الى حزب عديله أنور السادات لتحيل فيه مواقع هامة ومؤثرة لا يؤهلها له — على أغلب الظن — الا انه زوج شقيقة السيدة جيهان وسوف نرى هذه الظاهرة كثيرا طوال فترة السادات .. ظاهرة أن يحتل الاقارب والاصهار مواقع سياسية هم بطبيعة تكوينهم وأعمالهم أبعد الناس عنها ، وأبرز الامثلة على ذلك الدور السياسى الذى لعبه المقاول عثمان احمد عثمان الذى أصبح فى عهد السادات نائبا لرئيس الوزراء وعضوا فى البرلمان ، ومسئولا عن التنمية الشعبية ، ورئيسا للمجموعة البرلمانية ، لمحافظة الاسماعيلية وعضوا فى المكتب السياسى للحزب الحاكم .. وكبيرا لمستشارى الرئيس ورفيقا لكل رحلاته العامة والخاصة .

● الردة .. وبيت السادات :

نعود الى بداية الانقلاب على عصر عبد الناصر فقد خرجت اولى علاماتها من بيت السادات .. وبحضور السيدة جيهان ، وبقيادة زوج شقيقتها .. يقول محمد عبد السلام الزيات الذى كان امينا للاتحاد الاشتراكى فى ذلك الوقت الى جانب عمله كمستشار سياسى ووزير ! لشئون مجلس الامة « تسربت الى الامانة المؤقتة للاتحاد الاشتراكى انباء مقلقة . عن احاديث خاصة تدور فى بيت السادات . تنبىء بتيار معاكس للخط الذى انتهجته ثورة ٢٣ يوليو فى مختلف الاتجاهات وعن بداية للغمز واللمز فى هذه الاحاديث لكل ما كان يجرى فى عهد عبد الناصر .

« وبدأ المسئولون الامريكيون فى القاهرة يرددون فى مجالسهم الخاصة . فحوى الأحاديث التى تدور فى بيت السادات ، والاتجاهات الجديدة التى بدأت تظهر فى الاحاديث ، التى كانت تجرى بينه وبين رواد بيته من الاصدقاء والاقرباء والندماء . وبدا الامر وكان هناك خطوط اتصال منتظمة كانت مكلفة بنقل كل ما يدور من احاديث الى المسئولين الامريكيين ، لينقلوها بدورهم الى واشنطن .

« ولم يقف الامر عند حد الاحاديث الخاصة التى تعلن عن مولد عهد جديد يختلف تمام الاختلاف عن عهد عبد الناصر ، بل بدأ اثنان من اقرب المقربين ينزلان الى الساحة السياسية ، بدعوى تجميع عناصر قوية لمساندة السادات فى التخلص مما سمى « بركامات عبد الناصر » كان اولهما عديل السادات الذى سبق وزعم ان شعراوى جمعة قد اسقطه فى الانتخابات نكاية فى السادات ، وكان الثانى محمد حامد محمود الاقطاعى السابق ، ووكيل اعمال الامير عبد الله المبارك الصباح لاحقا ، و « غفير السادات » فى فترة الرياسة كما كان يسمى نفسه .

« واتسعت اتصالات الاثنين بهدف تجميع عناصر قوية تحت ستار مساندة السادات للتخلص من بقايا عبد الناصر ، وامتدت هذه

الاتصالات لتشمل فريقا كبيرا من الحاقدين على نظام عبد الناصر ، وانتقل النشاط ، الى مرحلة تدبير مقابلات بين السادات وبين بعض العناصر التى عادت الثورة من اليوم الاول ، والتى تربصت انتظارا للحظة المواتية للانقضاض على مكاسب الوطن والجماهير » .

« وانضم موسى صبرى ، صحفى كل العصور ، الى محمود ابو وافية ومحمد حامد محمود ، وأصبح بدوره مبشرا بمولد نظام جديد ، وأخذ يدعو الصحفيين ومن بينهم صحفيون أجانب لمقابلة السادات فى منزله ليشهدوا مولد هذا النظام الجديد » .

« وفيما لا يقل عن شهر واحد ، وبانضمام موسى صبرى الى الموكب بدأ الغمز واللمز عما كان يجرى فى عهد عبد الناصر ، ينتقل من الاجتماعات المغلقة فى بيت السادات الى مقالات بعض الصحفيين ..

« وانضم سيد مرعى الى الموكب ، فى الوقت المناسب ، وهو دائما ينضم الى الموكب وفى الوقت المناسب ، بعد وفاة عبد الناصر كان سيد مرعى من أشد معارضى ترشيح السادات للرئاسة ووجه الكثير من التجريح للسادات ، وهو يردد ان « الزيات » كان يلعب بالسادات فى مجلس الامة ويضعه فى جيبه ، فكيف يكون الحال والسادات رئيس جمهورية ، ولكنه عاد وانضم الى الركب بعد انتخاب السادات رئيسا للجمهورية ، وأصبح من أقرب المقربين وله من الجاه والثروة والنسب ، ما يجعل السادات يغفر له الاساءة أيا كانت الاساءة . وتكرر نفس الموقف أثناء الازمة التى انتهت الى انقلاب ١٥ مايو ، وكان السادات يعول عليه كثيرا فى مساء ١٣ وفجر ١٤ ولكنه لم يظهر ، وظل السادات يحاول الاتصال به فى القاهرة والاسكندرية ولكن عبثا فقد تعمد أن يبتعد عن حلبة الصراع حتى يتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود ، وظهر فى الوقت المناسب حوالى ظهر يوم ١٤ مايو ، بعد أن تم حسم الصراع لحساب المنتصر ، ظهر الى جانب السادات ، وهو يشكل الوزارة الجديدة

متعللا بأنه رفع سماعة تليفونه منذ مساء ١٣ مايو ..

« وانضم سيد مرعى الى الفرسان الثلاثة محمود أبو وافية - ومحمد حامد محمود ، وموسى صبرى ليبارك المسيرة نحو العهد الجديد وكان لسيد مرعى ومحمود أبو وافية البـــاع الاكبر ، فى توجيـــه الاتهامات والاهانات للامانة المؤقتة للاتحاد الاشتراكى ، وللايقـــاع بين السادات وبينها وقيعة ظلت تتكامل على مر الايام ، وفى افساد اى محاولة من جانب هذه الامانة للسير بالســـادات فى الطـــريق السليم ..

« وقيل فيما قيل من طعن فى اشخاص اعضاء الامانة العـــامة المؤقتة للاتحاد الاشتراكى ، انها خلفت مراكز قوى جديدة ولابد من القضاء على مراكز القوى هذه كما سبق القضاء على مراكز القوى التى سبقتها ، وان أمين الامانة عزيز صدقى فاشل فى كل ما يعمله ويكفى ما أصاب البلاد من سياسة التصنيع التى نكب بها مصر .. وقيل عن الزيات انه تعود أن ينفرد بالسلطة منذ أيـــام ان كان فى مجلس الامة .. وأنه متعاطف مع الشيوعيين ، وقيل عن فؤادمرسى أنه شيوعى ، وعن صلاح غريب أنه ذنب من أذناب عزيز صدقى ، وعن عبد الحكيم موسى أنه ذنب من أذناب مراكز القوى ، وانه من الشرقية وسيد مرعى يعرفه شخصيا ، لينتهى الحديث بعد كل هذا الى أن الشيوعيين قد استولوا على الاتحاد الاشتراكى ، وان علينا أن نتخلص من الامانة الجديدة التى خلقت مراكز قوى جديدة .

« وكان ما يدور على الساحة الداخلية وفى بيت السادات مقلقا وكان ما يدور على الساحة الخارجية من اتصالات المخابرات الامريكية دون علم من وزارة الخارجية مقلقا أيضا ، واجتمعت بالدكتور عزيز صدقى وقد انتابنى القلق ، ولم يكن قلقنا من التهجم علينا فقد كنـــا قادرين على أن نرد كل ذلك ولكن القلق كان من نوايا الســــادات نفسه ، وما يدور فى فكره .. وهل نحن فعلا على عتبات مرحلـــة جديدة تستهدف تصفية الثورة .

« واتفق راينا على أنه لابد من مواجهة الامر سريعا حتى نعرف الى أين نســـير » .

● البداية مجـــلات الحائط ..

بدأت السيدة جيهان تجنى ثمار « عملية مايو » ..

وكانت فى تلك الليلة صاحبة الاقتراح بالقبض على المجموعة التى استقالت .. فقد كان الاتجاه الغالب الى مجرد تحديد اقامتهم لمدة معينة ينتهى بعدها الامر ..

ولكن السيدة جيهان اقترحت القبض عليهم ، وفعلا أودعوا سجن القلعة .

ويقول هيكل انه كان يرى مجرد تحديد اقامتهم فقط ، ومعنى ذلك أنه لم تكن هناك قضية . بعد القبض عليهمكان لابد من التحقيق الذى بدأته النيابة العامة ، ورأت حفظه لانه لا قضية ، ولكـــن الامر تغير عندما أنشىء منصب المدعى العامالاشتراكى وعهد اليه بالقضية فأعاد تحقيقها من جديد على أساس أن هذه المجموعة قـــد ارتكبت جريمة الخيانة العظمى وعندما انتهت المحاكمة الخاصة من نظـــر القضية كانت هناك مشاورات خاصة لوضع الاحكام .

وفى اجتماع فى منزل الرئيس تم وضع الاحكام وكان للســيدة جيهان الرأى الاول فى هذه الاحكام وقد حضر الاجتماع عدا رئيس المحكمة السيد ممدوح سالم وزير الداخلية وينفى محمد عبد السلام الزيات نائب رئيس الوزراء مشاركته فى الاجتماع .

وهكذا يتضح أن السيدة ارملة المرحوم كان لها دور أساسى فى قضية مايو .. وسوف نراها بعد ذلك تتألق .. وتأخذ وضعـــا جديدا بدايته زيارة الجبهة .. وتفقد الجنود .. وتصويرها وهى تقود دبابة على خط النار ، ونشر الصور فى مختلف الصحف .

ولقد كان ذلك كله موضع سخرية من الطلاب الذين قادوا حركات شبابية فى فترة القلق التى سبقت حرب اكتوبر للقضاء على حالة اللاحرب و اللاسلم ..

وخرجت جيهان من وراء الستار .. فى ظل حملات وهجوم قاس على أوراق مجلات الحائط فى الجامعات .. فقط لمجرد نشر صورة واحدة على الجبهة .. وذلك قبل أن ينتقل نشاطها الى ويتعود الناس على أن يروا صورتها دائما ويعلو صوتها من خلال كل اجهزة اعلامها هى وزوجها .

الخروج الاول والسيدة الأولى

يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .. وبعد وفاة الرئيس عبد الناصرمباشرة دق التليفون فى منزل أنور الساداتى نائب رئيس الجمهورية فى الساعة الخامسة والنصف مساء يطلب اليه الحضور فورا الى منزل الرئيس لأنه متعب بعد ان عاد من وداع الملوك والرؤساء الذين حضروا مؤتمر القمة العربى لايقاف مذابح أيلول الحزين ..

كان السادات هو آخر من حضر ، فقد حضر قبله شعراوى جمعة وسامى شرف اللذان يسكنان قريبا من منزل الرئيس وحضر على صبرى ومحمد حسنين هيكل وعدد من الوزراء وحسين الشافعى الذى صعد الى غرفة الرئيس بعد أن فارق الحياة ، فاتجه الى القبلة واخذ يصلى .. وكان السادات هو الوحيد الذى يجىء الى منزل الرئيس ومعه زوجته السيدة جيهان التى كانت ترتدى فستانا أخضر اللون ، وعندما علمت بوفاة الرئيس انهارت وأجهشت بالبكاء ..

واذا كان السادات قد أصيب بأزمة قلبية أثناء جنازة الرئيس حقيقة أو تمثيلا فقد كانت جيهان لا تقل عنه حزنا والما ... سواء حقيقة أو تمثيلا أيضا !!

وعادت السيدة جيهان الى منزلها على شاطىء النيل بالجيزة لترتدى الملابس السوداء حدادا على الرئيس ..

وكانت السيدة جيهان هى وزوجها قد انتقلا للاقامة فى أحد القصور المصادرة على النيل ، بعد أن عاشا سنوات طويلة فى فيلا بشارع الهرم ..

ولم يكن هناك فارق كبير ... فيلا شارع الهرم كانت مملوكة للحراسة ..

وقصر شارع النيل كان ايضا مملوكا للحراسة التى استولت عليه بعد مغادرة اليهود مصر عام ١٩٥٦ حيث كان صاحبه يهودى اسمه كاسترو ... الامر الذى الح له بيجن فى لقائه مع السادات بانهم يمكن أن يستردوا القصر الذى يسكنه كاحدى وسائل الابتزاز الصهيونى ..!

ولقد كانت بداية ظهور السيدة جيهان بعد أن أصبح رئيسا ، الحفل الذى أقامه السادات عقب توليه منصبه فى قصر عابدين ... بحجة أن السفراء لابد أن يعيدوا تقديم انفسهم للرئيس الجديد .!!

وقد اعترض شركاء الرئيس فى الحكم على ظهورها ..

وفيما بعد لعبت « الست » دورا أثناء انقلاب مايو الى جوار زوجها ، وقد استغلها السادات فى خلافه مع مجموعة مايو ، حتى اذاع فى خطابه انهم كانوا يضعون له أجهزة تسجيل فى غرف منزله ، وهو أمر ثبت بعد التحقيق ، وفى المحاكمة عدم صحته ..

الان ... وبعد ان وضع كل شركاء السادات فى السجن أصبح للسيدة حرم الرئيس مقدرة أكبر على الحركة والظهور ، دون أن تجد من يقول أن هذا يجوز أو لا يجوز أو يحتج بالاسلوب السابق المتبع ..

وكانت تحركات جيهان وظهورها بهذا الشكل المكثف فى فترة اللاسلم واللاحرب التى سبقت حرب أكتوبر وراء كثير من الاقاويل بل سببت توترا بين الذين وجدوا فى هذه التحركات الجديدة استفزازا يدل على عدم الجدية ، فى وقت كان خروج حرم رئيس الجمهورية بهذا الشكل غير مألوف ..

● أم الابطال .. تحكم :

وبدأ السادات أولى حملاته ضد المعارضين ... واعتقل الطلبة وفصل الصحفيين ووصفهم لاول مرة بأنهم « من اليسار المغامر » . ومن اليمين الرجعى !!

وعندما جاءت حرب اكتوبر انصهر المصريون جميعا فى بوتقة واحدة خلف قواتهم المسلحة وتقهقرت كل الخلافات وانزوت ..
وقفزت على السطح مرة أخرى صورة جيهان صفوت .. هذه المرة لها دور انسانى فى رعاية اسر المقاتلين والشهداء وزيارة الجرحى ... والتف حولها عدد من سيدات المجتمع .. « الراقى » القديم والجديد ... ورويدا ... رويدا أصبحت جيهان أم الابطال !

ولا أحد يعرف مصدر هذه الامومة .. وهل كانت فى صفوف المقاتلين ، ام أنها كانت خلفهم فى خطوط النار ... فاللواتى قدمن الابطال والشهداء كثيرات ... كل واحدة منهن احق باللقب ..
هذه الفلاحة التى نشرت الصحف صورها ، وقصتها ، وقد استشهد ثلاثة من ابنائها فى حرب اكتوبر كانت أولى بهذا اللقب ..

والام التى قدمت شهداء على امتداد الحروب التى خاضتها مصر فى عام ١٩٥٦ وفى حرب اليمن وفى حرب ١٩٦٧ وفى حرب اكتوبر ، لم ينتبه أحد الى أن يكرمها بمثل هذا اللقب .. ولكن أحدا لم يهتم بهذه المناقشة ، وكان دور السيدة جيهان على كل حال فى رعاية أسر المقاتلين والشهداء موضع تقدير ، ومازال دورا مميزا : يستحق الاعتزاز رغم ماشابه من أعلام واعلان هو أكبر من حجمه .

● الرئيس الهائم :

فى هذه الاثناء كانت السيدة جيهان قد رأست جمعية الهلال الاحمر .. وانشأت مكتبا خاصا لتلقى الشكاوى والمقترحات والرسائل وقد كبر هذا المكتب ، وامتد نشاطه ، حتى أصبح هو المكتب الحقيقى لرئيس الجمهورية ..

وكانت السيدة جيهان قد بدأت منذ فترة مبكرة فى تثقيف نفسها استعانت بعدد من أساتذة التاريخ وبأكثر من أستاذ فى اللغة الانجليزية ، وفى مختلف التخصصات فى محاولة لتعويض سنوات الجهل ..

وبدات تقارير الدولة تعرض عليها ، وكانت تقرا هذه التقارير بعناية وتؤشر عليها بالقلم « الفلوماستر » الاحمر ..

وكانت تأشيراتها أوامر بالنسبة لمختلف الاجهزة .. وقد عاون على تضخم دورها أن زوجها كان يمضى ايامه « محلقا » ... هائما باحثا عن المسائل الكبرى ... ولم يكن يقرأ أبدا ... ويوم دخل عليه سامى شرف عقب منصبه كرئيس يحمل عددا من الدوسيهات فيها تقارير الراى العام ، والصحافة العربية والاجنبية ، والموقف الاقتصادى وغيرها من الامور الهامة التى كان يحرص عبد الناصر على قرائتها باهتمام كل صباح ... لم يعجب السادات أن يحمل اليه سامى شرف كل هذه الدوسيهات وسأله عن محتوياتها قائلا :

— أنا مش كومبيوتر زى جمال ... انا عاوز كلمة واحدة ان الحالة كويسة .

وكان السادات يردد دائما أن عبد الناصر مات لانه كان يمضى وقته فى سماع الاذاعات المعادية ، وفى قراءة كل ما يقال عن مصر ..

كان عبد الناصر يهتم بالتفاصيل الصغيرة جدا ، ولم يكن السادات كذلك ... وفيما بعد فهم الاسرائيليون فى السادات هذه النزعة .. واستغلوها تماما أثناء مفاوضاتهم معه .. فهو يهتم بالعموميات .. خاصة اذا كانت لهذه العموميات بريق ولمعان .. وتسلط عليها الاضواء التى كان يعشقها !!

والحقيقة أن كل التفاصيل الصغيرة وجدت من يهتم بها ، وكانت هى السيدة جيهان وبدأ دورها يزداد نموا ... وتوجيهاتها تصل الى الوزراء ... وظهر للبعض انها هى التى تحكم من وراء الستار ...

● زرع الصورة الجماهيرية :

خلال حرب أكتوبر بدأت السيدة جيهان نشاطا مكثفا فى زيارة المستشفيات ، والجرحى ورعاية أسر المقاتلين .. وفى يوم ١٩ أكتوبر وجهت نداء الى المواطنين خصت المرأة فيه بنصيب وافر « لان المعركة ليست معركة الرجل وحده ... انها معركة الام التى

بعثت بأبنائها الى ميدان الكرامة ، انها معركة الزوجة التى ودعت رجلها الى ميدان الشرف ، انها معركة الابنة التى عانقت أباهـــا وتمنت له النصر ... » ..

وبدأت جهود اعلامية ضخمة تعاون فى زرع صورة جمـــاهيرية لجيهان السادات باستغلال نشاطها وكثفت الصحافة المصرية ، بل والاجنبية من نشر صور السيدة جيهان وهى تقوم بأداء دورهـــا الانسانى ، وأكثرت من الاحاديث الإذاعية والتليفزيونية والصحفية ، التى تهدف الى رسم الصورة الجديدة ..

وفيما بعد بدأت السيدة جيهان تروى للصحف قصصـــا عن اهتماماتها بالسياسة ، وتصنع لنفسها تاريخا مختلفا .. فقد اهتمت بالسياسة منذ طفولتها بينما كان والدها ووالدتها بعيدين عن هـــذا المجال وكان يحذرها منذ طفولتها من الاقتراب من هذا الميدان « ولقد ولدت فى القاهرة كان ابى موظفا فى البنك وهو أصلا من مواليد قرية فى الصعيد ، أمى انجليزية من مانسفيلد ، وهـــو الان هنـــا .. تعيش اليوم هنا ، ترتيبى الثالثة ضمن خمسة ابناء ، ولـــــدان وثلاث بنات ... تلقيت تعليمى فى القاهرة ، وعندما بلغت ســـن الخامسة عشرة كنت مثل كل الفتيات مكتملة النمو ... فى هـــذه السن بدأت أهتم بالسياسة وهذا الاتجاه لم يجد له تفسيرا عنـــد والدى او اخوتى ... لا ابى ولا أمى كان لهما اهتمامات سياسيـــة كنت أمضى وقتى فى قراءة الجرائد اليومية ، وسماع الاذاعة واسأل كثيرا عما يدور فى مصر وفى العالم ، وفى هذه الفترة أيضا سمعت لأول مرة عن أنور السادات كنت فى السويس أمضى العطلة الصيفية عند ابنة عمتى ــ كان زوج ابنة عمتى لا يكف عن الحديث عن أعز صديق له وهو أنور السادات ، حكى لى كيف أعتقل مع أنور السادات وكيف نجحا فى الهروب وفى هذه الفترة كان أنور فى السجن بتهمة اشتراكه فى اغتيال رئيس الوزراء المصرى بالطبع لم يشترك أنور فى هـــذه الجريمة ، ولكن بحكم نشاطه السياسى فقد ألقى القبض عليه وأصبح أنور قريبا منى دون أن أتعرف عليه وعلمت أن أسرته من ريف مصر

وانه كافح كثيرا وضحى وتعذب ، واضطر للعمل كسائق وشيال قبل ان يعود للجيش . . واذكر انى اثناء محاكمته كنت اتلهف على شراء الجرائد لمعرفة حكم القضاء فيه . . ولم اكن قد التقيت به بعد ، وجاءت الفرصة الاولى للقائه . . . يوم احتفال اسرتى بعيد ميلادى الخامس عشر ، واذكر انى بكيت من الفرح فى هذا اليوم . . . شعرت انى أعرفه منذ زمن بعيد . . تسألوننى كيف كان فى هذه الفترة ؟ . . تماما مثل ما هو عليه اليوم . . كان لطيفا وحانيا . . . قليل الكلام لايحب الثرثرة ، وتبادلنا الاعجاب ، وأعلنت خطبتنا ولم يتم زواجنا الا عندما بلغت السادسة عشرة وهى السن القانونية لزواج الفتاة عندنا . . وكان زواجا تقليديا . . . وأثناء الاحتفال بزواجنا نثر فى طريقنا الملح وعملات نحاسية وهو تقليد نتفاءل به » . ومضت سيدة مصر الاولى تقول (١) استأجرنا شقة صغيرة تتناسب مع مواردنا وكانت قليلة . . كان زوجى يعمل صحفيا ، وبعد شهر من زواجنا رجع الى الجيش . . . ومن ناحيتى واصلت تعليمى وحصلت على « شهادة البكالوريا » . . . ثم جاءت فترة الثورة وانجاب الاطفال ، فانقطعت عن الدراسة لاتفرغ تماما لتربية اطفالى . . وكنت قد رزقت بابنتين . . . فى هذه الفترة ازدادت مخاوفى على الصغيرتين وعلى زوجى . . كنا نسكن على النيل وعندما أسمع طلقات المدافع كانت دموعى تنساب خوفا على أسرتى لعلمى أن زوجى يقوم بأنشطة خطيرة لصالح الوطن . . واذكر انه فى أحد الايام ، وكانت الساعة الثالثة صباحا ، ولم يعد أنور بعد . . سمعت دوى الرصاص حول البيت . . . فاعتقدت أنهم اغتالوا زوجى ، وانفجرت باكية . . وفجأة جاء أنور ، ولم يفهم سر بكائى فسألنى : « لماذا تبكين » فحدثته عن مخاوفى ، فأجابنى بثقة كبيرة : جيهان . . يجب أن تؤمنى بتدرى لا يمكن لاحد أن يغتصب لحظة واحدة من حياتى . . . وعادت الى

---

١ - راجع البحث عن الذات لتكشف التناقض الكبير بين رواية سيد مصر الاول وسيدة مصر الاولى .

شجاعتى كما وضع هذا الحادث حدا لمخاوفى ..

فى عام ١٩٥٧ رزقنا بطفلنا الثالث ... ابننا الوحيد .. اقترحت أن يطلق عليه اسم والدى ، ولكن زوجى فضل أن يسميه باسم الرئيس الراحل جمال صديقه وزميله فى الكفاح .. ان زوجى يحيط أولادنا بحب كثير وحنان بالغ ... أما ابنتنا الصغرى فهى تحمل نفس اسمى « جيهان » وقد بلغت الخامسة عشرة وتمت خطبتها ولكنها لن تتزوج قبل سن السادسة عشرة مثلى تماما ..

وعندما كبر أولادى بدأت اهتماماتى بالانشطة الاجتماعية أثناء حرب ١٩٦٧ ، كان زوجى رئيسا لمجلس الشعب فقررت أن أقوم بدورى ... قمت بزيارة الجبهة محاولة رفع معنويات الجنود ... وفى حرب اكتوبر رجعت للجبهة مرة أخرى .. وكان زوجى قد أصبح رئيسا للجمهورية ، ومنذ هذا التاريخ وأنا أردد على نفسى سؤالا يوميا : كيف يمكن أن أفيد بلدى ؟ قررت أن أهتم بقضايا المرأة المصرية ... انشأت جمعية تلا بهدف مساعدة المرأة أن تحقق ذاتها وأن تتحرر من التقاليد الجامدة التى تعوق حركتها واستقلالها ... ويجب أن تتقن مهنة تساعدها على كسب قوتها ، وقد بدأت هذا المشروع منذ عام ١٩٦٧ عندما حقق المحافظ طلبى وأهدى المشروع مبنى قديما .. لقد بدأت المشروع من الصفر ... وعندما طلبت مساعدة زوجى قال لى : « لا أريد مساعدتك الان .. لن أساعدك الا اذا نجحت » ... لقد نجحت والحمد لله ... وللان لم يقدم لى المساعدة التى أنتظرها منه والسبب كما يقول لى دائما ، انى نجحت ولا أحتاج لمساعدة ... واليوم تملك جمعية تلا أكثر من ٣٠٠ آلة للنسيج والحياكة وشغل التريكو .. ومع ذلك لا أستطيع التأكيد انى نجحت تماما لان وضع المرأة لايزال معقدا فى بلادنا .. لم تنل بعد المرأة المصرية كل الحقوق التى حصلت عليها المرأة الاوربية ، ان ابنتى الوسطى تنتظر طفلها الاول وفى قرارة نفسى أتمنى أن ترزق بولد لان المرأة المصرية لم تصل بعد الى المكانة التى أرجوها لها ..

والذى اريد ان اقوله وان يتفهمه الجميع هو أننا ، نساء ورجالا ، نحتاج الواحد للاخر ؛ نجاحنا يتوقف على مدى تعاوننا كما يجب أن نقبل على عملنا بايمان وحب لا فرق بين الرجل والمرأة ... ان أمامنا مشوار طويل من التفهم والاقتناع ... أذكر مثلا بسيطا ... عندما كنت فى أمريكا سألتنى احدى الصحفيات : « هل تؤيدين التعقيم ؟ » فأجبت : نعم ... وفى اليوم التالى تصدرت الصحف عناوين كثيرة : « مدام السادات : نعم للتعقيم » .. فتساءلت : كيف سيكون تأثير ذلك على الراى العام فى بلادى ؟ .. وحاليا أوجه اهتمامى « للوفاء والامل » .. لقد قمت بتأسيس هذه الجمعية لايمانى بمساعدة المعوقين من رجال الجيش أو المدنيين .. لقد راودتنى هذه الفكرة عندما وصلتنى رسالة من معلمة شابة اسرائيلية تبحث عن جثة اخيها فقد بعد عملية رجال الضفادع البشرية بالقرب من بور سعيد لم استطع أبدا تجاهل هذه الرسالة .. فأخذت على عاتقى قرار الرد على هذه المراة واتخذت القرار من واقع احساسى كأم .. وكنت صادقة مع نفسى ..

بعد هذه القصة الطويلة التى روت فيها تاريخ حياتها من وجهة نظرها يكون لنا تعليق واحد ... وسريع ، وهو أنه اذا كانت كل الروايات ، بما فيها رواية السيدة جيهان نفسها ، والسادات نفسه تجمع على أن زواجهما قد تم أثناء فصله من الخدمة العسكرية ، وهو يعمل فى المقاولات فان الملفت للنظر أن صورة زفافهما والتى نشرتها الصحف بعد أن أصبح رئيسا أكثر من مرة ، يبدو فيها السادات وهو يرتدى الملابس العسكرية فى وقت لم يكن عسكريا .. فهل كان على وعد بعودته الى القوات المسلحة .. أم أنه ارتكب جريمة تزوير بارتدائه هذه الملابس ليلة زفافه ... سؤال حائر ... وما أكثر الاسئلة الحائرة فى قصة جيهان وأنور ..

- **لقب ام الابطال ..**

وبدأت السيدة جيهان تطلق على نفسها لقب ام الابطال من خلال

القصص التى نشرتها الصحف على لسانها ، وهى تعمل على اقامة الصورة الجماهيرية لها .. وسوف نجد السيدة جيهان تروى قصصا مشابهة للصحافة حول السلام ، عندما بدأ زوجها اتصالاته بالعدو الاسرائيلى قالت السيدة جيهان عن حرب اكتوبر : « أول بيان رسمى أذيع عن العبور وقد رددته كل الاذاعات وتلقفته كل الاسماع بشيء من الذهول الذى أعقبه فرح شديد تملك حواسنا .. كان رائعا فى وقعه على الاذن .. شكل فى مضمونه لحظة من أسعد لحظات العمر التى انتظرناها طويلا .. هذا البيان بنصه وأسلوب تلاوته كان نغما .. لا يمكن ان تنمحى عذوبته من الذاكرة أو الخاطر ابدا .. وأجمل عبارات سمعتها من أبطالنا الجرحى كانت كلمة أمى أو ماما جيهان ، هكذا كانوا ينادوننى . لقد تفجر فى لحظة كل رصيد الحنان فى قلبى فشعرت انهم أولادى حقيقة .. وانهم فى حاجة الى وجودى على مقربة منهم .. نفس احساسى تجاه أولادى وهم فى فراش المرض .. كنت أمر فى أحد العنابر وعندما اقتربت من أحد الاسرة سمعت واحدا من أولادى الجرحى يحملنى السلام الى عمه الحاج انور السادات .. هذا الاسلوب الطيب المميز لاهل ريف مصر فى احترام الكبير شدنى وهزنى من أعماقى فى لحظة صدق .. ثانى يوم الحرب مباشرة ذهبت الى مستشفى المعادى للاطمئنان على أبطالنا الجرحى .. كنت أشد على أيديهم مشجعة ، وامتدت لى يد أحد الابطال الجرحى وبينما كنت أحييه انحنى على يدى محاولا تقبيلها قائلا : هذه اليد يا أمى .. هى اليد التى غرست بها العلم المصرى فوق أرض سيناء ... بهذه اليد غرست العلم وحظيت بشرف عظيم .. لم أملك فى هذه اللحظة الا أن أنحنى أنا بدورى لاقبل هذه اليد .

● وحتى الاولاد ايضا ..

وضمن الموجة العاتية لغرس حب الناس لجيهان ، وتقديمها فى صورة امرأة بسيطة عادية متفانية فى خدمة أسرتها وبلادها كان للابطال تكتب رئيسة تحرير احدى مجلات الاطفال مقالا بمجلة الهلال

تساهم فيه فى هذه الحملة . وتتحدث ليس فقط عن دور جيهان .. ولكن دور أولادها الصغار ايضا فى رعاية المقاتلين وأسرهم ... فهى تصحبهم معها دائما حتى تشارك الاسرة كلها فى المعركة ... قالت رئيسة التحرير فى جزء من مقالها : ستظل مصر تذكر لها تلك الوقفة الشجاعة من تلك الايام المجيدة فى شهر أكتوبر ٧٣ وما بعده ... عندما نزلت الى الميدان وعبرت بجهادها عن المرأة المناضلة الاصيلة ... ومع اشراقة كل فجر جديد كانت تتوجه مع بناتها : لبنى ونهى وجيهان وتصحب معها ابنها جمـــال الى المستشفيات .. وحملت على أكتافها مسئولية رعاية جراح وحياة مقاتلى مصر البواسل ... ان نزولها ومعها أولادها الى الميدان لايقل شرفا وفخرا عن القتـــال فى ميدان وساحة الشرف ... وهذا الحماس وهذا الجهاد مـــــاذا وراءه من فكر ومن فلسفة ؟ كانت تقصد بهذا أكثـــر من معنى : أن يعرف اولادها الجندى المصرى على حقيقته ، والمعنى الاخـــر : أن الاسرة كلها تشارك فى المعركة : الاب فى الميدان ، والام والابناء فى خدمة المقاتلين ، وان تملأ الحياة داخل المستشفى بدفء وحنان الاسرة ... وكشفت الاحداث عن معدنها النادر عندما ضربت المثل بحركتها العميقة الشاملة فى أوج المعركة ، واستطاعت أن تجذب ســـفيرات العالم وصحفياته الى عنابر الجرحى ليشهدوا ويستمعوا بأنفســـهم حقيقة البطولة والتضحية والفداء ، بينما ذات الـــرداء الابيض فى حركة مستمرة ، تقضى يومها كله فى العنابر مع الابطال ، لتتحـــرك على سجيتها ، وفى بساطة وبابتسامة مطمئنة ، وكلمة حلوة مشجعة تطعم جنديا ، وتستمع لاخر وتتحدث الى مقاتل وتسأله عن جرحه ، وتطمئن على مراحل العلاج ... وبهذه الروح استطاعت أن تحول الطب من مشرط وجراحة وحقنة ودواء الى عـــلاقة انسانية ، وأن تحول الالم الى أمل وتقول : « ان ما ابذله من أجل أبطالنا المقاتلين ليس شيئا بجانب ما قدموه لنا جميعا ... ضحوا بالروح ، بنـــــور العينين ، بالاطراف المبتورة ... كيف يجوز مقارنة تضحياتهم بأى جهد يبذله اى واحد منا مهما بلغ مقدار هذا الجهد ؟ ومن موقعى هذا

لو أننى استطعت أن أخدم ، وأن أقوم بدور ... لم لا ؟ بالعكس هذا واجبى وهذه مسئوليتى » ...

وحبها للجنود لا يتسع له غير قلب الام ... وحب الجنود لهـــا واحساسها بالواجب نحوهم يشعلها حماسة ، ويعطيها أجنحـــة تحلق بها ... وعندما تم اختيارها أما مثالية تقول : « اننى أعتبر ، وبكل مشاعر العرفان ، أعتبر ما جرى تكرما وليس تكريمـــا ، هو تشجيع لكل مواطنة مصرية ، ولى كواحدة من ملايين المواطنات ... هو كدعوة مشكورة الى مزيد من الجهد عن طريق الفجر الجديد » .

وهكذا استطاعت أن تعطى لدور المرأة معنى جديدا ، فالنضـال يعتمد على الجهد والعمل والكفاح ، وان يجند الانسان نفسه فى سبيل الخير والارتقاء والتقدم والتغلب على مصاعب الحياة ... وجهادها فى كل مجال لا يشغلها عن مواصلة الدراسة ، وتختار قسم اللغـــة العربية فهى الحركة المتواصلة بلا تعب أو ملل ، من أجل أن تحقق هدفا وراء هدف ..

انها نموذج مشرف للمرأة العصرية فى موقع القيادة فى تاريخ مصر ... انسانة جادة بلا تكلف ، مثابرة وصلبة بلا تعال ، تعطى الحياة بلا حساب وتهب فى كرم بلا حدود ، تقف مع رجل مصر من أجـــل التحرير والبناء وتثبت ببساطة أن المرأة على أرضنا شريكة الرجل فى صنع الحياة .. والى جانبه .. والنساء من نوعها نادرات ... » .

حقا صدقت الكاتبة ، فان النساء من نوعها نادرات كمــــا سنرى ..

.. و .. سيدة العالم الاولى أيضا :

بعد الحرب بدات سنوات الصعود .. واتجهت أم الابطال الى الزحف نحو مواقع جديدة .. فقد تم رسم الصورة الجماهيرية لهـا وكان عليها أن تتجه الى :

- اقامة مشروع الوفاء والامل ، تحت اسم خدمة أبطال الحرب .
- أن تصبح السيدة الاولى ، وهو اللقب الذى سيطلق عليهـا وتشتهر به بداية من التقارب المصرى الامريكى .
- أن ترسم لها نفس الصورة خارج مصر ، وأن تحتـل مكانة لدى الغرب اسوة بزوجها .

وكانت الوسيلة المثلى لذلك هى مزيد من التلميع الاعلامى فى مصر عن طريق حفلات التكريم ، ومنحها الاوسمة فى احتفالات تذاع على الهواء مباشرة .

ميداليات ودروع من قيادات الجيش المختلفة تقـديرا لجهودها اثناء المعركة .. الى قلادة القاهرة ، باعتبارها أم الابطال قدمها لها الدكتور محمود عبد الحافظ محافظ القاهرة فى حفـل تكريم أمهـات شهداء العاصـمة !!

وسام التقدير للخدمات الصيدلية للمعركة من نقابة الصيادلة .. شهادة الزمالة الفخرية من نقابة الاطباء .

حفل تكريم تقيمه عضوات مجلس الشعب بقيادة كريمة العروسى التى قالت أن تكريم السيدة جيهان ، يجىء من أجل مبادئك فى تحرير المراة وتكريمها برد عزتها ، وحريتها كاملة !

ويقام مؤتمر المراة والمعركة فى أواخر عام ١٩٧٤ ــ بعد المعركة ــ

وتراسه السيدة جيهان ويحضره كبار المسئولين فى الاتحاد الاشتراكى وفى الحكومة وتفتتح هى المؤتمر بخطاب تقـول فيـه ان دور المراة فى المعركة المصيرية قائم ومستمر وانه يتحدد فى ٧ قضايا على المراة أن تلتزم بها .. وتحدد هى هذه النقاط ، كما ترسم الدور الذى على المراة القيام بـه .

وفى نوفمبر ١٩٧٥ انتخبت رئيسـا للمجلس الشـعبى لمحافظـة المنوفية ، بالتزكية ، وقد أفتتح نايل شوكت محافظ المنوفية جلسـة المجلس قائلا « ان أم الابطال استعذبت العمل المتواصـل وانهـا استطاعت أن تملأ ارجاء مصر بنبض الامل فى حياة تظلهـا أسـمى المبادىء واشرف المعانى » .

وتختار رئيسة لجمعية الهلال الاحمر ، بينمـا تعين وزيرة الشئون الاجتماعية عائشة راتب نائبا للرئيس !

قرينات السفراء الافارقة يقمن لها حفل تكريم فى النصف الثانى من ديسمبر ١٩٧٥ .

المحافظات ، والهيئات والجمعيات النقابات تتسـابق فى تكريم ام الابطال وأم الشهداء .. والحفلات تذاع على الهواء .. والسيدة جيهان تلقى خطب الافتتاح فى تواضع شديد .. بينما يجلس الوزراء وكبار المسئولين حولها يستمعون الى حكمتها ، وتوجيهاتها وينهلون من علمها الغزير ، ولم تكن قد دخلت الجامعة بعد !

حتى المؤتمرات العلمية المتخصصة جدا كانت السيدة جيهان تقوم بافتتاحها .. وتلقى فيها خطابا « علميا » مناسبا .. ويستمع العلماء والوزراء الى بلاغة السيدة الاولى .. ولا احد يعرف هل كان الوزراء سعداء بتوجيهاتها ، وبأنها تتقدمهم الى افتتاح المؤتمرات أم لا ، غير أننا لم نسمع أن وزيرا قد اعترض أو امتعض أو أن صورته قد ظهرت على الشاشة الا والابتسامة تغطى كل وجهه ! وهـكذا راست الجمعيات ، وحصلت على عضوية شرف النقابات والهيئات .. كما حصل زوجها على عضوية شرفية فى كل النقابات والهيئات واصبح رئيسا لكل الطوائف والمهن والحرف !

وابلغت الصحف بتعليمات محددة الا تنشر اية صورة للسيدة الاولى الا بعد ان تعرض الصورة على مكتبها ، وتحصل على موافقة كتابية بنشرها .. حتى لا تنشر صور لا ترضى عنها السيدة الاولى . وكانت قد لاحظت ان بعض الصور لا تبدو فيها جميلة بالدرجة المطلوبة أو ان التجاعيد تظهر على وجهها .

الان أصبح للسيدة مكتب يوازى مكتب الرئيس .. ولها سكرتارية ، وقسم للمعلومات ، وأصبحت الرسائل توجه اليها ، وتؤشر عليها ، وتخرج منها الى الوزراء حاملة قرار السيدة الاولى للتنفيذ !

واصبحت تقارير الدولة تعرض عليها ، وكان مكتبها نشيطا فى المتابعة ، وفى عرض كل الامور .

فالرئيس لم يكن يقرأ .. ولم يكن يسمع .. كان يتكلم فقط ، وتلك هى طبيعته فيوم جاءه سامى شرف يعرض عليه فور توليه الرياسة تقارير الرأى العام والحالة الاقتصادية ، واقوال الصحف العربية والاجنبية فزع من حجم الملفات التى يحملها وزير شئون رياسة الجمهورية لمجرد رؤيتها كما سبق أن روينا ..

ويوم صدر كتاب ـ تجربتى ـ لصديقه وصهره ومستشاره عثمان أحمد عثمان وكان حديث الرأى العام صرح السادات بأنه لم يقراه ، وأنه يضع الى جوار السرير كتابا سياسيا ، ورواية عاطفية وقصة بوليسية ، ليطلع عليها قبل أن ينام .. وان كتاب صهره الى جوار السرير لم يقراه ، ولكنه قرأ فقط المقالات المكتوبة عنه فى الصحف .

واغلب الظن أنه حتى هذه سمع بها ولم يقرأها . كما انه كان قد سمع ولاشك من صهره كل تفاصيل كتابه ، ووجهه الى كتابته ..

وكان المرحوم دائم الترحال بحثا عن الامن .. الغذائى .. لا يستقر فى عاصمة « ملكه » .! وكما تقول مديرة مكتب التليفزيون الامريكى فى القاهرة دورين كايز فى وصف رحلات السادات فى أسبوع

واحد « انى فى تلك الايام اجريت حسبة خرجت منها بنتيجة ان معدل ما يقضيه السادات من وقت محلقا بين السماء والارض وباستثناء رحلاته الطويلة الى مقره الشتوى فى أسوان يفوق بمراحل متوسط ما يقضيه الطيار التجارى المحترف على متن طائرته .. وقد شجعنى التأكد من هذه الحقيقة على ادراك حقيقة اخرى اهم كنت دائما أشك فيها ، تلك هى أن السادات فى الواقع لم ينزل الارض ابدا منذ زيارته للقدس ، ولعلى لا اوهم هو على رغبته فى البقاء فوق السحاب بقدر ما الوم التليفزيون الامريكى الذى زين الصورة له حتى أصبحت بالنسبة له نوعا من الادمان » .

المهم انه بينما كان السادات يعيش فى ادمانه على حد التعبير الامريكى للكاتبة كانت زوجته مستقرة فى عاصمة الحكم ، تقرأ التقارير وتدير أمور الدولة .. وتلتقى بالوزراء وتحضر المهرجانات وترأس المؤتمرات ، وتقابل حتى الادباء والصحفيين الذين أحاطوا بها وكونوا شلة تدعى الاخلاص والولاء لها .. وحاولت اقامة صالون أدبى ، وآخر نسائى .. ولاشك ان كثيرين من الذين ترددوا على هذه الصالونات يخشون الان أن تنشر أسماؤهم ، ويكتشف موقفهم .

المهم أنها كانت تتابع كل أمور الدولة .. مهتمة بالاعلام .. يوم أصدر السادات أمرا بمنع مصطفى أمين من الكتابة بعد أن هاجم النواب الذين هرولوا للانضمام للحزب الوطنى تاركين حزب مصر بمجرد أن اعلن السادات عن عزمه تشكيله حتى قبل أن يعد برنامج الحزب ، يومها اتصلت السيدة جيهان بمصطفى أمين لتقول له أنه أصبح بطلا قوميا .. وتستدرجه فى محاولة فهم ما اذا كان سيهاجر من مصر على حد قوله ..

ويوم قالت الراقصة فيفى عبده فى برنامج تليفزيونى انها من قرية ميت أبو الكوم وكان البرنامج يذاع عندما اتصلت السيدة جيهان بوزير الاعلام ، متهكمة على البرنامج وان ميت أبو الكوم أصبحت تنجب راقصات ومنع البرنامج من التليفزيون نهائيا وأبعد مقدم

البرنامج عن الشاشة الصغيرة ، وحطرت صورة الراقصة وأعمالها من الظهـور .

والحقيقة ان الراقصة لم تكن تقصد الاساءة الى ميت ابو الكوم ولكنها كانت تفخر بقريتها .

وكان مقدم البرنامج قد حضر فى الاسبوع السابق احتفالا بزفاف ابنة الرئيس . . وهناك رقصت فيفى عبـده ، وعلم أنهـا من ميت ابو الكوم ، فأراه كنوع من التزلف والتقرب أن يقدم الراقصـة فى برنامجه الاسبوعى ، ولكن النتائج كانت عكس ماشاء له نفاقه تماما !

وكانت السيدة جيهان قد اعتبرت الرقص عيبا . . وانه لا يجوز أن تنجب قرية الرئيس احدى الراقصات .

ورغم ان الرقص ليس كذلك . . فان كل قرية لابد أن يكون فيها الصالح والطالح . . ولا يمكن ان تشذ عن ذلك قرية لمجرد أن المرحوم كان ينسب اليهـا !

وقد يكون لديها عقدة من الرقص منذ سرت اشاعة لاشك انهـا كاذبة حول قيامها بالرقص الشرقى بعد أن « تحزمت » فى سـفارة المغرب ، وكانت المناسبة هى عيد ميلاد الملك الحسن ، وكانت هذه الاشاعة قد سرت ذات يوم عقب اعتكاف السادات وابتعـاده عن موقعه أيام عبد الناصر وقالت الاشاعة أن عبد الناصر غضب عندما علم برقص زوجة السادات ، وانه أبعده . . ولا أحد يعلم لماذا . . عاد . . الا أن تكون الاشاعة كاذبة .

● امبراطورتا مصر وايران :

تدخل السيدة جيهان فى مختلف أمور الدولة سيبدو فيما بعـد أكبر من ذلك بكثير . . اذ تتعدى المسائل الصغيرة الى رسم سياسة الدولة . . وأن تصبح ذات السلطة الحقيقية خلف الستار أحيانا . . بل وفى وضوح فى أغلب الاحايين !

ويمتد بعد ذلك نشاطها المتشعب الى خارج مصر . . .

وقد بدأت زياراتها للدول الاجنبية مع الرئيس الذى كان يصحب معه فى المهام الرئيسية والرسمية كل أفراد عائلته ، أولاده .. وازواج بناته ، وزوجة ابنه وأحفاده منهم .. بل لقد صحب معه ذات مرة خطيبة ابنه قبل أن يتزوجها !

ويوم ذهب لزيارة المانيا ، كان يجرى محادثات مع المسئولين بينما يذيع التليفزيون الالمانى برنامجا مدته ٤٥ دقيقة عن السيدة جيهان ونشاطها .

وكانت هيئة الاستعلامات قد أعدت كتيبا عنوانه مصر .. وباللغة الالمانية وضعت على غلافه صورة جيهان السادات .. كأنها هى مصر .. أو هى رمز مصر السادات ! وعلى كل فقد أصدرت هيئة الاستعلامات عشرات الكتيباتتحت عنوان « جيهان السادات » وهو أمر لم نسمع له مثيلا من قبل أو من بعد ..

وفى نفس الوقت عند زيارته لالمانيا كانت كاتبة المانية اسمها أناجريت فينكل تصدر كتابا عنوانه جيهان السادات .

وكانت السيدة جيهان قد ذهبت الى المكسيك فى يوليو ١٩٧٥ على راس وفد اعلامى كبير لحضور مؤتمر المراة العالمى .. ومرت فى طريقها بأسبانيا حيث إستقبلت استقبالا رسميا .

لقد كان ذلك العام فرصة مواتية للظهور والنشاط .. فهو العام الدولى للمرأة .. ومن أجلها — ولاشك وجه الرئيس كلمة بهذه المناسبة قال فيها أن اختيار الامم المتحدة لعام ١٩٧٥ كعام عالمى للمرأة يعتبر تعبيرا صادقا عن ايمان شعوب العالم بضرورة دعم الدور البناء الذى تؤديه المرأة .

وقالت السيدة جيهان فى كلمتها « ان المرأة ليست نصف المجتمع فقط بل هى جزء كبير من قلبه وضميره وفى قدرتها أن تضيف الى الرجل جهدا ملحوظا للانتصار على المعوقات » .

وقال كتاب أصدرته وزارة التعليم العالى بهذه المناسبة : ان مصر اشتركت فى مؤتمر المكسيك بأكبر وفد نسائى مثلها فى أى

مؤتمر سابق برئاسة سيدة مصر الاولى السيدة جيهان السادات وعضوية ١٨ عضوا .

وقالت « وكان وجود سيدة مصر الاولى على راس الوفد من العوامل الرئيسية التى ساهمت فى نجاح المؤتمر كما أضفى وجودها هالة كبيرة على مكانة المرأة فى مصر وقد القت سيادتها كلمة وفد مصر أمام اللجنة العامة وقوبلت بالحماس من جميع الوفود وكان لها أبلغ الاثر فى اظهار المكانة الممتازة التى بلغتها المرأة المصرية بين نساء المجتمع الدولى .

وعندما بدأت العلاقة تتوطد بين شاه مصر وشاه ايران .. توطدت العلاقة أيضا بين امبراطورة مصر وامبراطورة ايران .. وفى يونيو ١٩٧٦ ذهبت السيدة جيهان لزيارة الشهبانو .. وقالت لها الشهبانو :

« ان بامكاننا أن نتبادل الخبرات ونستفيد من تجاربنا بين مصر وايران » ..

ورحبت السيدة جيهان « فان المرأة المصرية حصلت فى العام الماضى على حق هام من حقوقها فقد اصبح من حق المرأة المطلقة أن تحصل على ٤٠٪ من مرتب زوجها كنفقة خلال ٢٤ ساعة من وقوع الطلاق ولابد أن اقرر ان الامبراطورة فرح قد حولت هذا اللقاء الى فرصة للتفكير الجاد ، لقد غيرت الامبراطورة المفهوم المعتاد للقاءات ، وجعلها مناسبة مفيدة لنا جميعا .

وكانت السيدة جيهان قد تفقدت كل انشطة المرأة الايرانية فى الخدمة العسكرية أو فى كتائب الفتيات الايرانيات للثقافة ، وقالت « ان نساء مصر سيناضلن مع نساء ايران لرفع مكانة المرأة » .

وفى هذا اللقاء اشادت وزيرة شئون المرأة فى ايران بما قدمه الشاه والشهبانو من قيم العدالة والحرية فى المجتمع الايرانى . وقد امتدت العلاقة الخاصة مع الشاه والشهبانو بعد ذلك وخاصة بعد أن لفظته بلاده .. واستضافه السادات .. وتوطدت العلاقة لا بين

المرحوم والمرحوم .. ولا بين الارملتين ، ولكن أيضا بين الصبيان والبنات ... بين أولاد الشاه وبناته ، وبين أولاد السادات وبناته . ولقد كان مثيرا حقا أن يطلق السادات اسم الشهبانو على ميدان « تريمف » بمصر الجديدة دون مبرر مقبول ، وخاصة انها لم تقدم لا لشعبها ، ولا لمصر ما يستوجب مثل هذا التكريم — الا أن يكون ذلك وفاء لامور غير معلومة !

ثم قامت السيدة جيهان برحلة الى آسيا .. زارت خلالها تايلاند وماليزيا وأندونيسيا ، ثم زادت الفاتيكان فى شهر نوفمبر ١٩٧٦ فى مهام رسمية الى الخارج مصحوبة بوفود اعلامية ووزراء أيضا .. ويكفى فقط أن نضرب مثلا واحدا لهذه الزيارات :

● **الفلسطينيون الارهابيون :**

فى يوليو ١٩٨٠ ذهبت السيدة جيهان على رأس وفد نسائى واعلامى ضخم وفى طائرتين خاصتين احداهما طائرة الرئيس لحضور مؤتمر المراة العالمى فى السويد الذى عقد تحت شعار المساواة التنمية السلام .

وعندما جاء الدور على مصر لتلقى كلمتها فى المؤتمر كان طبيعيا ان التى ستلقيها هى جيهان ..

وانسحبت كل مندوبات الدول العربية وتركن القاعة عندما وقفت السيدة جيهان لتلقى كلمتها .. بينما كانت الصحف والمجلات المصرية تضعأقواسا وهى تتحدث عنحماسة الاستقبالات وحرارتها وأدلت السيدة جيهان بحديث للتليفزيون قائلة ان تصرفات العضوات غير ناضجة ، وأن وراءها بعض الدول الشيوعية !.. نفس الكلمات والحجج التى كان يرددها المرحوم !

وقالت ان السلطات السويدية كشفت محاولة لاختطافها أثناء وجودها فى العاصمة السويدية كوبنهاجن ، وان الذين قاموا بالمحاولة من « أصل فلسطينى » وان هدف المحاولة هو مطالبة مصر بترحيل شاه ايران السابق الموجود بمصر الى طهران .

وقد انتهز ابراهيم سعده هذه الفرصة لكى يكتب عن الفلسطينيين قائلا « هكذا هم .. وهكذا سيبقون دائما .. مجـرد عصـابات ارهابية لا هم لهم سوى الارهاب والسعى فى الظلام .. انهم جبناء تركوا عدوهم الحقيقى وتفرغوا لارهاب الذين أطعموهم ووقفوا الى جانبهم وعملوا على استرداد حقوقهم الضائعة .. خافوا المواجهة مع الذين سلبوا ديارهم ، وطردوهم من أراضيهم ، وحولوا شعبهم الى لاجئين وسكان مخيمات .

تخلوا عن شعبهم ، وتنكروا لاهداف أمتهم وتحولوا الى عصابة لاختطاف الطائرات المدنية ، واغتيـال العزل وارهـاب الابريـاء واحتجاز الرهائن .

وفى نهاية مقاله قال انه « كانت صورتهم بشعة وصورتهم اليوم اصبحت أكثر بشاعة ، وأكثر وحشية وأكثر جبنا .. انهم يتاجرون بآلام الشعب الفلسطينى المنكوب بالعصـابات التى تحكمـه والتى تتحدث باسمه وتطالب بحقوقه فى حين أن تلك العصابات لا هم لها سوى اثراء جيوبهم ، وارهاب أصدقائهم ، ونهب شقائهم !

وقالت السيدة امال عثمان « ان ممثلات الدول العربية عنـدما انسحبن من الجلسة اثناء القاء السيدة جيهان لخطابها كن متأثرات وانهن انسحبن رغما عنهن » ، وكان واضحا ان هذا الموقف لا يعبر عن رايهن الحقيقى كأفراد حيث كانت لقاءاتهن معنا ودية .

● سيدة العالم الاولى :

بدات الدعوات تنهال على السيدة جيهان لزيارات رسمية لدول العالم ، باعتبارها المفتاح الحقيقى لامور كثيرة فى مصر .

ومع الزيارات تنهال الهدايا .. وحفلات التكريم .. بل وشهادات الدكتوراه . بل ان ٣ جامعات امريكية ، قررت فى يوم واحد ١٢ مارس ١٩٨١ منحها شـهادة الدكتوراه الفخـرية لجهودها فى الخـدمة الاجتماعية ، وخدمة المعوقين هى جامعات شيكاغو ، وسـانت كارولينا ، ونيويورك .

وقد بلغ عدد شهادات الدكتوراه الفخرية التى منحت لها تسعة !
فى باريس تم اختيارها فى يناير ١٩٨١ كأهم شخصية نسائية فى العالم .. وقالت جريدة الاخبار فى صفحتها الاولى ان الاختيار تم بواسطة مجموعة من الشخصيات التى تتميز بالكفاءة والصلاحية فى كل المجالات التى تعمل بها الشخصيات التى يجرى اختيارها مما ذكر الناس بجائزة الكوكب الذهبى التى نصب بها أحد الافاقين فى مصر متعاونا مع بعض حاشية الرئيس [1] .. وهكذا لم يكف السيدة جيهان بأن تصبح سيدة مصر الاولى .. بل أصبحت أيضا سيدة العالم الاولى ..

ولم يكن الشعب المصرى راضيا ، ويكفى ان نذكر شهادة دورين كايز مديرة احدى شبكات التليفزيون الامريكى فى القاهرة عندما كتبت تحلل اسباب قتل السادات قائلة « انه لم ينتبه الى الانطباع السىء الذى تتركه تصرفات السيدة جيهان زوجته لدى عامة المصريين ، واذا كان الغرب قد أعجب بميلها الواضح للنمط الغربى فى الحياة ودفاعها الحار عن حقوق المرأة ، وتنظيم النسل وسعيها الحثيث للحصول على شهادات دراسية أرقى فان الشعب المصرى كان يزداد سخطا على تدخلات هذه السيدة فى سياسته واقتصادهوحياته وكان يضيق بتشبهها باميلدا ماركوس قرينة الرئيس الفلبينى ، ومحاولتها تأكيد أنها القوة المسيطرة وراء رأس السلطة وبروزها كسيدة أعمال ، وصاحبة ثروة تتضاعف بسرعة بلا مسوغ مشروع ، هذا فضلا عن العديد من الاشاعات التى تتناول حياتها الخاصة والعامة والتى لابد أن ينعكس أثرها على صورة الرئيس .. ! » .

• الوضع الدستورى لجيهان :

وقد يكون من أفضل ما نختم به هذا الجزء من قصة حياة سيدة مصر الاولى والاخيرة هو ما كتبه الدكتور حلمى مراد فى جريدة

---

١ ـ عقارب وضفادع ترجمة مصطفى كمال .

الشعب « ٢٤ مارس ١٩٨١ » تحت عنوان « الوضع الدستورى لحرم الرئيس » جاء فيه بالنص :

« اننا فوجئنا بوقوع بعض المفارقات أثناء مزاولة هذه الانشطة التى تعددت واتسعت ، وبدخول ميادين جديدة تبعد كل البعد عن طبيعة العمل الاجتماعى أو الانسانى كافتتاح الندوات الطبية ورئاسة مؤتمرات لاستصلاح الاراضى ؛ واخيرا السفر الى أمريكا بمناسبة مهرجان (مصر اليوم) الذى يقام فى اطار المهرجانات التى تقام هناك دوريا للتعرف على حضارة وحياة دولة من الدول وخلق صلات بين شعبها والشعب الامريكى ، واجرت السيدة جيهان السادات خلال هذه الزيارة الاتصال بالمسئولين السياسيين فى الادارة الامريكية الجديدة وفى مقدمتهم الرئيس الامريكى الجديد ريجان ووزير الخارجية الامريكية قبل أن يتم اللقاء بالرئيس السادات الذى تحدد له سبتمبر القادم ، والقت الكلمات واعطت التصريحات الصحفية والتليفزيونية فى ادق الشئون السياسية والداخلية والخارجية وصلات مصر باسرائيل ، والعلاقات العربية والمشكلة الفلسطينية والموقف فى افغانستان ، مما لا يمكن معه التجاوز عن مناقشة سلامة هذا الوضع باعتبار ان السيدة المتحدثة لها وضعها الخاص كحرم لرئيس جمهورية مصر ، ومدى دستورية قيام سيادتها بهذا الدور اذ أن الدستور هو الذى يحدد الاختصاصات ويقرر المسئوليات بالنسبة لمن يتولون السلطة ويديرون شئون الحكم فى البلاد .

ان الدستور المصرى القائم لا يتضمن نصا تتقلد بمقتضاه حرم رئيس الجمهورية منصبا رسميا فى الدولة تباشر بمقتضاه اختصاصات معينة وتتم مساءلتها اذا حادت عنها . . فلا سلطة أو صلاحيات بلا مسئولية .

ولا يمكن القول بأن حرم رئيس الجمهورية ــ أيا كان اسمه أو اسمها ــ تعتبر على كل حال مواطنة مصرية لها أن تعبر عن رأيها وتتمتع بالحريات الشخصية المكفولة فى الدستور . . ذلك ان المراسم

التى تحيط بحرم الرئيس فى انتقالاتها واستقبالاتها ، والمناخ الذى تعطى فيه أحاديثها تقطع بأنها تتصرف وتتحدث بصفتها حرم رئيس الجمهورية وليست مواطنة عادية فضلا عن أنه بصرف النظر عن كل هذه الملابسات فان النـــاس تعطى لاعمال وآراء حـــرم رئيس الجمهورية وزنا خاصا بحكم موقعها كزوجة تشاطره حياته الخاصة ويفترض أنها تعبر عما يعتقده الرئيس .

ومن هنا فان كثيرين من الصحفيين والاذاعيين الاجانب كثيرا ما يسألون الرئيس الســـادات عما اذا كان يتفق فى الرأى دائما مع السيدة جيهان السادات .. وقد رد الرئيس على احدهم ـــ وفقـــا للترجمة المنشورة بالصحف المصرية ـــ المســـماة بالقومية ـــ بان الحق يكون معه دائما ولكنه يوافقها أحيانا رغم عدم الاقتناع برأيها فى بعض الامور حتى لا يحول البيت الى جحيم .. بل وصل الامر بهذا الصحفى الى أن يردف بسؤال آخر عما أذا كان من المحتمل أن تتولى السيدة جيهان فى يوم من الايام منصب رئاســـة الجمهورية ، فرد الرئيس السادات عليه بقوله : ابدا لن يكون لان الشريعة الاسلامية لا تقر ذلك .

كما سئلت السيدة جيهان السادات فى رحلتها الحالية لامريكا عما اذا كانت تشارك الرئيس السادات الرأى فى شـــئون الحكم ، فأجابت : هو له ميدانه فى السياسة والحكم ، وأنا لى ميدانى فى العمل الاجتماعى .

وما كانت لتطرح مثل هذه الاسئلة لولا أن الامر تجاوز الحـــد المتعارف عليه لاحاديث ونشاط حـــرم رئيس الجمهورية فى الدول الديمقراطية الغربية التى تلقب فى بعض جمهورياتها بالسيدة الاولى من ناحية البرتوكول أى مراسم وآداب التعامل الرسمى لتأخذ المكانة الجديدة بها باعتبارها زوجة رئيس الدولة ـــ وهو اللقب الذى ننقله عنها ونستعمله حاليا فى مصر .

واستطرد الدكتور حلمى مراد يتساءل قائلا :

« لم استطع أفهم حرص السيدة جيهان السادات على أن تعين معيدة بكلية الآداب — جامعة القاهرة — وهو ليس بشرط للالتحاق بالدراسات العليا والحصول على الماجستير والدكتوراه — وتسبب فى خلق مفارقات محرجة .. اذا ترأس باعتبارها السيدة الاولى اللجنة العليا لرعاية شئون الطلاب كما ترأس بهذه الصفة رؤساء الجامعات ومن بينهم رئيس جامعة القاهرة التى تعمل فيها معيدة ؟

وتقبل أن تقوم بتوزيع الشهادات على الخريجين فى بعض كليات جامعة القاهرة ككلية الطب ويقف على يمينها وزير التعليم وعلى يسارها رئيس جامعة القاهرة التى تعمل فيها معيدة ، وتسلم بيدها الشهادات للخريجين ؟

● **أخلاق القرية الامريكية ..**

الغريب بعد ذلك كله انها بعد زوال السلطات .. تمضى معظم أيامها فى الولايات المتحدة الامريكية .

وعندما سئلت عن ذلك قالت ان أمريكا هى وطنها الثانى .. فلم تختر بلدا عربيا .. ولا بلدا اسلاميا ، ولكنها اختارت أمريكا بالذات .. ولقد قالت أيضا انها تلقى المحاضرات لتستطيع أن تواجه نفقات الحياة .. ومتطلباتها المتزايدة !

وهناك أحتضنتها بعض الجامعات ، واحتضنتها بالتكريم وبمزيد من شهادات الدكتوراه .. ونشرت بعض الصحف أنها تحاضر فى الجامعات الامريكية .. وهذا ما يعكس بالدرجة الاولى .. الوفاء . وأخلاق القرية الامريكية .

الوفاء .. والامل .. لمن ؟

بدأت طموحات السيدة جيهان للقيام بعمل يرتبط باسمها ..

واختارت كأم للابطال أن يكون ذلك العمل متلائما مع دورها الجديد ، لرعاية جرحى ومشوهى الحرب .. ففضلا عما يتيحه ذلك من دعاية واسعة النطاق تمتد من الداخل الى الخارج .. وما يمكن ان يجمعمن تبرعات من المصريين والاجانب .. فانه الى جانب اعمالها الحرة الاخرى التى تحدث عنها زوجها يمكن أن يسهم فىرسم الصورة الانسانية وتغطى على تلك الاعمال .. علاوة على ما يؤديه ذلك من خدمة حقيقية لاشخاص هم أولى الناس بالرعاية والعناية ، وهم موضع رعاية المجتمع كله ودورهم البطولى منقوش فى قلوب كل الناس ! وهكذا كانت فكرة مشروع الوفاء والامل الذى منح من أرض الدولة ، ومن امكانياتها ، ومن القروض والهبات المحلية والاجنبية الكثير والكثير جدا ، والذى أعطى صورة مختلفة للسيدة الاولى ، وأتاح لها أن تمارس نشاطا اثناء زياراتها للخارج فى زيارة المستشفيات ، ومصحات المعوقين .. ثم امتد النشاط الى انشاء قرية للاطفال ..

- **دار أم كلثوم للخير :**

كانت السيدة أم كلثوم قد نشطت قبل حرب يونيو لاقامة ما أطلق عليه اسم « دار أم كلثوم للخير » وكان ساعدها الايمن ومعاونها فى المشروع هو عثمان أحمد عثمان الذى طاف معها ببعض البلاد العربية والمحافظات فى مصر ودور الصحف ساعية للمشروع الذى أختيرت له فعلا الارض على النيل بحى منيل الروضة بالقاهرة

وأعد تصميم الدار بحيث تتضمن أقساما لرعاية المعوقين والمتخلفين والايتام ومسرحا وعددا من دور العرض وغيرها .

ورصدت أم كلثوم ميزانية للمشروع ، الذى تحمس له أيضا محافظ القاهرة حمدى عاشور .. وقد سارع عـــــــدد كبير من المواطنين للتبرع له .

ووقعت الحرب ، وكانت الهزيمـــــة ، وخصصـــت أم كلثوم كل رحلاتها ، وكل حفلاتها ، وكل أعمالها لدعم المجهود الحربى ، وتوارى بعض الشىء مشروعها وكان هدفه تخليد ذكراها بعـــــد وفاتها .

والملفت أن عثمان احمد عثمان فى كتابه الذى أصـــــدره عن تجربته ، وتحدث فيه عن كل الناس الذين التقى بهم ، واغلبهم شخصيات مجهولة ، لم يذكر اسم أم كلثوم ولا مشروعها رغم أنـــه كان الرجل الاول الذى أعد المشروع ، والتصميمات ، وحمل جانبا كبيرا من عبء الدعوة له .

ولم يكن الموقف غريبا على المصريين ، فقد كانوا يتوقعون ذلك سلفا من المقاول بعد أن ارتبط بالسادات ، أخذ نجم أم كلثـــــوم يخبو فى وسائل الاعلام الرسمية طوال فترة السادات .. وعاشت سنوات من الازمة النفسية الرهيبة والقاسية بالنسبة لها كفنانة عالمية عملاقة ، وكانت السيدة جيهان قد أصدرت توجيها غير مكتوب بأن تعين السيدة افراج الحصرى الموظفة بمجلس الشعب والتى قدمها لها رئيس المجلس على أنها موهبة صوتية .. تعين مطـــربة أولى لمصر وللعالم العربى وأن تحل مكان أم كلثوم .

وبدات أجهزة الاعلام تسلط الاضواء على افراج الحصرى ، التى أطلقت على نفسها اسم ياسمين الخيام .. لانها الاكتشاف الجديد للسيدة جيهان .. فقد أصبحت مطربة للسلطان .. وأيضا الصديقة الحميمة والرفيقة للسيدة جيهان فى رحلاتها ..

وكان مستحيلا أن تفرض مطربة بمرسوم مهما كانت مواهبها!

وكان مستحيلا أيضا ان تكون السيدة افراج الحصرى بديلة لام كلثوم ..

وفيما بعد تهكم بعض الكتاب على محاولة فرض أفـــــراج الحصرى لتكون مطربة بقرار من الرئيسة وان يستجيب لها الجمهور مهما كانت الصورة التى حاولت أجهزة الاعلام أن ترسمها لها ، ومهما كان الموسيقيون الذين تم الاتصال بهم ليضعوا عبقرياتهم الموسيقية فى خدمتها ، وليس هذا تعريضا بالمطربة ياسمين الخيام ولا تقليل من موهبتها أو من شأنها كمطربة قد تكون كبـــيرة أو صغيرة ، وقد تكون موهوبة أيضا وتستحق ما هو أكثر ، ولكنها فقط محاولة لرصد الواقع الذى عاشته مصر .. والدور المتشعب الذى لعبته السيدة جيهان فى مختلف المجالات .

● **مشادة مع كوكب الشرق :**

وكانت كوكب الشرق وسيدة العالم العربى الاولى ام كلثـــوم قد تعرضت لغضبة كريمة من سيدة مصر الاولى .. بعد ان أكرم الله السادات وتولى السلطة على حد تعبيره ..

كانت أم كلثوم تتمتع بحظوة خاصة عند عبد الناصر الذى لم يكن فقط يقدرها كفنانة عظيمة ، ولكن أيضا كسيدة مصرية تفيض صدقا وحماسة ووطنية لبلادها العربية ، وتشارك فى انتصاراتهـــا بقلب ملىء بالحب ، كما تبكى لنكساتها بدموع غزيرة !

وكان فى مقدمة القرارات الحاسمة التى أصدرها عبدالناصر عقب الثورة مباشرة ، وفى أسبوعها الاول محاسبة الضابط الذى تولى أمور الاذاعة عندما منع اغانى أم كلثوم من الراديو بحجة أنهـــا غنت للملك .. ولم يخطر عبد الناصر بالقرار وسأل عن السبب فقيل له أن قرارا أصدر بمنع أغانيها .. وغضب عبد الناصر وعاقب الذى أصدر القرار .

وكان انور السادات هاويا للتمثيل منذ صغره ، وقد حاول

ان يحترفه ، ولكنه فشل فى اختبار أمام الراقصة امينة محمد ، بيد انه لم يتمكن من أن يصبح ممثلا ولم يحقق امنيته الا بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية ، ويقول انه كان يهوى الغناء ، وخصوصا اغانى المطربة اسمهان التى كان يرددها دائما .

وكان على صلة بأم كلثوم .. يزورها ، ويحضر جلساتها ، وكانت أم كلثوم تناديه دائما منذ بداية الثورة « أبو الانوار » وهو نوع من التدليل الشعبى المصرى لاسم انور !

ويبدو أن أم كلثوم اخطأت خطأ جسيما لانها تباسطت مع السادات فى احدى الجلسات بعد أن أصبح رئيسا ونادته بنفس الاسم .. وكانت تحضر هذه الجلسة الخاصة السيدة جيهان التى انتفضت ، وقالت فى قسوة وعنف وبلهجة التأنيب الغاضبة المرتفعة الصوت لام كلثوم :

ــ الزمى حدودك .. انت تتحدثين الى السيد الرئيس محمد انور السادات رئيس الجمهورية !

وغادرت أم كلثوم الحفل غاضبة من الاسلوب والطريقة التى عاملتها بها حرم الرئيس ، وهى طريقة لم تتعودها لا من الرئيس ولا من زوجته طوال المدة التى عرفتهما فيها .. وبات واضحا انها أصيبت بأزمة نفسية وسوف تعتكف على اثرها ، وتقلل من خروجها بل ومن أعمالها الفنية .

وأشيع نبأ الخلاف او المشادة التى وقعت بين أم كلثوم وحرم الرئيس وكانت موضع حديث رجل الشارع .. وفى الحال سوف تجد السيدة جيهان من يقف الى جانبها ، ومن يتسابق لكى يقدم لها راس ام كلثوم اذا لزم الامر .. وكان فى المقدمة رجالها فى بعض أجهزة الاعلام الرسمية بعد أن شاع نبأ هذه الجفوة ، كان هناك من يشير الى مشروع أم كلثوم .. وكان محتما أن يتلاشى المشروع وابتعد المقاول عثمان عن أم كلثوم .. قبل أن يصاهر السادات ومنذ البداية .. واهمل مشروع أم كلثوم تماما وتجاهله

الجميع .. الاعلام .. والمسئولون .. وأم كلثوم تعيش فى صمتها .

وربما كان سبب ذلك ايضا هو الا يرتبط مشروع ضخم باسم سيدة والا يردد الناس اسمها .. بينما كانت جيهان تعد نفسها لتكون الاسم اللامع والوحيد فى عالم النساء لا ينازعها فى الشهرة امرأة اخرى .. لا فى مصر ولا فى العالم العربى .. وربما كان طموحها أكبر من ذلك ..

وهكذا مات مشروع الخير الذى ارتبط اسمه بالسيدة أمكلثوم سيدة العالم العربى الاولى بعد ان استولت جمعية الوفاء والامل على كل مخصصاته ليحل مكانه مشروع الوفاء والامل الذى ارتبط اسمه بالسيدة جيهان سيدة مصر الاولى والاخيرة .

وقد تساءلت الدكتورة نعمات فؤاد قائلة :

« كيف تستولى جمعية الوفاء والامل على مائتى فدان فى مدينة نصر بلا ثمن ثم يمتد شرهها الى ستة أفدنة مخصصة لدار أم كلثوم للخير سبق أن أصدر المجلس التنفيذى لمحافظة القاهرة قرارا رقم ١٠٠ بتاريخ ١٩٧٣/٤/٢٣ لتخصيصها للمشروع الذى لم تنهبه أم كلثوم او تغتصبه أو تثرى على حسابه فى الداخل والخارج بل دفعت فيه من مالها الخاص ٧٥٫٠٠٠ خمسة وسبعين الفا من الجنيهات . واذا بالصاعقة ، اى مذكرة من أصحاب جمعية الوفاء والامل – ياضيعة الوفاء – فى يونيه سنة ١٩٨١ تطلب ابتلاع مشروع أم كلثوم وضم أرضه الى ممتلكاتها وكأن الموت لم يطفىء الحقد أو يخفف من سعاره ، فاذا بالمجلس التنفيذى نفسه يحنى رأسه سمعا وطاعة وانصياعا ويصدر قرارا رقم ١٤٣ بتاريخ ١٩٨١/٥/١٤ بضم أرض مشروع أم كلثوم للاوفاء والامل اى ضم الفدادين الستة الى المائتى فدان المخصصة للوفاء والمكذوب » .

هل هى مجرد الغيرة .. أنها شىء أكبر من ذلك .. على كل فلم يكن صعبا أن يجد مشروع زوجة رئيس الجمهورية ، وام الابطال من يرعاه ، ومن يقدم مائتى فدان من أرض الدولة ، وكذلك

أموالها ، وخبرتها .. وكل أجهزتها .. ومن يتقدم من المواطنين ومن الدول الاجنبية للاسهام فيه ..

وكانت الاكثرية مدفوعة برغبات نبيلة لتقديم شيء يرونه متواضعا لابطال ومشوهي الحرب .. وربما كان البعض الاخر تحركه دوافع أخرى ..

وكما قضت السيدة الاولى على مشروع أم كلثوم للخير ، فانها تطلعت الى مشروع آخر للخير أيضا .. وقضت عليه .

وان كان للمشروعين طابعان مختلفان .. الا أنهما في النهاية كانا يهدفان للصالح العام ..

وكانت جيهان تريد أن ترتبط مشروعات الخير الكبرى باسمها .. والا فان عقبات تصادفها .. ولقد صادف مشروع دار أم‌كلثوم عقبات قضت عليه ..

وصادف المشروع الثاني عقبات قضت عليه أيضا .. والسبب في كلتا الحالتين هو السيدة جيهان .

● معهد ناصر للعلاج ..

تطلعت السيدة جيهان الى الاستيلاء على المستشفى الذي اراد عبد الناصر أن يقيمه على النيل بمنطقة روض الفرج لرعاية مرضى السكر ، والذي خصصت له بعد وفاته أموال التبرعات مما تقدم به المواطنون ، أو من حصيلة التبرعات التي كانت ترد الى عبد الناصر .

وكان المستشفى قد أقيم ، وأطلق عليه اسم معهد ناصر للعلاج .

وفجأة توقف المشروع تماما ، وارسلت وزارة الصحة تطلب أن يتبع المعهد الجديد جمعية الوفاء والامل ، ومن البديهي أن يغير أسمه ليكون مستشفى جمعية الوفاء والامل .. وظلت المكاتبات الرسمية والتدخلات الشعبية ، تلف وتدور من أجل اتمام بناء المستشفى .. ولكن عقبات مجهولة وغير منظورة حالت دون

أستكمال بنائه ، وظل قائما كأعمدة ومبانى خرسانية طوال عشر سنوات أوقف العمل فيه بالكامل ..

كانت السيدة جيهان تريد أن يكون المعهد تابعا لجمعية الوفاء والامل .. ولما حالت عقبات دون ذلك أوقف العمـــــل فى المشروع بالكامل ..

ولم يكن معهد ناصر الا مشروعا لعلاج الشعب ..

وكان عيبه الاول أنه يحمل اسم ناصر .. أما عيبه الثانى فكان ان السيدة الاولى والاخيرة تريد أن تضمه الى « مملكتها » الجديدة وأن تمتد يد الوفاء والامل الى ســـــاحل روض الفـــرج ولاتظل قائمة فى قرية الاطفال .. ومدينة نصر النائية ..

ومازال المشروع متوقفا حتى الآن بعد أن تضاعفت تكاليفه عشرات المرات ..

● **التساؤلات حول الوفاء والامل :**

اثير لغط كثير حول أموال مشروعى الوفاءوالامل وقرية الاطفال .

وتقدم أحد النواب الى مجلس الشعب ، مطالبا بالتحقيـــق فى المخالفات المالية للمشروع ..

وقد أصبح مشروع الوفاء والامل بمـــــا امتلكه من مشروعات لتنمية موارده موضع حديث للناس .. الذين قد يحلو لهم فى غياب المعلومات الحقيقية أن يجسدوا الصورة ويضخموا فيها ..

وسوف يكشف رشاد عثمان عن احدى وسائل التمويل وهى اللجوء الى أغنياء الانفتاح باسم السيدة الاولى . وطلب التبرعات منهم . ومن الذى يرفض من هؤلاء أن يقدم ما يطلب منه . ؟

ورشاد عثمان هو الذى أوصاه الرئيس بالاسكندرية قائلا « خلى بالك من اسكندرية يا رشاد » والذى اتهم بالاســــتغلال والكسب غير المشروع . وتردد أنه كان يتاجر فى المخدرات ، وكون ثروة تفوق الخمسين مليونا من الجنيهات ، والذى اصــــبح

احد نجوم حزب السادات وعضوا فى برلمانه . والذى أدانته محكمة القيم ووصفت أمواله بأنها جاءت عن غير طريق مشروع !

يكشف رشاد عثمان عن واقعة تمس السيدة جيهان ومشروع الوفاء والامل هى الشيك رقم ح/١/٥٨٣٢٢٦ بنك القاهرة فرع سيزستريس بمبلغ تافه هو ١٥ الف جنيه .. طلب منه أن يتبرع بها كاحدى الدفعات لجمعية الوفاء والامل وقد صرف الشيك بتاريخ ١٦ اغسطس ١٩٨٠ للسيدة جيهان شخصيا وليس لحساب الجمعية .. الاموال تجمع باسم الجمعية ، وتأخذها السيدة الاولى شخصيا ..

وقد رد موسى صبرى على هذه الواقعة .. وأكد عدم صحتها رغم نشر صور الشيكات .. الا أن رشاد عثمان آثر الانسحاب .. كانت هذه هى احدى وسائل التمويل . وهناك أيضا تبرعات الدول .

وكانت فرنسا قد أقرضت الجمعية ١٧٠ مليون فرنك .. وبلجيكا أقرضتها ١٠٠ مليون فرنك بلجيكى لبناء مستشفى الوفاء والامل .

● والاثار ايضا :

جمعية الوفاء والامل التى أصدر رئيس الجمهورية قرارا « رقم ٥٠ لسنة ١٩٧٥ » بأنها ذات صفة عامة ولا يجوز الحجز على أموالها .. هذه الجمعية جمعت أموالها من مصادر شتى ..

فقد نشطت السفارات فى جمع الاموال .. والتبرعات واقيمت الحفلات الساهرة تحت سفح الهرم وكان دخول الحفلات بالدولار .. والمغنى هو خوليو الذى يحضر فى طائرة خاصة .. ورواد هذه الحفلات من مليونيرات العالم ..

وتبرع مواطنون عرب .. وتقول الدكتورة نعمات فؤاد فى مقال لها أنه :

« جاء فى الاهرام الاقتصادى العدد ٦٨٧ بتاريخ ١٥ مارس سنة ١٩٨٢ أن الحكومة الامريكية تبرعت لها بـ ١٠ ملايين دولار (عشرة ملايين دولار) دفعت بالعملة المصرية من حصيلة برنامج المعونة الفنية ــ أى خصما من مصر !

كما جاء فى هذا العدد أنه انشىء فى واشنطن فى نوفمبر سنة ١٩٧٤ فرع للوفاء والامل بأمريكا باسم الجمعية الامريكية للوفاء ، لقبول التبرعات المالية والعينية والادبية وتحويلها فورا الى الجمعية الرئيسية فى مصر .

وتبرع الامير عبد الله الفيصل لدار أم كلثوم بأربعين الف جنيه ومثلها للوفاء والامل حماية لجمعية أم كلثوم وردا للاذى عنها ولكن بدون جدوى .. فقد مضت فى محاربتها حتى بعد أن رحلت أم كلثوم وهذا موضوع له ما بعده ..

جمعت من المصريين بالخارج ، الاموال ، رضا أو قسرا ، للوفاء والامل .

وسخرت السفارات المصرية لجمع الاموال للوفاء والامل .

وتبرعت البلاد العربية احراجا أو اقتناعا أو استجابة للزيارات المقصودة ، بالملايين للوفاء والامل .

وعندما كسر تمثال « سيركت » فى المانيا ، واستهتارا من مدير المتحف الالمانى ، نادينا بعودة الاثار فاستمر عرضها وفى المانيا لان المتحف المصرى كلف بعمل نماذج للآثار تباع فى المعرض المتجول لحساب الوفاء الامل ! عندما طالب قسم النماذج بالمتحف ، بالتكاليف ، أخطر بخصمها من حصيلة الاثار ! وكأن الاثار ملك خاص لاحد !! وهى تراث أمة .

ومن المضحك ، وشر المصائب ما يضحك ، أنه جاء فى الاخبار فى ١٩٨٠/٢/٢٠ (أن الرئيس أنور السادات والسيدة حرمه استقبل مستر بول استون رئيس مجلس ادارة شركة الكوكاكولا

حيث قدم شيكا بمبلغ ١٠٠ الف (مائة الف دولار لحماية الآثار) ومع الخبر صورة للحاكم السابق وهو يشد على يد رئيس الشركة الذكية مستر بول استون .

وكانت السيدة على أثر حملتى بالاهـــــرام لحماية الآثار الاسلامية التقطت الكرة وشكلت جمعية لحماية الآثار !! تبرعت لها شركة الكوكاكولا !! وهو المطلوب .

ثم أهدرت بعد هذا الآثار وأهديت الآثار حتى لـ « ايجال يادين » .

● أموال المتبرعين :

السؤال الذى مازال يطرح نفسه .. ويحتـــاج الى اجابة هو .. هل هناك رصد لاموال التبرعات التى وجهت الى جمعية الوفاء والامل وقرية الاطفال وتكاليف المشروع .. وممتلكاته .. وكيف انفقت .. وهل من حق السيدة جيهان أن تتنـــازل الشركة صهرها المقاول عن ستة أفدنة من الارض التى خصصت للجمعيـــة لتقام عليها مستعمرة شركة شويش . ؟

ان المشروع تلقى تبرعات من الداخل ومن الخارج يصعب حصرها .. فما هى كمية هذه الاموال .. واين ذهبت ، وكيف وجهت .. وما هى ميزانية الجمعية .. وهل دخلت فيها هـــذه التبرعات كلها ؟ لقد تلقت الجمعية تبرعات عينية وأدوات طبية .. وغيرها جاءت من داخل مصر .. ومن خارجها . ومن بعض الدول فهل يمكن أن ينشر على الناس قيمة هذه الاموال وأموال المتبرعين بها .. وكيف وجهت . ؟

وكذلك التبرعات العينية التى جاءت للجمعيـــة من الخارج .. سواء من الافراد او من الدول ..

انها مجرد تساؤلات لابد من وضع الاجابة عليها لتبرأ ذمـــة السيدة جيهان .. وحتى تسكت الالسنة .

العلم .. والعبقرية .. والنبوغ

انتشر فى مصر شريط كاسيت يحمل تسجيلا لخطاب « بصـوت السادات » فى تقليد متقن للصوت ولنمط التفكير والاسلوب الذى كان يتبعه الرئيس الراحل فى « مواجهة الشعب بالحقائق » « والرد على الشائعات » .

فى هذا الخطاب كان « السادات » يروى كيف وقع حادث المنصة ويواجه كل ما تردد ضده بعد مقتله ، وكان بين مارد عليه أن الناس تتساءل كيف دخلت جيهان الجامعة وقال صـوت السادات « ان جيهان جاهلة نعم .. واننى بعد أن توليت أمرت بأن يصرف لهـا ابتدائية ، واعدادية ، وثانوية عامة ، وليسانس كمان » ويستطرد السادات فى شرح مبررات هذا الامر الذى أصدره .

والغريب ان السيدة الاولى لم تتفجر مواهبها التعليمية الا بعـد عام ١٩٧٤ وكانت حتى هذا التاريخ قد اكتفت بدراستها الاولى فى مدرسة التربية النسوية قبل الزواج .

ورغم السنوات التى امضاها زوجها فى مواقع مختلفة ، فانها لم تفكر فى أن تدرس وتتعلم وكانت لديها الامكانيات لذلك .

فى عام ١٩٧٤ فكرت لاول مرة فى الالتحاق بالجامعة ولم تكن هناك وسيلة لذلك دون حصولها على شهادة الثانوية العامة !

وأدت فعلا امتحان الثانوية العامة ١٩٧٤ .. رغم أنها فى كل احاديثها كانت تصر على أنها تحمل شهادة البكالوريا من قبل ولكنها دخلت الجامعة بطريقة مختلفة .

دخلت الجامعة بشهادة الثانوية العامة الانجليزية التى حصلت

عليها كما يقول عبد الحليم رمضان المحامى بالمراسلة . بل أن عبد الحليم رمضان يقول أنه اكتشف ان هناك نوعين من هذه الشهادات التى حصلت عليها هما ، « الاعدادية والثانوية » ويقول أن السيدة جيهان قد دخلت الجامعة بشهادة معادلة للاعداديةوليس الثانوية العامة وعلى كل نقد . كان واضحا أن اللجوء الى هذه الوسيلة هو نوع من التهرب من الحصول على المؤهل الشرعى والرسمى لذلك .

فشهادة الثانوية الانجليزية ــ على فرض الحصول عليها ــ شرعت لابناء السفراء والاجانب الذين لا يتمكنون بحكم مواقعهم من الحصول على الشهادة الرسمية . وتبدو صورة التهرب من الحصول على المؤهل الشرعى فيما اتبع بعد ذلك . . حيث أن جميع أولادها قد دخلوا الجامعة عن نفس الطريق .

ويعجب الانسان كيف يدخل ابناء رئيس الجمهورية جميعا الجامعة بشهادة انجليزية بينما هم فى مصر وبينما كانوا يدرسون فى المدارس المصرية الا أن يكون ذلك نوعا من التهرب ، وكانت الجامعة قد قررت اعتماد الشهادة الانجليزية موازية لشهادة الثانوية العامة المصرية ، بعد امتحانمعادلة فى اللغة العربية ، والمدهشانها دخلت بالشهادة الثانوية الانجليزية ودون اختبار معادلة فى اللغة العربية .

وليس معروفا بالضبط السبب الذى جعلها تفضل قسم اللغة العربية الا أن يكون تحديا لقرار الجامعة ، فالمنطقىوالسيدة حصلت على شهادتها من انجلترا أن تلتحق بقسم اللغة الانجليزية والمنطقى والسيدة ذات نشاط اجتماعى بدأ يظهر ان تفضل قسم الدراسات الاجتماعية ! ولكنها فضلت قسم اللغة العربية وكانت نتيجتها فى كل السنوات الاولى على دفعتها . .وكانت الصحف تتابع أنباء السيدة الاولى وهى تؤدى الامتحانات، وتعد خطواتها خطوة بخطوة، بالكلمة والصورة .

وفى اثناء احد الامتحانات نشرت احدى الصحف فى مكان بـــارز وتحت عنوان « بساطة » ما يأتى بالنص :

ــ تركت سيارتها على الباب الخارجى للجامعة « ممنوع دخول سيارات الطلبة أثناء الامتحان الا لهيئة التدريس » .

ــ من باب الجامعة حتى اللجنة ۳۰۰ متر سارتها على الاقدام .

ــ مرهقة جدا .. خائفة .. مضطربة .

ــ تحمل مسطرة ، قلم حبر ، كارنيه الكلية ، رقم الجلوس ..

ــ خلعت الساعة من معصمها ووضعتها أمامها .

ــ مضت نصف ساعة قبل أن تمسك القلم لتبدأ الاجابة .

ــ فنجان قهوة .. وكوب شـــاى .. والامتحـــان .. ثلاث ساعات . »

ــ وبهذه البساطة المتناهية ــعلى ما فيها من فبركة صحفية ــ كانت السيدة جيهان هى الاولى فى كل سنوات دراستها الجامعية .

وذات مرة لفتت هذه الظاهرة .. ظاهرة تفوق السيدة الاولى رغم اهتماماتها المتباينة ، والمتنوعة ، والمتعددة ورغم عدم انتظامها على الاطلاق فى الدراسة .

لفتت هذه الظاهرة نظر الدكتور حسن حنفى الاستاذ بالكلية .. فراح يحمل تساؤلا الى مجلس الكلية قائلا : هناك سيدة مرموقة .. لها نشاط اجتماعى بارز ، وهى كثيرة السفر ولا تحضر الى الكلية ، ونحن نقدر نشاطها ، ولكن أن يكون ترتيبها الأولى باستـــمرار فان ذلك يفقد الناس الثقة فى الجامعة !

وسكت معظم الاساتذة وفهموا طبعا من يقصد .. وفيما بعـــد سوف يمنع الدكتور حسن حنفى من التدريس بالكلية ــ وفيما بعد أيضا سوف ينقل الى وظيفة فى وزارة الشئون البلدية والقروية .

وقد بررت السيدة جيهان تفوقها عندما سئلت عنه فى الصحافة الاجنبية ــ وليست المحلية طبعا ــ قائلة « قارنوا » بين « واحدة

ست » فى سنى ، وتجربتى ، وفى كل الذى مر عليها فى حياتها ، وبين طالب فى عمر أولادى يجلس معى ؛ هل يعقل أن يكون استيعابى للدروس مثل استيعابه ودون غرور لابد أن يكون استيعابى افضل .
« استحالة أن أكون بخبرتى فى مستوى طالب لم يغادر القاهرة ، ولم يشاهد الدنيا ، ولم يقرأ هذا العدد الكبير من الكتب التى قرأتها بحكم سنى على الاقل .

كنت متفوقة طوال دراستى ولما تخرجت الاولى كان المفروض اعين معيدة ولكننى اخترت طريقى هذا وأنا سعيدة لاننى أجد نفسى فيه « أنا أعمل فى مجال الخدمات الاجتماعية « !! » !
ولو كان تبريرها صحيحا لكان النبوغ والتفوق الدراسى للكبار فقط .. ولكانت ربات البيوت قد تحولن الى أوائل .. ولكان التفوق الدراسى يرتبط بالسن الكبير مع أن الملاحظ هو العكس تماما !

لقد ارتبط التفوق هنا بالنفوذ الرسمى .. والا فبماذا نعلل مثلا تفوق ابنتها السيدة نهى ، الى حد تعيينها معيدة بالجامعة .. وقد حصلت على شهادة الثانوية بنفس الطريقة .. الانجليزية !
وبالنسبة للابن جمال الذى تخرج متفوقا بعد أن فصلت الجامعة الاستاذ الذى ضبطه متلبسا بالغش . يروى الاستاذ الدكتور عبد العظيم أنيس ان رئاسة الجمهورية قد استدعته على عجل ذات يوم وكان السبب أنهم يريدون اعطاء درس خصوصى فى الرياضة لجمال السادات لانه سوف يدخل امتحان الثانوية العامة .

ورفض قائلا : كيف أعطى درسا فى الثانوية بينما أنا الذى وضعت امتحان الرياضة فى الثانوية !

وفهم — على حد روايته — أن المقصود ليس تقوية الطالب فى الرياضة ، ولكن لانه الذى وضع الامتحان .. ورفض .. وذهب الى وزير التربية والتعليم على عبد الرازق يقص عليه الواقعة التى حدثت له شاكيا ! ورسب جمال فى الرياضة ولكنه دخل الجامعة فى

نفس العام بشهادة الثانوية الانجليزية ، ولما كانت مواد الدراسة للشهادة الانجليزية ليس بها الرياضة ، فكان لابد — وفقا لنظم الجامعات — أن يلتحق بكلية لا تلزمها العلوم الرياضية ، وهكذا التحق جمال بكلية الطب تنفيذا للقانون ، وذرا للرماد ثم تم تحويله بعد ذلك الى كلية الهندسة ! الذى رسب فى الرياضة .. دخل كلية الهندسة .. كلية تقوم على الرياضة ولم يرسب سنة واحدة فيها ..

وعندما أثيرت قضية التحاق جيهان بالجامعة دون حصولها على المؤهل الدراسى الرسمى ، أصدر الدكتور حسن حمدى مدير جامعة القاهرة بيانا فى ١٧ يناير ١٩٨٣ قال فيه أنه تبين من واقع المستندات الرسمية أن السيدة جيهان صفوت رءوف قد قبلت بكلية الآداب بجامعة القاهرة بترشيح رسمى من مكتب تنسيق القبول بالجامعات والمعاهد فى سبتمبر ١٩٧٤ بعد حصولها على شهادة « جى . سى . اى » بنسبة ٧٥٪ قسم أدبى وهى شهادة معادلة لشهادة اتمام الدراسة الثانوية على أساس هذا الترشيح الرسمى من مكتب تنسيق القبول بالجامعات والمعاهد العليا قبلت بكلية الآداب فى العام الدراسى ١٩٧٥/٧٤ وقالت جريدة الاهرام يوم ١٨ يناير « ان هذه الشهادة يؤدى الطالب امتحانها فى مقر القنصلية البريطانية بالقاهرة ، وتأتى أوراق أسئلتها من لندن ، ثم يعاد تصحيحها عن طريق الكمبيوتر »!

أى أنها أدت الامتحان فى القاهرة ونجحت فيه بنسبة ٧٥٪ والغريب فى الامر أن أيا من الصحف لم تشر الى نبأ هذا الامتحان أبدا ... ولم تنشر خبرا عنه ، كما أن أحدا لم يسمع انها قد أدت الامتحان ..

والاهم أنه لم يتساءل أحدا لماذا تدخل زوجة رئيس الجمهورية وأولاده جميعا الجامعة بشهادة أجنبية بينما هم يعيشون فى مصر ..
ولم يتساءل أحد عن مدى جدية امتحان يعقد فى بلد ، بواسطة

سفارة دولة أخرى ، وتتقدم اليه حرم رئيس الجمهورية وأولاده ، وهل يمكن أن تطبق فى مثل هذا الامتحان عليهم قواعد الانضباط اللازم لاداء الامتحان بالنسبة للاشخاص العاديين . على الاقل من حيث اجراءات الامن .

ولم يتساءل أحد هل أدت السيدة جيهان ، وكذلك أولادها امتحان شهادة المعادلة المنصوص عليه فى القانون فى المواد التى لم يدرسها الطالب !

ولم يتساءل أحد أخيرا .. لماذا تفضل زوجة الرئيس العربى وأولاده الحصول على مؤهلاتهم الدراسية من جهة أجنبية ، وبلغة اجنبية ويؤدون امتحانا فى جهة أجنبية وهم يعيشون فى مصر ..

● الماجستير من أعدها :

على أن التحاق السيدة جيهان بالجامعة وتفوقها الدراسى ليس كل القضية فطموحاتها كانت أكبر من مجرد الحصول على شهادة جامعية تفوقت فيها رغم حضورها اياما معدودات كل عام مع ما يصحب من حرس ، وحراسة لتوفير الامن والامان ، وتطوع بعض الاساتذة بتسجيل المحاضرات على شرائط وارسالها الى منزلها حتى تسمع الدروس فى وقت فراغها لعلها تستوعب .

ورفض عدد من الاساتذة تسجيل محاضرتهم خصيصا للسيدة الاولى .

وسوف نجد من بين أساتذة الجامعة الذين ابعدوا عن الجامعة ضمن قرارات ٥ سبتمبر ثمانية أساتذة من قسم اللغة العربية بكلية آداب القاهرة ، وحده .. أى ثمانية من أساتذة السيدة جيهان بالذات .

وتردد يومها أن هؤلاء كانوا «جبهة الرفض» ضد كل التسهيلات التي قدمت من قسم اللغة العربية لتمرير تفوق السيدة الاولى .

كان طموح جيهان اكبر من الحصول على الليسانس بتفوق أتاح لها « وفقا للقانون » أن تعين معيدة بالقسم .. فهى الاولى طوال

سنوات الدراسة ولا أحد يدرى سر الاصرار على هذا التعيين ... فبعدها .. وفكرت أن تحصل على شهادة الماجستير ..

وبدأت تعد رسالتها لنيل الدرجة العلمية الجديدة تحت اشراف الدكتورة سهير القلماوى (١) الاستاذة غير المتفرغة بالقسم ، والتى اشرفت على النشاط النسائى فى الحزب الوطنى وأصبحت عضـوا بمجلس الشعب ..

وبذل عدد من الاساتذة جهودا فى اعداد الرسالة ، وكان هناك من قام بالصياغة ، ومن ترجم اللغـة الانجليزية ، ومن كتب ومن راجع رسالة السيدة جيهان عن شيلى أشهر شعراء الانجليزية فى القرن الثامن عشر ، وقد كان موضوع الرسالة « شـيلى فى الادب العربى فى مصر » وقد صدرت رسالتها فى كتاب من دار المعارف أثناء اشراف انيس منصور عليها باهداء « الى من غرس فى حب الثقافتين العربية والانجليزية .. أقدم ثمرة هذا الحب رسالة تضم الثقافتين .. الى ابى وامى » ! ..

وكتبت كلمة صـغيرة شكرت فيها « أستاذتى د. سـهير القلماوى التى رعت بحثى جنينا » أنه كان هناك « أكثر من تطـوع بالافادة ومن منح دون بخل ومن تحمل تكاليف الاتصـال هيئات وافراد » .

وقد أشيع فى فترة اعداد الرسالة كان يتردد على السـيدة جيهان عدد من الاساتذة من بينهم الدكاتره حسين نصار والدكتور لويس عوض ومحمد عنانى وجابر عصفور وسمير سرحان ونبيل راغب ، فضلا عن المرحوم الدكتور رشـاد رشدى واغلبهم التقى بالرئيس السادات اثناء تردده على السيدة جيهان .

---

١ — يقول حسن عزت فى مذكراته ان الدكتورة سهير القلماوى ترتبط بصلة القرابة بالسيدة جيهان حيث ان جدة السيدتين هناء وصافى بنات عمتها .

وكان عدد آخر قد رفض التردد أو المشاركة تماما على رأسهم الدكتور عبد المحسن بدر الذى رتبت له السيدة جيهان لقاء مع الرئيس بحجة أن الرئيس يحب سماع الرأى الاخر .

واستمع الرئيس طويلا ولم يعلق .. ولكن الدكتور وجد نفسه مبعدا عن الجامعة ، وكذلك الدكتور عبد المنعم تليمه الذى اثر بعد الابعاد السفر للاقامة فى اليابان والتدريس فى جامعاتها .

وكان يراس جامعة القاهرة فى ذلك الوقت الدكتور صوفى ابو طالب .. وكان نائب الرئيس لشئون الدراسات العليا الدكتور صبحى عبد الحكيم ، الذى كان عميد لكلية الاداب اثناء دراسة الطالبة حيهان بها .

ومن أجل حصول السيدة جيهان على الماجستير اجتمع مجلس جامعة القاهرة واتخذ قرارا باعفاء الطلاب المتفوقين فى دراستهم من الدراسات التمهيدية اللازمة قبل اعداد الماجستير ، اذا وافق مجلس الكلية .

وقد طبق عليها هذا القرار الذى أعد خصيصا لأعفائها من الدراسة فى السنوات التمهيدية ، وهى دراسة منتظمة .

وهكذا قرر مجلس الكلية اعفاء الطالبة جيهان من السنوات التمهيدية وسمح لها باعداد الرسالة .

كان القرار قد اتخذ خصيصا — ولاول مرة — من أجل التعجيل بحصول السيدة الاولى على الماجستير .

وكانت ليلة المناقشة مشهودة فى تاريخ مصر .

لقد حضر المناقشة كل الاساتذة الذين ترددوا عليها اثناء الرسالة .. وحضر المناقشة رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء ، وكبار رجال الدولة ، والعائلة أيضا ونقل التليفزيون مناقشة الرسالة الى كل البيوت لمدة ساعتين فى سهرة كاملة .

ورغم أنه تليفزيون جمهورية مصر وليس ملكية خاصة ، فقد فرض التليفزيون على الناس فى البيوت أن يسهروا مع المناقشة .

قبل مناقشة الرسالة قالت الدكتورة سهير القلماوى موجهة حديثها للرئيس وخروجا على كل التقاليد العلمية : ان تشريفكم يا سيادة الرئيس شرف نعتز به ، ونحب انكم أيضا تعتزون بجامعة القاهرة . وقالت السيدة جيهان عن بداية المناقشة : كان حلما لازمنى مدة طويلة والح على من وقت لآخر الى أن جاء يوم وطرقت باب الجامعة ، وحين اطمأنت قدمى فى الجامعة تقسمت نفسى بين تخصصين هما اللغة العربية واللغة الانجليزية » .

واثناء المناقشة قال الدكتور مجدى وهبه أحد الاعضاء أن الرسالة تستحق درجة الدكتوراه لما بذل فيها من جهد .

وكان الدكتور مجدى وهبه موضوعا تحت الحراسة أيام عبد الناصر ، ثم عادت اليه أمواله أيام السادات ، وكان يساريا وتقدميا ، وهو الوحيد الذى تزوج من اسرائيلية ، وقد احتاج لاتمام هذا الزواج الى موافقة كتابية من جمال عبد الناصر ، ووافق عبد الناصر لان الدكتور تقدمى متحمس للثورة ولاجراءاتها ، رغم انها استولت منه على عمارة بشارع قصر النيل وفيلا بجاردن سيتى ووضعته تحت الحراسة . عادت اليه بعد الغاء الحراسات زمن السادات !

قال عضو اللجنة الآخر الدكتور زكى العشماوى : ان الرسالة تتصف بجملة صفات علمية حيث كشفت عن جهد ضخم ومضن فى الاستقصاء ، والاستقراء ، وفى جمع مادة متنوعة وكثيرة كما خلا البحث من الحشو غير المفيد ، والتزم بالنصوص المطروحة .

وحصلت السيدة جيهان على الماجستير بعد مناقشة من رئيسة اللجنة د. سهير القلماوى ، وعضويها د. مجدى وهبه ، ود. زكى العشماوى !

بعد المناقشة مباشرة كان هناك حفل عشاء حضره جميع الذين حضروا المناقشة ، أو اسهموا مع السيدة جيهان السادات فى اعداد هذا العمل العلمى الرائد كما اطلق عليه فى ذلك الوقت .

وبعد ان اغتيل السادات سئلت السيدة جيهان عن هذا الحادث الغريب ... اذاعة رسالتها بالتليفزيون فقالت : انها كانت رافضة فى البداية ، ولكن السيدة همت مصطفى رئيسة التليفزيون اقنعتها قائلة : أنا متعمدة ذلك ، فعندما يتساءل الناس هل يعقل انها حصلت على الماجستير أجيب ها هو التسجيل امامكم ومن يريد سماعها فليسمعها على مدى ساعتين وربع الساعة ليرى ويسمع كما يرى ويسمع اية مناقشة بين طالبة واساتذتها .

وقالت السيدة جيهان انها لم تكن سعيدة بهذا التسجيل « لانه يشكل نوعا من الضغط على أعصابى » .

وقد كانت اذاعة هذه الرسالة فى التليفزيون موضع استنكار جميع الناس .

والسبب الذى أوردته السيدة جيهان لاذاعة الرسالة يعنى أنها هى أو السيدة همت مصطفى لم تكونا مصدقتين أنها يمكن أن تحصل على الماجستير .. وكان هذا هو التبرير الذى قدمته لاذاعة الرسالة وفرضها على الناس .

وانفردت مجلة أكتوبر الوثيقة الصلة بالسادات والقريبة من الاسرة بالتعليق على اذاعة مناقشة الرسالة قائلة : « انه سلوك حضارى » .

أما عن سبب اختيار موضوع الرسالة بالذات فقد قالت :

« لقد نظرت حولى فى القسم فوجدت أساتذة فى الادب القديم ، وجيلا كاملا بعدى ، بينما كان ثمة نقص فى الادب المقارن الانجليزى العربى ، فتعمدت دخول هذا الفرع لاثبات وجودى لا سيما أننى أمتلك خلفية فى اللغة الانجليزية تساعدنى فى هذه المهمة لأن خريجى قسم اللغة العربية لا يكونون متمكنين عادة من لغة أخرى على مستوى التعمق فيها » !

وكان عبد الحليم رمضان المحامى قد تقدم الى محكمة القضاء الادارى طعنا فى قبول السيدة جيهان بكلية الآداب وأصدرت حكمها

فى ١٤ يونيو ١٩٨٣ برفض الطعن لان المحامى « ليس صاحب مصلحة فى اقامة الدعوى . ولان الطعن لايمكن أن يقبل من أى شخص يدعى الاهتمام بانفاذ حكم القانون أو غيرته على المصلحة العامة ، وانما يجب أن يكون فى مركز قانونى خاص بالنسبة للقــرار الذى يطعن فيه » !

كان عبد الحليم رمضان يهدف الى هدم الاساس الذى قبلت عليه فى كلية الآداب ويصبح حصولها على الشهادات .. الليسانس ثم الماجستير غير ذات موضوع .

ويرى الكثيرون انه من الصعوبة على جيهان مواصلة المشوار العلمى ـــ بمصر ـــ الذى بدأته فى ظروف خاصة لم تعد متوفرة ، وذلك كى تحصل على الدكتوراه !

واصبحت السيدة الاولى ضـــمن هيئة التدريس بكلية الآداب ولكنها لم تمارسه بشكل جدى لانه لم يكن لديها متسع من الوقت لذلك .

وعقب اغتيال السادات ذهبت الى الجامعة وأرادت أن تمارس العمل ، الا أن العميد اعتذر لها بلطف لانه لا يضمن سلامتهـــا ، ولا حمايتها !

وعندما هدأت الامور بدأت تتردد أحيانا على كلية الآداب .

الا ان قضية حصولها على الليســـانس والتحاقها بالجامعة مازالت أمام القضاء ـــ فاذا كانت المحكمة لم تتعرض لصميم الموضوع وهو عدم أحقيتها فى الالتحاق بالجامعة .. وانما رفضت القضية من حيث الشكل لان المحامى ليس صاحب مصلحة فى اقامة القضية ، فهناك أمران :

● الاول ـــ أن حكم المحكمة بعدم قبول الدعوى لان عبد الحليم رمضان ليس صاحب مصلحة قد عرض على هيئة مفوضى الدولة .. التى أعدت تقريرا مطولا عن ظروف القضية انتهت فيه الى انـــه صاحب مصلحة وانه يتعين النظر فى القضية من جديد وقد جاء فى نهاية تقرير مفوض الدولة بالنص :

ومن حيث ان المستفاد من مساق الدعوى ان الطاعن يهدف من اقامة دعواه الماثلة الى الغاء قرار قبول السيدة جيهان السادات بكلية الاداب بجامعة القاهرة بما يترتب على ذلك ــ آثاره مستندا فى ذلك الى أنه خريج كلية الحقوق جامعة فؤاد الاول التى تحولت الى جامعة القاهرة . وله طلاب وطالبات بالجامعة .. فان ذلك يبرر له المصلحة فى اقامة دعواه بطلب الغاء قرار قبول السيدة المذكورة بكلية الاداب جامعة القاهرة ، وذلك بغض النظر عن النتيجة التى ستترتب على الفصل فى موضوع الدعوى ..

ومن حيث أنه بانزال الاحكام والمبادىءالمتعارضة على المنازعة الماثلة ، يبين أن للطاعن مصلحة ادبية فى الطعن على قرار قبول السيدة جيهان السادات بكلية الاداب جامعة القاهرة للاعتبارات سالفة البيان ، وذلك استهداء بما جرى عليه قضاء مجلس الدولة الفرنسى فى هذا الصدد . وبذلك تتحقق للطاعن مصلحة ادبيــة فى الدعاوى عند اقامتها .. واذ قضى الحكم المطعون فيه على خــلاف ذلك فانه يكون قد أخطأ فى تطبيق القانون كما يجعله جديرا بالالغاء والحكم بقبول الدعوى واعادتها لمحكمة القضاء الادارى للفصــــل فى موضوعها .

ومن حيث أن من اصابة الخسر فى طعنه يلزم المصروفات عملا بحكم المادة ١٨٤/١ وان لهذه الاسباب نرى الحكم :

(أولا) بقبول الطعن شكلا ..

(ثانيا) وفى الموضوع بالغاء حكم المطعون فيه فيما تخص به .. عدم قبول الدعوى والحكم بقبولها واعادة الدعوى الىمحكمة القضاء الادارى للفصل فى موضوعها مع ابقاء الفصل فى المصروفات ..

● الثانى ــ أن عبد الحليم رمضان الذى حصل عــــلى حكم قضائى بفتح الشارع الذى كان يسكن فيه السادات للمرور العام ــ قد وجد وسيلة اخرى لكى يعيد تقديم القضية الى المحكمة .. فى

هذه المرة رفع القضية شخص صاحب مصلحة .. عضو المجلس الاعلى للجامعات رأى فى دخولها مخالفة للقانون .. ولنظم الجامعات الذى هو عضو بمجلسها الاعلى ... هذا الشخص هو الدكتور عبد العزيز سليمان .. رئيس جامعة عين شمس السابق ..

● **أميرة قصر الجزيرة :**

قدم الدكتور عبد العزيز سليمان الى محكمة القيم التى أدانته ووضعت الحراسة على أمواله ، فلجأ الى القضاء العادى ، فبرأه واشاد به .

برأته محكمة الجنايات .. ثم محكمة النقض .

ويرجع الدكتور سليمان محنته الى خلافه مع السـيدة جيهان وعدم اطاعة أوامرها ، بل وتمرده على طلباتها فى وقت كان أغلب المسئولين فى مختلف المواقع يتسابقون على تلبية الاوامر والطلبات حتى غير المشروع منها . ومن هنا بدات بعض الاجهزة تلفق التقارير ضـده .

قال لى الدكتور عبد العزيز سـليمان أنه أمضى نائب رئيس جامعة عين شمس ثمان سنوات وعندما خلا منصب رئيس الجامعة لم يمانع ممدوح سالم فى ترشيحه بل بارك هذا الترشيح واستأنس برأى السيدة جيهان التى وافقت وقد سألها مباشرة عما اذا كـان هنـاك مانع فى تعيين الدكتور سليمان رئيسا للجامعة فقالت ان هذا من حقه لان اقدميته تعطيه هذا الحق ..

ولم يكن الدكتور سليمان الذى كان مسئولا فى حزب مصر قـد التقى بالسيدة جيهان من قبل ، كما أنه لم يكن يعرفها .

ولكنه يقول أنها باركت تعيينه كما كانت تبارك أو ترفض أى شىء فى البلد .

ويواصل روايته قائلا : انه فى سبتمبر سنة ١٩٧٥ غضبت السيدة جيهان على السيدة زينب السبكى عن موقعها كمسئولة للمـرأة فى

الاتحاد الاشتراكى .. ارادت أن تبعدها مع ابعاد الدكتور رفعت المحجوب أمين الاتحاد الاشتراكى الذى وقف فى مجلس الشعب ، وتحدث لاول مرة عن القطط السمان ، مع بداية الانفتاح الاقتصادى ونمو طبقة من أصحاب الدخول الطفيلية .. وطلب ممدوح سالم الى الدكتور سليمان أن تتولى زوجته السيدة سعاد أبو السعود أمانة المرأة .. ووافق .

وبدا واضحا أن الدكتور عبد العزيز وزوجته لن يكونا من شلة الست !

وحضرت زوجته الدكتورة سعاد أبو السعود احتفالا أقامته جامعة عين شمس وجاءت فى سيارة سوداء حتى ظن الحرس الذى كان ينتظر السيدة جيهان أن القادمة فى السيارة السوداء هى حرم الرئيس .. ولكنها كانت حرم رئيس الجامعة . وليست حرم رئيس الجمهورية .

وكان الحرس قد استعد لتأدية التحية لحرم الرئيس التى وصلت بعدها بدقائق ، وسمعت باللبس الذى وقع نتيجة حضور أمينة المرأة قبلها فى سيارة سوداء !

واصيبت بغيرة شديدة .. وسوف تتردد هذه الواقعة على لسان الادعاء ، والدفاع أثناء محاكمة د. عبد العزيز سليمان .

وسيقول الدفاع أن زوجة الدكتور عبد العزيز أستاذة بالجامعة ، ومسئولة ، واستخدامها السيارة ليس فيه مخالفة .. فقط هى غيرة « امرأة العزيز » كما سماها الدكتور . .

وبسبب خلافات مع السيدة جيهاء كانت قضية الدكتور عبد العزيز سليمان .. وجلس فى قفص الاتهام متهما باستغلال النفوذ ، والاستيلاء على أموال احد مشروعات لاقامة مستشفى للجامعة .. ووضعت أمواله تحت الحراسة ..

وكانت قضية شغلت مصر كلها حينا من الزمن ليس فقط لشخص المتهم والتهم المنسوبة اليه ولا لان القضاء الطبيعى بدرجاته

المختلفة قد أنصفه بعد أن أدانته محكمة القيم ذات التشكيل الخاص بوضع أمواله تحت الحراسة .. ولكن الى جانب ذلك ما تناولــه المحامون من وقائع تمس السيدة الاولى .

ومن أبرز هذه الوقائع قضية الدكتورة نعمت هاشم صديقة السيدة جيهان ، ونائبتها فى جمعية الوفاء والامل .

وكانت الدكتورة قد تشاجرت مع أحد زملائها ، وحولت أوراق التحقيق الى رئيس الجامعة ، فاحالها الى مجلس تأديب .. وبذلت السيدة جيهان محاولات مع الدكتور عبد العزيز لكى يعــدل عن قراره باحالة صديقتها ونائبتها الى مجلس التأديب بل تعيينهــا رئيسة لقسم الاطفال ولكن الدكتور رفض .

ويروى الدكتور عبدالعزيز جانبا من هذه المحاولات قائلا :

« كان الوزير والوزير الذى سبقه فى تولية الوزارة على علم بأسباب الترصد لى وتعمد الاساءة لى وقال الوزير السابق للوزير الحالى أن الضغط عليه من الجهات الرئاسية بشأن موضوع احالة احد أساتذة كلية الطب لمجلس التأديب وعدم تعيينها رئيســـــة للقسم بناء على التقارير فيها والتحقيقات التى أجريت مع الاطراف المعنية وتقارير القانونيين ومنهم عميد كلية الحقوق ووكيل الكليـــة والمستشار القانونى للجامعة ـــ كل هذه الحقائق الدامغة بالاضافة لقرار أجمع عليه تسعة من أساتذة القسم الذى تعمل به هـــــذه الاستاذة بعدم صلاحيتها لرئاسته . وقد قال لى الوزير يومـــا أن نصف وقته ضائع على هذا الموضوع وحمد الله لتركه للوزارة كما قال ليستريح من هذا الضغط ورفض ذكر الاسم الذى يهددنى من وراء ستار ـــ وأما الوزير التالى وهو النقيب فى ذات الوقت لنقابة المهن العلمية التى عملت أمينا لصندوقها لسنوات فقد كان متحفظا فكان بمثابة السست التى تتلقى الصدمات .

وكان متحرجا لاقصى درجة حتى انه عقد اجتمــــاعا بمكتبــه حضرة عميد كلية الطب واقر فيه أرجاء تعيين هذه الاستاذة المحالة

لمجلس التأديب فى رئاسة القسم الى جانب مواد أخــــرى فى ذات القرار .

وكان هذا القرار ملطفا لحد ما ولكن سرعان مارفض هذا الحل ... ضغوط وضغوط ... وأيدت الرئاسات عناصر بكـــل أسف من الاساتذة فتبنوا استهداف التنكيل بى وكما قال أحـــد الامريكان الذى تقدم مستنده فى المحكمة قال أنها الغيرة السياسيـة تسول لانفس البعض الاجهاز على آخرين أفضل منهم درجة .

وبدأت حلقة جديدة من المحاولات فى هذا الموضوع الخـــاص بأستاذة كلية الطب وتناولتها صاحبة السلطان والتى أن قــــالت فعلت وظنت انها ان قالت لشيء كن فيكون ولا حول ولا قــــوة الا باللـــــه .

وظنت انها حلالة العقد وقررت أن تتصدى بذاتها العليــــا للموضوع حيث ظنت أن أخفاق غيرها من مختلف المستويات التى سأشير اليها بالاضافة للوزير المختص ظنت بأنها اقدر من غيرهـــا على لوى عنق عبد العزيز سليمان وكسر زراعه فأستعدتنى هذه الرئاسة واحضرت معى أستاذة الطب المحالة لمجلس التــــأديب المحرومة بالتالى من رئاسة القسم .

وكانت زيارة فى القصر وكما اقول دائما قــــدم لنا وللكلاب البيتى فور ... نعم أن تقديم البيتى فور لايعنى عند أصحاب الجاه الا مظهرا من مظاهر القدرة المادية ــ فلو كان تكريما لى ما أعطى الكلب وفى ذات الوقت وأمام عينى نفس البتى فورات اللذيذة .

وكانت مظاهر الاحترام مستوفاة قبلى ، وحاولت ان اتصالح مع الاستاذة ، وظهر لى فورا بأنها لا تلم بأطراف الموضوع فقلت على الفور انه لا خصومة شخصية بينى وبين هذه الاستاذة ، اننى لا أملك التصالح أو التنازل عن قرارى حيث أننى لست طرفا من الاطراف التى أدي تعديها عليهم أحالتها لمجلس التأديب لا سيمـــا

وان أكبر القانونيين فى جامعتى قد قضوا رسميا باحالة الاستاذة المذكورة ، كما ظهر فى شهادة نائب رئيس الجامعة أمام المحكمة كانت تهدد طوب الارض بالجهة الرئاسية ذات السطوة من خارج الجامعة والتى تصورت أنها بفعلها المستحيلات والممنوعات تثبت قدرتها من دون الله على اذلال من تشاء واعزاز من تشاء .

وهنا ذكرت أن الاطراف المعنية والقانونية هم من يستطيعون الحل وأن ما يقررونه ما على الا طاعته — وهنا أدركت السيدة النبيهة للحد الذى لا يجاريها فيها أحد ، على حد تصورها أدركت وتصورت أنها قادرة على اقناع هذه الاطراف بتحقيق مآربها وطلبت منى تحديد أسماء الاطراف فحددتها ، وكانا أستاذين أحدهما رجل والثانى سيدة وطلب منى أن أصحبهما الى الرئاسة فى يوم حددته فاعتذرت عن مصاحبتى لهما حتى يكونا على حرية تامة معهما .

ولكن اصرارها على حضورى والله واعلم كان لاذلالى واخضاعى أمامها ، أو لتصورها بأننى سأتوسل لهذين الاستاذين لاطاعة الامر والرضوخ للتهديد مقابل عدم تنفيذ أمر التنكيل بى . والذى حدد على وجه التحديد بأن المطلوب ان لم اطع مايصدر لى من اوامر فسيكون المقابل هو طردى من وظيفتى وحرمانى من مركزى قبل المدة المحددة ، وتعيين الاستاذة رئيسة للقسم والغاء احالتها لمجلس التأديب ، ثم النيل منى فى مالى وفى جسدى وبدنى ودفعى للانتحار وقيل ذلك على مرأى ومسمع من شهود .

ولم تنجح المقابلة من جهة الرئاسة حيث لم يرضخ اى من الاستاذين وبالتالى لم يرضخ رئيس جامعتهم للاوامر وقد قالت لها الاستاذة « خلينا نحس ولو مرة واحدة ان فيه عدل فى البلد » .

وتبودلت على مدى ساعة ونصف كلمات فيها تجرؤ على الذات العلية ، كما تتصورها ومما قلته ان لى كرامتى فى جامعتى ، وحتى لو سلمنا جدلا بأننى أحمى ابنتى من أستاذة الانتقام فان ذلك

أمر غير محرم ، على لو كنت شخصا عاديا ، فما بالهم وأنا رئيس الجامعة التى يراد فيها الانتقام من ابنتى ودفعها للرسوب افتمالا ، وهى أولى الاوائل ، وضربت مقارنة ممثلة فيما حدث لاحد أساتذة كلية الهندسة بجامعة القاهرة فى موقف صور بشكل اضطهاد لاحد التلاميذ ولم يكن بالمرة اضطهادا على حد علمى وسوف ينصف مجلس الدولة هذا الاستاذ ان عاجلا أو آجلا .

وفشل اللقاء بعد ساعة ونصف من اقوال اعتبرت اساءة للباب العالى ، الذى لايجوز أن يتجرأ أحدنا على الحديث معه بهذا الاسلوب حيث لم يتعوده فى مجتمع يجيد المجاملة ولايتجشم عناء المقاومة — وكان للرئاسة خبرتها فى ذلك فلم يكن يستطيع أحد فى اى مركز من مراكز الدولة أن يقول لا ، ولا نصف لا ، بل انتسجيلات التليفزيون سجلت مرة احد المسئولين فى محافظة ما عندما طلبت اليه الرئاسة طلبا فأشار الى عينيه باصبعه على التوالى اليمنى اولا ثم اليسرى ، وهذا ان دل على شىء فانما يدل على الاستهانة من الناس بأعينها ، ولكن عذر الرجل فى ذلك أننا تعودنا أن نغلظ الايمان للتأكيد على امر ما ولو بالباطل كما تعودنا أن نقول من العين دى والعين دى غير عابئين بما يحمل ذلك القول من معان .

وانتهت المقابلة عند هذا الحد واعتقدنا جميعا بأن الامر سيترك لذوى الشأن من أساتذة الجامعة ، وقيادتهاوالوزير المختص بها ، وانصرفنا غير آمنين على مستقبلنا وبخاصة أنا وبالرغم من ذلك كنت مرضيا لضميرى تمام الرضا .

وهنا بدأ تسليط السياط وفوهات المدافع — وكان بدؤها بالشكويين اللتين حظيتا بالتأشيرة السامية بالفلوماستر — التى اجراءات أدت بى الى قسم بوليس الازبكية الذى أكلت فيه البطيخ وشاهدت التليفزيون وكرمت من ضباط البوليس على الرغم من اوامر السلطة باهانتى . فالمصرى مازال أخا للمصرى فى أى مكان اللهم الا الشواذ منهم ممن تغريهم الاغراءات المختلفة من مراكز أو مال » .

وهكذا ينتهى الجانب الاول من قصة الدكتور سليمان كما زواها هـو ...

● سيدة الباب العالى :

الجانب الاخر من قصته وهى الدكتورة نعمت هاشم تناولـه الدفاع عن الدكتور عبد العزيز فى قاعة محكمة الجنايات .

فقد وقف الاستاذ عاطف الحسينى المحامى يترافـع عن الدكتور سليمان ، ويروى وقائع القضية كلها من وجهـة نظره .
وقد جاء فى المرافعة الطويلة للاستاذ عاطف الحسينى ما يأتى بالنص :

الاستاذ عاطف الحسينى :

« ما أن وقعت الواقعة واقصى الدكتور سليمان عن رئاسة الجامعة وعين خلفا له الدكتور محمد كامل ليلة فاذا به يعيده للعمل فى الجامعة وبعد أحالته الى المعاش يصدر قرارا بتعيينه ـ أمين الجامعة ـ مستشارا للجامعة مكافأة له لانه كان أداة من أدوات الانتقام والغدر التى اطاحت برئيس الجامعة .. وأتشرف بتقديم المستندات الرسمية الدالة على ذلك وهى خطابان ، كتاب اعادته للجامعة ، والثانى الخاص بتكليفه بالعمل مستشارا لجامعة عين شمس بعد احالته للمعاش فى العهد الجديد للدكتور كامل ليلة ،تماما كما حدث فى مسألة الدكتورة نعمت هاشم الاستاذة بقسم الاطفال بكلية الطب وحكايتها اغرب الحكايات التى شاهدها مسرح الجامعة، عديد من التقارير تقول ، الطلبة والطالبات يهربون منها ويفزعون من الالتحاق بقسم طب الاطفال خشية أن يعاندهم الحظ فيقعوا تحت اشرافها أو تبعيتها لا يوجد طبيب يريد أن يعين فى وظيفة طبيب مقيم خشية عدوانها ، المعيدون يعزفون عن هذا القسم ، نضب قسمطب الاطفال بفضل شخصيتها الشاذة ، بفضل نكدها الدائم وشجارها

المستمر واعتدت على زملائها فى القسم ومن بينهم الدكتورة زينب ماجد والدكتور عمر حلمى فتقدما بشكوى الى عميد الكلية الدكتور فرفضت وانتهى الامر بأحالتها الى مجلس تأديب ، برئاسة الدكتور زغلول مهران بصفته نائب رئيس الجامعة المختص بعقد مجلس التأديب وقرر فى شهادته أمام عدالتكم : هل قمت بعقـــد مجلس التأديب ؟ فأبى الرجل الا أن يقول الحقيقة ، ذلك انه كان مكلفــا بذلك الا انه لم يعقد المجلس اذا سمع أن هناك محاولات صـــلح تجرى بين الطبيبة المتهمة والمجنى عليها الدكتــورة زينب ماجــد التى حاول سؤالها فرفضت وأحال الشكوى الى الدكتور رمزى عمر حلمى فتقدما بشكوى الى عميد الكلية الدكتور احمد البنهاوى والدكتور عمر حلمى وأن أطرافا من خارج الجامعة تتدخل ، فسألته من هى تلك الاطراف التى تتدخل ، فأجاب : السيدة جيهان السادات لذلك اوقفت الامر كله ثم سألته أمام عدالتكم عن مصير أوراق الدكتور رمزى الشاعر المستشار القانونى للجامعة الذى بذل كل المحاولات لضمها الى التحقيق فقال : لقد نام الورق .. فى سبات عميق ..

ولقد تشرفت بأن تدمت فى بداية هذه المحاكمة المستندات الرسمية الدالة عـــلى تدخل السيدة جيهان السادات فى شئون الجامعة وبالذات فى شأن الاستاذة نائبة الوفاء والامل الدكتورة نعمت هاشم ، وحاولت الجهة الضغط على الدكتور عبد العزيز سليمان لاقناع الاطباء المجنى عليهم بالتنازل عن شكاواهم فأبى الرجل ووقف شامخا أمام سيدة مصر الاولى ليقول كلمة الجامعــة لن اضغط على أحد من الاساتذة ليفرط فى كرامته ، فان تصالحوا معها فانى مبارك لهذا الصلح ولا أملك غير ذلك ، نعز على سيدة الباب العالى أن يكون فى مصر رجل يرفع هـــامته ويعتز برأيه واصدرت حكمها بالاعدام على جامعة عين شمس ورئيسها ، ودبر له الاتهام بمعرفة الاجهزة الرخيصة وعملائها من الموتورين والمنافقين والمتطلعين دائما الى الباب العالى بنفوذه وجبروته فهو صـــاحب

المنح والقادر على المنع ، وتم عزل رئيس الجامعة الدكتور سليمان وعين الدكتور كامل ليلة خلفا له وكان أول قرار أصدره هو تعيين الدكتورة نعمت هاشم رئيسة لقسم طب الاطفال بكلية الطب رغم تقرير الرقابة الادارية القائل بعدم صلاحياتها ، والذى سبق أن اشرت اليه وبرغم أن الدكتور صلاح عواد الرئيس السابق لقسم طب الاطفال قبل احالته للمعاش كان قد تقدم بمذكرة اخرى انشرف بتقديم صورة رسمية منها ورفعها لقيادات الجامعة يقول فيهـــا بالحرف الواحد ان الدكتورة نعمت هاشـــم لا تصلح لرئاســـة القسم فهى كثيرة التعدى ودائمة الشجار وسوء المعاملة لزملائها من الاساتذة والمرعوسين بل والرؤساء وكافة العاملين والاداريين ، ولا يفوتنى فى هذا المقام أن اذكر بما شهد به الدكتور زغلول مهران نائب رئيس الجامعة فى هذه القاعة من أن الدكتورة نعمت هاشم قالت أننى لا أسأل فى التحقيق بمعرفة الدكتور رمزى الشاعر ولا بمعرفة غيره اننى فوق المساءلة ، وقال زغلول مهران أنها كانت دائمـــة التهديد لكافة العاملين بالجامعة اعتبارا من رئيسها حتى أصغر الناس فهى تقوم بتهديد الناس كلهم على حد تعبيره ، واستعارة مما شهد به الدكتور زغلول مهران بأن لسان الدكتورة نعمت هاشم انها فوق القانون ، أنها لا تسأل عن أى فعل أو جرم ترتكبه ، فهى نائبة الباب العالى ، نائبة سيدة مصر الاولى تستمد منها الكيان والنذير والتهديد والوعيد ، وقد افلحت .. ومع ذلك يقوم الدكتور محمد كامل ليلة بتعيينها رئيسة للقسم ، ولـــم تؤدب فى مجلس التأديب . ويقينى بأن أوراق مجلس التأديب ظلت نائمة عـــلى حد تعبير الدكتور زغلول مهران فى عهد رئاسة الدكتور ســـــليمان للجامعة ، ثم ماتت بعد ذلك وقام بدفنها الدكتور كامل ليلة فى المقبرة التى أعدت لسلفه الشامخ الدكتور عبد العزيز سليمان .

وأمعانا فى اذلال كرامة رئيس الجامعة وحتى لا يجرؤ أحـــد بعد ذلك على رفع هامته أو الدفاع عن كبرياء وكرامة الجامعـــة

صدر قرار السيد رئيس الجمهورية السابق بتعيين الدكتورة نعمت هاشم من بين هيئة مستشارى السيد الرئيس ..

ولما سئلت نعمت هاشم أمام عدالتكم ارادت الدفاع عن نفسها وبكل كذب مزيف وبهتان زعمت أن الخلاف الذى كان بينها وبين الدكتور عبد العزيز سليمان بسبب امتحان ابنته الدكتورة نانسى فى الماجستير وقد كذبها كل الاساتذة الذين سمعت شهادتهم أمام هذه المحكمة فقالوا بتفوقها العلمى منذ بداية مراحل تعليمها الابتدائى والثانوى وفى كلية الطب تخرجت بامتياز مع مرتبة الشرف ومنذ التحاقها بكلية الطب كان نجاحها بدرجة أمتياز منذ السنة الاعدادية حتى تخرجها وقد حصلت على هذه التقديرات ولم يكن الدكتور سليمان رئيسا للجامعة ابان حصول ابنته على درجة البكالوريوس بامتياز مع مرتبة الشرف حيث حصلت عليها عام ١٩٧٦ وعين والدها رئيسا للجامعة سنة ١٩٧٧ ورغم كل هذا الواقع غير المذكور راحت الدكتورة نعمت هاشم تقول أن الدكتورة نانسى لم تكن تستحق فى الدرجات الا صفرا ..

● رجال مصر باقون :

هذه هى قصة السيدة الاولى والاخيرة بايجاز شديد ..

ولا نريد أن نخوض فى تفصيلات أوسع حتى لا نؤذى مشاعر البعض الذين ولاشك يراجعون قول الخليفة الذى ارسله عندما علم بسلطنة شجرة الدر « اذا كانت مصر قد عدمت الرجال فاعلمونا حتى نسير اليكم رجلا .. » ولم تعدم مصر الرجال أبدا ..

قوانين الرئيسة جيهــان ..

عندما سألت احدى الصحفيات السيدة جيهان « الصــــياد ٢٣ اكتوبر ١٩٧٥ » هل المرأة لن تكون أبدا رئيسة لدولة مصر .. اجابتها السيدة جيهان « نحن كان عندنا ملكات بيحكموا مصر فى وقت ان كان غيرنا يعيش فى المغاور .. انظروا الى تاريخنا .. » وهكذا لم تنف أن تكون المرأة رئيسة لمصر ، بل أكدت من الشواهد التاريخية أن ذلك يمكن ..

وكانت قد راجت شائعات كثيرة عن أن السيدة جيهان سوف تعين فى مواقع مختلفة تسمح بأن يكون لها وضــــع دســـــتورى او قانونى لتمارس من خلاله سلطات الحكم علنا ، وتخــرج من الكواليس الى المسرح السياسى الذى تبدو عليه كدخيلة من الناحية الدستورية ، بينما هى فى الواقع فوق كل دستور وكل قانون !! ..

عرض السادات تجديد مدة رئاسته للمرة الثالثة ، وكان قــد اصر على ان يوضع فى الدستور نص يمنع رئيس الجمهورية أن يحتل موقعه اكثر من مرتين .. واعلن اكثر من مرة انه لن يجدد .. كان ذلك فى بداية حكمه وبعدها كان لابد من الغاء هــــذا النص فى الدستور .. لانه لن يترك مقعد الرئاسة ابدا . ومن هنا جاءت الضرورة الملحة لاعادة النظر فى مواد الدستور ، وتغييرها ، واجراء استفتاء جديد على هذه التعديلات ، على نحو ما ينص الدستور .. وشكلت لجنة خاصة فى مجلس الشعب لنظر واعداد هذه التعديلات قبل عرضها على الاستفتاء العام .. وكان من بين اعضاء هــذه اللجنة السيدة فايدة كامل عضو المجلس ، وزوجــة نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية محمد النبوى اسماعيل الشهير والغنى عن

كل تعريف .. وكانت المناقشات تدور حول راى البعض بضرورة النص فى الدستور على أن يتولى السادات الرئاسة مدى الحياة ..

وقد عقبت السيدة فايدة كامل على هذه المناقشات بأنــه لا يكفى بالنسبة للرئيس السادات أن يكون رئيسا مدى الحياة . والمفروض بالنسبة للرئيس السادات بالذات أن يعين من يخلفه .

وفهمت احدى الصحف العربية التى نشرت النبأ فى صــدر صفحتها الاولى أن السيدة فايدة تهدف الى أن يعيد الســادات النظام الملكى ، ورجحت فى هذه الحالة ان يكون ولى العهد هــو السيدة جيهان ذاتها على نحو ما جاء فى الجريدة المذكورة !!

وبذلك يعود العصر الذى كانت تعنيه السيدة جيهان بأنــه كان عندما ملكات يحكمن مصر .. وقت أن كان غيرنا يعيش فى المغــاور ..

ولم تكن السيدة جيهان باليقين تقصد ملكات مصر القــديمة « كيلوباترة » .. حتشبسوت .. ولكنها بالتأكيد كانت تقصــد شجرة الدر .. التى حكمت فترة باسمها قبل أن تحكم من وراء ستار هو زوجها .. فقد كانت هى التى تسير الامور ـــ وتدير شئون الدولة ـــ بينما زوجها هو الذى يبدو فى الصورة كحاكم !. حتى مات مقتولا ..

● قانون جيهان الاول ..

على ان تدخل السيدة جيهان فى أمور الدولة لا يحتــــاج الى دليل خاصة بالنسبة للذين عاشوا تلك الفترة فقد كان هذا الامر واضحا على مستوى رجل الشارع .. ولم يكن خافيا .. وكــان ما يحيط بالسيدة جيهان من مظاهر واستقبالات وحفلات تكريم ، ومهام فى الداخل والخارج ، وتصريحات فى الصحف والمكتب الذى خصص لها بموظفيه يعنى أنها تمارس السلطة فعلا ..

وعن طريق ممارستها للسلطة استطاعت أن تحقــق للمرأة المصرية بالذات مكاسب لا تنكر ، وأيا كان رأينا نحن الرجال أو رأى بعضنا فى هذه المكاسب ، الا أنها بكل المقاييس كانت اضافة

للمرأة المصرية رغم اعتراض البعض .. وهى اعتراضات تم بعضها على اساس من التعصب الرجالى والاخر على أساس من الدين ، فقد راى الكثيرون أن بعض هذه المكاسب تمس النصوص الدينية ، وتخالف الشريعة الاسلامية ، وخاصة فيما يتعلق بقانون الاحوال الشخصية ، والذى يطيب للبعض حتى الان ان يطلق عليه اسم — قانون جيهان — نسبة الى صاحبتها الحقيقية رغم انه صدر من مجلس الشعب المصرى ، ووافق عليه البرلمان ..

والملاحظ ان هذا القانون قد صدر — بداية — بقرار من الرئيس استخداما لحقه الدستورى الذى منحه له البرلمان باصدار قوانين فى حالة عدم انعقاد المجلس أو اجازته على أن تعرض على المجلس فور انعقاده !!

والملاحظ أيضا أنه صدر قبل اجتماع المجلس مباشرة ولم يكن القانون وحده بل ومعه عدد من القوانين التى تخص المرأة وتعطيها امتيازات ، الامر الذى أكد أن وراءها جيهان فقد صدرت كلها قبل اجتماع المجلس بساعات .. وعرف أن قوة ضاغطة وعاتية وجبارة وراء هذه القوانين ، فقانون الاحوال الشخصية مثلا تأخر صدوره سبعين عاما ، ولم يكن يضير ان يتأخر سبع سنوات أو سبعة أشهر ولكنه صدر بقرار من رئيس الجمهورية قبل اجتماع مجلس الشعب بساعات الامر الذى دعا المحكمة الدستورية الى أن تلغيه قائلة أنه غير دستورى لانه لم تكن هناك حاجة ملحة وعاجلة لاصداره فى غيبة المجلس .. وكان الهدف من هذا التحايل ان يمر القانون فى المجلس فلن يحتاج فى هذه الحالة الا الى موافقة الاعضاء على قانون صدر فعلا .. بعكس ما اذا قدم للمجلس مشروع قانون .. فانه سوف يعرض على اللجنة التشريعية ثم يطرح للمناقشة الواسعة داخلها وخارجها وستكون احتمالات الموافقة عليه صعبة فى برلمان حزب الرئيس

الذى يملك اغلبية فى المجلس ، ولكنها اغلبية ليست مضمونة فى مثل هذا القانون وبالشكل الذى صدر به ونسب اليه المخالفة لنصوص صريحة فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. وحتى اذا ضمنت الاغلبية فان صدوره بالشكل الذى صدر به تعنى ثلاثة أمور :

● **الاول** : أنه صدر من مؤسسة الرياسة ، فهى التى أعطت المرأة ما كانت تطالب به منذ سنوات أى أن السيدة جيهان قد انصفت المرأة على نحو ما فهمت جماهير الشعب التى اطلقت بحسها على القانون باسم « قانون جيهان » كما كان حس الشعب دائما يقظا لمسئوليتها فى الحكم الامر الذى جعل معظم مظاهرات يناير ١٩٧٧ توجه هتافاتها الى السيدة جيهان على نحو ما رأيناه ... وما رصدته دراسة لمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بجامعة جورج تاون الامريكية التى قالت أن مظاهرات منتصف يناير ١٩٧٧ كانت تهتف « يا جيهان .. الشعب جعان » ونحن نأتى بالشهادة الامريكية .. لانها شهادة الاصدقاء .. أصدقاء العائلة ..

● **الثانى** : ان القانون بهذه الصفة قد اكتسب نوعا من « الحصانة » مما يعنى انه سوف يمر فى المجلس عند عرضه عليه دون تعديل ، وسوف يجد من يدافع عنه ، ومن يتردد فى نقده أو عدم الموافقة عليه . اذا دارت مناقشة بعد صدوره .

وكانت موافقة المجلس على القانون الذى صدر مضمونة حتى انه لم تتحرك واحدة من ممثلات المرأة فى المجلس ، للدفاع عنه .. فقد لفت الانظار ان اعضاء المجلس من السيدات جميعا لم تتكلم واحدة منهن دفاعا عن القانون وربما احست بعضهن بالحرج من الزج بأسمائهن فى قانون هو قانون السيدة الاولى ، ولا يجب أن يقترب بالدفاع عنه ، أو بوضعه سيدة أخرى غيرها .. حتى أن وزيرة الشئون الاجتماعية التى أسهمت بشكل مؤثر فى وضع مسودة القانون لم تتكلم ، ولم تدافع عنه ..

وللتاريخ فان ذلك لم يمنع اصواتا ارتفعت .. تتهم القانون

بانه يتعارض مع الشريعة الاسلامية سواء داخل مجلس الشعب أو في صحيفة حزب العمل المعارض .

● أما الامر الثالث : فهو ارهاب المعارضين .. وكانت قد قامت مظاهرات من قبل بين طلاب جامعة الازهر احتجاجا على ما نشر حول مشروع القانون الذى كانت قد أعدته وزيرة الشئون الاجتماعية الدكتورة عائشة راتب بناء على أوامر من السيدة جيهان ..

وكانت السيدة الوزيرة قد شكلت لجنة لاعادة النظر فى قانون الاحوال الشخصية انتهت الى عدد من المبادىء نشرتها فى الصحف فهاجمها أئمة المساجد .. وعارضها شيوخ الازهر، ووصلت المعارضة الى حد أن قامت مظاهرات ضخمة بين الطلاب ، وقد أدت هذه المعارضة ، الى أن ينام المشروع لفترة حتى بعثته السيدة جيهان مرة ثانية فى عهد الوزيرة آمال عثمان ..

● **قصة قديمة وراء القانون :**

وبموضوعية شديدة ، ومن منطلق اجتماعى بحت تقرر أن القانون الجديد أنصف المرأة وأنهى قضية ظلت محور عمل ومطالبات الهيئات النسائية منذ سنة ١٩٢٣ ، عندما تقدمت النساء بعريضة الى أول مجلس نواب يطالبن باعادة النظر فى قانون الاحوال الشخصية وكانت العريضة تحمل اسم مطالب المرأة تقدمت بها السيدة هدى شعراوى رئيسة الاتحاد النسائى الذى كان يمثل نساء مصر فى ذلك الوقت .. وقد تضمنت موقف المرأة من القضية الوطنية ومطالبتها بالمساواة فى الاجر مع الرجل وحقها فى التعليم ورفع سن الزواج .. ثم تعديل قانون الاحوال الشخصية بوضع حواجز ضد الطلاق الذى كان متفشيا فى المجتمع .. وكذلك وضع ضوابط لتعدد الزوجات ..

وكانت القضية قد أثيرت من قبل ، وتناولها قاسم أمين كما كان للشيخ محمد عبده رأى فيها ..

بعد ذلك بعامين وفى عام ١٩٢٥ تكونت أول لجنة لتعـــديل قانون الاحوال الشخصية ، أنهت دراساتها بعد عام كامـــل ووقفت الى جانب المراة فى مطالبها ، فوضعت مشروعا لتقييد الطلاق ، وتعدد الزوجات !!

وعندما نشرت اللجنة مقترحاتها ، قامت الدنيا ، ولم تقعد . ووجدت مقترحاتها معارضة شديد أدت الى الصمت المطبق ..

واهيل تراب النسيان على هذه المقترحات لمدة عشر سنوات كاملة ، كانت المراة خلالها لا تكف عن رفع صوتها فى كل مناسـبة مطالبة بتعديل هذا القانون .. ووقف الى جانبها عدد من قـادة الراى والفكر ، كما وقفت أيضا الصحافة مع المراة فى مطالبهـــا وخاصة ان نسبة الطلاق كانت مرتفعة .. وأن الزوجة الثانيـــة اقتحمت كثيرا من البيوت على الزوجة الاولى .. وكان المؤيدون لوضع القيود يقفون الى جانب المراة ومعهم فتاوى شرعية ، أبرزها فتوى الامام محمد عبده .. ومن أجل ذلك فان وزارة العدل فى عام ١٩٣٦ كونت لجنة لوضع قانون جديد للاحوال الشخصية ... واستمرت اللجنة فى اعمالها .. اكثر من عشرين عاما ... حتى جاءت الوحدة بين مصر وسوريا ورؤى أن يكون هناك قانون موحد للاحوال الشخصية يطبق على الاقليمين .. وتكونت لجنة ثانية .. وثالثة ورابعة تعمل ببطء خشية ردود الفعل ..

- **اقـــوى من عبد النـــاصر :**

وكان واضحا أن ثمة مشاكل تعترض اصدار ذلك القانـــون الذى يتعثر دائما ..

وأصدر وزير العدل عصام الدين حسونة قرارا بايقاف التنفيذ فى أحكام الطاعة ..

وقد ناقش مجلس الامة الذى يراسه السادات قـرار وزير العدل يوم ٤ مارس ١٩٦٧ .. ووقف وزير العدل يجيب عـــلى

اسئلة الاعضاء فى هدوء ورصانة ، ويدافع عن القرار الذى اصدره .. وقال بين كلماته « انه ليس فى العالم الاسلامى كله من اقصاه الى اقصاه نص مماثل للنص الموجود لدينا عن اسلوب التنفيذ لاحكام بيت الطاعة ، ولست أعلم من أين جاء كى يسود صحائف التشريعات لدينا .. كل ما أعلمه أنه ولد فى يوم أغبر من أيام مايو ١٨٩٧ فى حجر احتلال انجليزى ، وفى حضانة طغيان وجهالة وجاهلية كانت تسقط على أبناء الوادى من الباب العالى كما تسقط الصواعق والنوازل ، ثم توارثناه ــ بالاسف ــ جيلا بعد جيل دون أن نسأل عن أصله وسنده بل دون أن نشعر الا أخيرا وحين اليقظة ، بنشوزه عن العدل والشريعة وكرامة الانسان ومقتضيات الزمان » .

وقال الوزير « هل يرضى السادة السائلون أن رجلا فيه مافى الرجال من نخوة ومروءة وشهامة .. يقبل أن يستعين بالشرطة كى تسوق الى مخدعه زوجة مغلولة العنق ، مكبلة اليدين ، وما الفرق هنا فى شريعة الشهامة والكرامة والرجولة الحقة بين الزواج ، وبين الاغتصاب » ..

ولم تقنع اجابة الوزير السادة اعضاء مجلس الامة ، فهبوا يعارضون القرار الذى أصدره بوقف تنفيذ احكام الطاعة بالشرطة .. فعاد الوزير يتحدث عن قانون الاحوال الشخصية « ان البعض يود أن يطرح مشروع قانون الاحوال الشخصية فى مناقشة عامة .. وهذا القانون مازال جنينا لم يتخلق بعد ،ستنتهى اللجنة منه اليوم ثم ابحثه بضميرى أيضا ثم يطرح عليكم » .

وقد حسم السادات بنفسه المناقشات عندما أنهى الجلسة على أن يقدم السيد وزير العدل مشروع قانون الاحوال الشخصية الى المجلس فى اول جلسة بعد جلسات هذا الاسبوع !

ولم يتقدم مشروع القانون الى مجلس الامة ابدا .. ولقد كان معروفا سلفا ان مرور مثل هذا القانون من المجلس عملية صعبة

تحتاج الى كثير من التفكير والمواءمة ، فالقضية تمس معتقدات دينية يختلف فيها علماء الاسلام ، والانحياز الى طرف ضد طرف فى مثل هذه القضية صعب ..

لقد رأينا أن هذه المناقشات كانت مستمرة لسنوات ، ورغم ان عبد الناصر حسم كثيرا من الامور التى كانت موضع خلافات الا أن الاقتراب من قضية الاحوال الشخصية على النحو الذى كانت تطالب به المرأة كان أمرا يحيط به كثير من المحاذير ..

وهذه المحاذير كان يعرفها السادات فهو رئيس المجلس الذى اقترح أن يقدم القانون الى المجلس خلال أسبوع .. وامضى ثلاث سنوات بعدها وهو رئيس للمجلس لم يسأل عن القرار الذى اصدره بتقديم القانون والذى كان هو نفسه صاحب فكرته ..

كان السادات يعرف ان مثل هذا القانون اذا صدر ملبيا لمطالب المرأة فسوف يثير ضوضاء كثيرة واذا صدر وهو لا يلبى هذه المطالب فسوف تصاب النساء وبعض الاجتماعيين الذين يؤيدون هذه المطالب باحباط .. لذلك آثر الصمت .. ولكن جيهان كانت اقوى من كل هذه التصورات .. وردود الفعل ... بل اقوى من عبد الناصر . وصدر القانون بقرار من السادات ..

وقالت المذكرة التفسيرية للقانون ان الذى يحكم الاحوال الشخصية قانونان « ولقد مضى على هذين القانونين قرابة الخمسين عاما طرأ فيها على المجتمع كثير من التغيير المادى والادبى التى انعكست آثارها على العلاقات الاجتماعية الامر الذى حمل القضاة عبئا كبيرا فى تخريج أحكام للحوادث التى تعرض عليهم .. وقد كشف ذلك عن قصور فى بعض أحكام القوانين القائمة الى البحث عن أحكام الاحوال التى استجدت فى حياة المجتمع المصرى وذلك فى نطاق نصوص الشريعة دون مصادرة أى حق مقرر بدليل قطعى لاى فرد من أفراد الاسرة بل الهدف من المشروع هو تنظيم استعماله لبعض هذه الحقوق . وقد نص القانون

الجديد على أنه « يعتبر اضرارا بالزوجة اقتران زوجها بأخرى بغير رضاها .. وأن على الزوج أن يقدم للموثق اقرارا كتابيا يتضمن حالته الاجتماعية ؛ فاذا كان متزوجا فعليه أن يبين فى الاقرار اسم الزوجة أو الزوجات اللاتى فى عصمته وقت العقد الجديد ومحال اقامتهن وعلى الموثق اخطارهن بالزواج الجديد بكتاب موصى عليه ..

وأنه يجب على المطلق أن يبادر الى توثيق أشهار طلاقه لدى الموثق المختص واقترنت آثار الطلاق بالنسبة للزوجة من تاريخ علمها به وتعتبر الزوجة عالمة بالطلاق بحضورها توثيقه فاذا لم تحضره كان على الموثق اعلانها بوقوع الطلاق على يد محضر مع شخصها أو فى محل اقامتها » !!

● رد على القانون :

ما كاد القانون يصدر حتى بدأت الصحف تقرع الطبول وتعقد الندوات دفاعا عنه ولم تنشر سوى صحيفة معارضة واحدة الرأى المخالف .

ولعل من أبرز المناقشات التى دارت حول القانون هو ماقدمته احدى المجلات الدينية حيث قالت بالنص « أغسطس ١٩٧٩ » :

أولا — كوننا نعرض لقانون الاحوال الشخصية « فى هدوء » ليس مبعثه خوفا من أحد .. وانما مبعثه أن القانون صدر أيضا فى هدوء .. وعلى حين غفلة من مجلس الشعب — او بمعنى أصح فى غيبة مجلس الشعب .. فكان حريا بنا أن نعرض له فى هدوء .

ثانيا — سيكون حديثنا لا عن ذات القانون فقها وشريعة .. لان غيرنا من فضلاء علمائنا تصدى لذلك .. وفى مقدمة هؤلاء الغير الاستاذ الدكتور الشيخ موسى شاهين وكيل جامعة الازهر وانما سيكون حديثنا حول هذا القانون .. بظروفه وملابساته .. ودوافعه وخلفياته ..

ثالثـــا ـــ اننا ـــ كمسلمين مشتغلين بالاسلام ـــ لا يعنى تعرضنا لقانون الاحوال الشخصية الجديد أن نعارض أى تشريـــع مادام متفقا مع شريعة الله عز وجل ، بعيدا عن التكلف والافتعال وتحقيق رغبات فئة من الناس تريد أن تثبت وجودها على حساب الاســلام ..

بعد هذا فمن حقنا أن نعرض بعض التساؤلات التى ثارت فى اذهان كثير من الناس اثر هذا القانون فمثلا .. لماذا صدر القانون فى غيبة مجلس الشعب ؟ بل ما هو أدهى وامر ان القانون أعلن فى الصحف قبل انعقاد مجلس الشعب الجديد ببضعة أيام .. ومن المقرر دستوريا أن القانون الذى يصدر فى غيبة البرلمــان يجب أن تتوافر له صفة العجلة وعدم الانتظار بحال من الاحوال .. كاعلان الحرب مثلا أو حالات الطوارىء الهامة والخطيرة ..

ولا نظن أن قانون الاحوال الشخصية قد توافر له مثل هــذه الصفة وهو الذى ظل مركونا عشرات الاعوام ومثل هذا الاحساس ترجمه الى صيغة اعتراض فى مجلس الشعب زعيم المعارضـــــة الاستاذ ابراهيم شكرى . ثم كيف يعرض قانون له خطــورته عــلى مجلس الشعب .. لا لمناقشته .. بل لكى يقبله المجلس برمتــــه أو يرفضه برمته .. اطمئنانا الى أن مسألة الرفض مســـتبعدة باعتبار ان أغلبية المجلس من الحزب الحاكم ... وتساؤل آخر :

لماذا كان هناك تخطيط مسبق للدفاع عن القانون عن طريق وسائل الاعلام .. فمثلا نشر القانون فى الصحف اليومية .. وفى مساء اليوم نفسه كان التليفزيون يذيع حلقة مسجلة بالطبـــع للدفاع عن القانون وأبطال الدفاع هم : الدكتور عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر والدكتور النمر وزير الاوقاف ، ومفتى جمهورية مصر ثم استكتبت الصحف بعض أعضاء مجمع البحوث الاســـلامية للتاييد . .ووواضح أن أعضاء مجمع البحوث الاسلامية.. وهو الهيئة الدينية الكبرى ـــ لم يستشر مجرد الاستشارة فى صيغة القانـــون

قبل النهائية .. والمعروف ان مجمع البحوث الاسلامية فى عهـــد الشيخ محمد ابو زهرة قد رفض المشروع .. وعندما وضـعت الدكتورة عائشة راتب وزيرة الشئون يومئذ قانونا ، عارضــه مجمع البحوث الاسلامية وتزعم الدكتور عبد الحليم محمـــود شيخ الازهر السابق فـــكرة أن يضع مشروعا يتفق والشريعة الاسلامية .. ولسنا ندرى ما مصيره حتى الان ..

● **قوانين جيهان الاخــرى :**

قلنا أن نفوذ جيهان لم يقف عند اصدار قانون الاحـــوال الشخصية وحده بل امتد الى اصدار قوانين تعطى المرأة مزيدا من المكاسب فى ممارسة العمل السياسى وكان اشراك المرأة فى الحياة السياسية أحد المطالب النسائية أيضا ، منذ صدور دستور ١٩٢٣ ونص على أن المصريين أمام القانون سواء لا تفرقة بينهم بسـبب الجنس أو الدين .

واعتبرت النساء أن هذا النص لا يفرق بين الرجل والمرأة ، وعلى ذلك فانه يكون من حقها إن تمارس نشاطا سياسيا عن طريق البرلمان ، وخاصة أنه كانت هناك لجان نسائية فى الاحـــزاب السياسية ، كما أن المرأة أسهمت اسهاما جديا فى ثورة ١٩١٩ . وفى النضال الوطنى ضد الاحتلال البريطانى .

وفى عريضتهن الى أول برلمان طالبت النساء بتعديل قانـــون الانتخاب بحيث يسمح للمرأة بممارسة هـــــذا الحق ابتداء من الانتخابات المقبالة ولو كان هذا الدور مشروطا بأن تكون المرأة «متعلمة أو مالكة ، فليس من العدل أن يعطى الرجل الامى والمعدم هــذا الحق ويمنع عن كل النساء» .

ومنذ ذلك الوقت والنشاط النسائى فى مصر يدور فى ثلاثة محاور .. الاول مشاركة الرجل النضال ضد الاحتلال البريطانى .

والثانى هو المطالبة بتعديل قوانين الاحوال الشخصية بمـا يحد من حرية الرجل فى الطلاق وتعدد الزوجات .

والثالث هو مشاركتها فى الحياة السياسية عن طريق منحها حق الترشيح والانتخابات فىالمجالس النيابية ، وهو ما عرف باسم الحقوق السياسية للمرأة ..

وظلت المرأة تدور فى فلك هذه المطالب أكثر من ربع قرن من الزمان ، حتى وضع دستور ١٩٥٦ وصدر قانون جديد للانتخاب نص على أن لكل مصرى ، ولكل مصرية بلغت ثمانية عشر سنة ميلادية ان يباشر بنفسه الحقوق السياسية المتمثلة فى ابداء الراى فى كل استفتاء يجرى طبقا لاحكام القانون ، وفى الاستفتاء الذى يجرى لرياسة الجمهورية وفى انتخاب أعضاء مجلس الامة ..

وبناء على هذا القانون خاضت المرأة المعركة الانتخابية لمجلس الشعب سنة ١٩٥٧ وقد فازت نائبتان هما راوية عطية ، بالجيزة وامينة شكرى بالاسكندرية .

ثم أصدر جمال عبد الناصر ميثاق العمل الوطنى ونص على ان المرأة لابد ان تتساوى بالرجل وأن تسقط بقايا الاغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة ، وفى نفس العام وتأكيدا لهذه المساواة عينت الدكتورة حكمت ابو زيد كأول وزيرة للشئون الاجتماعية .

وفى البرلمان الثانى وصل عدد النائبات المنتخبات الى ثمان سيدات ..

● قانون جيهان .. الثانى :

كانت هذه مقدمة طويلة للوصول الى ما حققته السيدة جيهان بقوتها للمرأة المصرية .. ففى عام ١٩٧١ صدر قانون بتخصيص ٣٠ مقعدا للمرأة فى مجلس الشعب .. هذه المرة على أساس الجنس .. أى انه هناك أماكن محجوزة للنساء الى جانب مشاركتهن فى الانتخابات العامة مع الرجال ..

و لم يقتصر النص على عضوية مجلس الشعب بل لقد

تم حجز مقاعد خاصة للمرأة فى المجالس الشعبية بجميع المحافظات.

وهكذا وضعت السيدة جيهان بنات جنسها على عتبة وضع جديد .. ووصل عدد عضوات مجلس الشعب الى اكثر من ٣٥ نائبة لان القانون يلزم انتخاب نساء ممثلات للمراة فى البرلمـــــان وفى مجالس المحافظات ، وذلك الى جانب قانونين آخـــــرين صدرا يخدمان الهـــــدف .

ويمكن رصد هذه القوانين ــ قوانين جيهان كالاتى :

قانون بفرض ثلاثين نائبة على الاقل فى مجلس الشعب ..

قانون يفرض خمسة وعشرين فى المائة من النساء على الاقل فى عضوية جميع المجالس الشعبية والمحلية .

قانون يجعل الانتخاب والتصويت اجباريا على كل أنثى تبلــغ الثمانية عشر من عمرها .

قانون تعديل أحكام قانون الاحوال الشخصية ..

وكل هذه القوانين صدرت فى غيبة البرلمان بقرار من الرئيس .

زواج بنات جيهان الثلاث

مثل أى أم مصرية تسعى لتأمين مستقبل بناتها ، وترى ان الزواج هو افضل وسيلة لستر البنات .. فعلت السيدة جيهان ..

وقد اختارت بنفسها أزواج بناتها عملا بحكمة شعبية مصرية تقول : « أخطب لابنتك ، ولا تخطب لابنك » .

والملاحظ انها ، وهى تدافع عن حقوق المراة ، وقد تزعمت المناداة بانصافها ، وسعت لحل مشاكلها خالفت ما اصطلح عليه من ضرورة تأخير سن زواج البنات ، فقد زوجت مثلا احدى بناتها فى الرابعة عشرة من عمرها ، ولم تحصل على شهادة الاعدادية بعد ربما لانها هى نفسها تزوجت أنور وهى فى نفس هذه السن المبكرة . وربما لانها رأت التعجيل بتزويج بناتها حرصا على زيجات مناسبة جدا ، ولما كانت هذه الزيجات يغلب عليها جانب الصفقة من الجانبين فلم تكن لتتم الا فى تلك الظروف ، والاسرة تتمتع بكل ماهى فيه من عز وسلطان ، وكبيرها ينعم بكل السيطرة ، والنفوذ والصولجان ، واختيار السيدة جيهان لازواج بناتها يعطى افضل نموذج لتفكيرها وتطلعاتها ، بل وايضا لاتجاهاتها .. ومحاولة انتمائها الى بقايا الطبقة القديمة التى توهمنا أن الثورة قضت عليها .

ان واحدة من بنات جيهان لم يتم تزويجها لموظف عادى .. او لشاب يبدأ حياته معتمدا على نفسه .. أو لشاب من الطبقة المتوسطة ، التى كانت اسرة جيهان وزوجها فى حقيقة الامر دونها قبل أن يهبط عليهما العز والنعيم .

وفى البداية سعت السيدة جيهان لتزويج احدى بناتها الى الضابط البحرى نجل حسين الشافعى ، وكان نائبا لرئيس الجمهورية

وقالت بصراحة أنها تعمل بالمثل الشعبى الذى يقول اختار لبناتك ولا تختار لابنك .. لذلك فهى تختار العريس وتطلب يده .

وكان يمكن أن يكون هذا المطلب معقولا وان كانت أصول حسين الشافعى وعائلته معروفة ، فهو أحد زملاء أنور السادات فى مجلس الثورة ، وفى العمل بمواقع مختلفة على امتداد سنوات ، وهو أيضا الرجل الذى وقف الى جانبه أثناء انقلاب مايو .. ضد المجموعة الاخرى التى تصور بصرف النظر عن رأيه فى الاحداث انها لا تقترب من الانتساب الى الثورة مثل قرب انور السادات ، رغم ما كان لديه من ملاحظات سابقة عليه .. وعلى سلوكياته الامر الذى جعله يكون الوحيد من بين أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى الذى اعترض على اختيار السادات رئيسا خلفا لجمال عبد الناصر .

ومع ذلك فان طلب السيدة جيهان الواضح والصريح قد ووجه بالرفض .. وفيما بعد سوف يصدر قرار باحالة الضابط احمد حسين الشافعى الى الاستيداع ، وابعاده عن القوات البحرية ..

وليس معروفا هل كان الابعاد بسبب هذه الواقعة أم لاسباب أخرى تتعلق بمواقف أبيه السياسية والدستورية .

● **الضـــابط الشاب ..**

كان فى الحرس الجمهورى ضابط شاب من خيرة الضباط اخلاصا وتفانيا فى عمله ، ومن عائلة محترمة ، دفعه طموحه أن يدرس فى مدرسة الالسن قسم اللغة العبرية .

ولقد اعجبت به السيدة جيهان ، ويقول لى محمد عبد السلام الزيات أن السيدة جيهان سألته فى أمر اختيارها لاحمد المسيرى ليكون زوجا لابنتها لبنى . لانها تريد أن تقترب من الشعب . وتعيش معه ، وتزوج بناتها لشبان عاديين من أبنائه . وأنها ترفض مصاهرة العائلات الكبيرة .. وكان ذلك فى بداية تولى السادات المسئولية .

وقد شجع الزيات هذا الاتجاه وأيده ، فقد كان يرى أيضا فى أحمد المسيرى شابا طموحا ممتازا ..

ولاشك أن أحمد المسيرى كان سعيدا بهذا الاختيار .. والملاحظ هنا على حد هذه الرواية أنها هى التى اختارت العـــــريس ايضا مما يدل علىأن الباقين كانوا بالاختيار أيضا، وقد تمتالخطبة فى حفل قل أن وجد مثله حتى ذلك الوقت .. فقد بدأ كما لو كانت كل مصر برجالها ونسائها المعروفين .. وانصاف معروفين قد ذهبوا الى القناطر الخيرية ليحضروا الخطبة فى حدائقها الغناء .

ونشرت الصحف فى ١٧ أكتوبر ١٩٧١ أخبار وصور وأنباء خطبة كبرى كريمات السادات على مافى ذلك مناجحاف بكريماته منزوجته الاولى .

ولمع اسم أحمد المسيرى ، وبدأ السادات يوفده فى مهام خاصة الى الملوك والرؤساء ، واصبحت الصحف تردد اسمه ، وابرزت اخبار تحركاته فى الاذاعة والتليفزيون بحكم المهام التى أوكلت اليه ، أو التى يقوم بها .

وفجأة قرأ الناس خبرا صغيرا من ثلاثة سطور نشر فى كـــل الصحف يقول : ان أحمد المسيرى نقل الى وزارة الخارجية ..

وفهم الناس على الفور أن غضبة حلت على أحمد المسيرى .. فاذا كان النقل ترقية ليحتل منصبا فى وزارة الخارجية ، فانــــه لم يكن لينشر فى ثلاثة سطور وبصيغة واحدة .. واذا كان الابعـــاد الى وزارة الخارجية بهدف أن تعيش كبرى بنات السادات مع زوجها فى الخارج ، فان ذلك يمكن أن يتحقق دون النقل الى الخارجيـــــة اذا وافقت الاسرة على أن تبتعد ابنتها عنها كما تفعل سائر الاسر التى تضطر الى ذلك .. ولا يمكن طبعا أن يكون نقل أحمد المسيرى الى الخارج لتتاح له الفرصة لتكوين مدخرات تساعده على اقـــامة عش الزوجية الســـعيد .

اذن لابد أن يكون فى الامر شىء .. ان خلافا ما قد وقـــع بين المسيرى وعروسه ، أو أهلها كما يحدث عادة فى كثير من الاسر المصرية ..

ولا يستبعد أن تكون قد وقعت خلافات ، او ان السيدة جيهان اعادت تقيم الامور ، وقررت ان تخطب لابنتها شابا آخر مختلفا ، وان السادات قد شارك وبارك ، وايد هذا الاختيار الجديد ، بـل ربما يكون هو الذى دفع اليه .

الشاب الجديد هو المهندس عبد الخالق عبد الغفار من عائلـة عبد الغفار الشهيرة بمحافظة المنوفية ، والتىكانت تتمتع بكل النفوذ وبكل الثروة فى المنطقة التى تقع فيها قرية ميت أبو الكوم التى ينسب السادات نفسه اليها ..

ولست أوافق الذين يرون أن عقدة السادات من هذه الاســرة التى عمل لديها بعض أقربائه هى التى دفعت الى هذا الاختيار ... فذلك فى رأيى قد يكون دافعا لعدم المصاهرة لا الحرص عليها ..

وعائلة عبد الغفار هى احدى العائلات الاقطاعية التى اتخذت ثورة يوليو فى بدايتها موقفا منها ، ووزعت أرضها على المعدمين من الفلاحين ، وهى أيضا واحدة من العائلات التى تحدث عنها الزعيم أحمد عرابى فى مذكراته ، ونسب اليها خيانته هو والثورة العرابية بالتعاون مع الانجليز .

على اى حال حتى لو صدق ذلك الادعاء ، فانه لا يمـــكن أن تنعكس هذه الخيانة على الاولاد والاحفاد ، ولا يستساغ ان يحاسب الابناء بجريرة الاباء على افتراض صدقها وصحتها ، وهكذا فسخت خطوبة الابنة الاولى الكبرى .. وتمت خطبتها الى ابن احـــدى العائلات الاقطاعية « العريقة » فى مصر ...

عائلة كانت ، ومازالت بما تملكه ذات بقايا نفوذ وبقايا سلطان .

وكان كبيرها يسمونه سيد المنوفية .. يطوف القرى ، يجلس على المصاطب بجلبابه البلدى ، والعصا فى يده على نحو ما فعـل

السادات بعد ذلك ، وكان الاتجاه لديها الى ايداع أولى بناتهما عند الطبقة التي قامت الثورة . وبمشاركة زوجهـــا .. بل وبادعائه تأسيس التنظيم الذى قام بها للقضاء عليها وتحرير البلاد من نفوذها غريبا .

وهكذا ظهر اتجاه جديد لدى جيهان فى احياء الطبقات القديمة، ليس فقط بمظاهرها .. وتقاليدها بل والانتماء اليها بمصاهرتها ..

فى يوم ٢١ يونيو ١٩٧٣ قرأ الناس فى الصحف نبأ خطبة لبنى « الابنة الكبرى » لانـــور السادات الى المهندس عبد الخـــالق عبد الغفار .

● **ليلة فـرح لبنى ..**

ويروى موسى صبرى قصة حدثت فى زفاف لبنى لها عدة دلالات .. من بينها كيف كان السادات يحكم ، ويتصرف فى عزبة مصر .. وكيف كانت سيطرة وكلمة السيدة جيهان مسموعة : يقول موسى صبرى العدد ١٥١٨ « صباح الخير » : « ذات يوم وفى حفل احدى بنات الرئيس السادات .. أظن كانت لبنى . ودعا الساداتمعظم رؤساء التحرير والصحفيين لحضور الحفل .. واتفق معنا محمــود ابو وافية على اننا ننتهز فرصة الفرح ونكلم السادات فى حـــكاية مصطفى امين ، وطوال ساعات الفرح لم نجد فرصة واحدة لنكلم السادات « زحمة وزيطة وناس مالهاش عدد » وأذكـــر اننى قلت لمحمود أبو وافية : خلاص مفيش فايدة ! فقال لى : لا .. احنـــا حنستنى لما الدنيا تروق شوية والمعازيم تمشى » .

واخيرا فى حوالى الساعة الخامسةفجرا كان المدعوونوالمعازيم انصرفوا ولم يبق سوى السادات والسيدة جيهان وبناتهما واقاربهما والتففنا حول الرئيس وحرمه ، محمود أبو وافية ، أحمد رجبوحرمه على حمدى الجمال ، محسن محمد . انا ومراتى ، وانضم الى شلتنا الفنان عبد الحليم حافظ وقلنا له : أن مصطفى حالته خطيرة وعنده تصلب فى الشرايين وضغط وسكر.. و ..وبيموت فى القصر العينى

وقال احمد رجب للسادات : اذا كان ولابد من سجن مظلوم فاسجنى بدلا من مصطفى وتكلم محسن محمد وعلى الجمال وحليم وأبو وافية وقالت السيدة جيهان لزوجها : دى ليلة سعيدة فى حياتك وخلاص بقى يا ريس .. ده اللى بيطلب منك الطلب ده رجالتك وحرام الاستمرار فى سجنه .. ولم ينطق السادات بحرف واحد .. لم يبد انه استمع لكلمة مما قلناه .. وانصرفنا بعدها دون أن نعرف لماذا لم يتكلم السادات » ..

وهكذا .. ومن أجل عيون لبنى .. وتدخل جيهان الى جانب رجالة السادات أفرج عن مصطفى أمين افراجا صحيا .. وخرج من السجن فى نفس اليوم بدون أية اجراءات روتينية كأوامر السادات على حد رواية موسى صبرى .. وكان مصطفى أمين قد أدين فى قضية التجسس لحساب الولايات المتحدة الامريكية بعد ضبطه متلبسا مع أحد ضباط المخابرات الامريكية فى منزله بالاسكندرية .. وبعدها عادت الصحف تنشر أنباء زفاف لبنى الى المهندس عبدالخالق يوم ٢١ يناير ١٩٧٤ بعد حرب أكتوبر بشهرين .. ولم يتم فك الاشتباك على الحدود بعد .. ربما اثار تغيير العريس بعض التساؤلات الهامسة .. فما الذى أدى الى اختيار الاول .. ثم ابعاده بعد فترة قصيرة .. ثم مفاجأة الناس باختيار العريس الثانى .. الاول كان من أبناء الطبقة المتوسطة والثانى ينتمى الى تلك الطبقة المنقرضة والتى كان يظن الناس أن السادات نفسه من اول الثائرين عليها .. اذا كانت السيدة جيهان هى التى اختارت الاول عملا بالحكمة الشعبية التي تؤمن بها ، فلا شك أنها قد اختارت الثانى أيضا ! وأصبح العريس رجل أعمال .. فى عصر أعد ليخدم رجال الاعمال .. وليكونوا نجومه اللامعين .

وكان زفاف لبنى مشهودا ، دعى اليه مشاهير العالم ومليونيراته ويكفى أنه كان من بين المدعوين أوناسيس ، وجاكلين كنيدى .. يكفى ان نقرأ قائمة المدعوين لنعرف طموحات السيدة الاولى والاخيرة الى اين تتجه وفيمن تفكر أن تتعرف عليهم ..

● المهندس الزراعى الكبير :

كان قد نشر فى مصر خلال السنوات الاخيرة وبعد اغتيال السادات ان المهندس الزراعى سيد مرعى سوف يعتزل السياسة .. ويترك مواقعه السياسية كلها الى نجله .. الذى سوف يرشح نفسه فى الانتخابات ليخلفه فى الدائرة التى احتكر تمثيلها فى المجالس النيابية المختلفة منذ ما قبل الثورة .

والمهندس الزراعى الذى رشحته الصحف ليحل مكان أبيه هو زوج الابنة الثانية للسادات .. السيدة نهى محمد أنور السادات .

وكان حسن مرعى قد تزوجها بعد زواج شقيقتها الكبرى بستة شهور .. وفى يوم ٧ يوليو ١٩٧٤ نشرت الصحف انباء عقد قران وزفاف نهى السادات الى المهندس الزراعى حسن سيد مرعى .

ومرة ثانية يقف الناس متهامسين حول هذا الاختيار .. فالمهندس سيد مرعى والد العريس قضى معظم عمره فى السياسة وكان قريبا لفترات متفرقة من عبد الناصر منذ شارك كمهندس زراعى فى قانون الاصلاح الزراعى الاول .. وكان البعض يرون أن توجهاته تختلف تماما مع افكار عبد الناصر .. ولكن عبد الناصر عندما سئل حول الاستعانة بسيد مرعى رغم ما يتردد عن انتماءاته الطبقية التى تبعده بالضرورة عن الثورة الاجتماعية بمفاهيمها قال : ان سيد مرعى ملتزم بى شخصيا .

وكان هذا خطأ لاشك فيه .. على انه كان من المتوقع الا يلمع المهندس سيد مرعى فى فترة السادات .. والا يحتل موقع رئاسة مجلس الشعب .. بعد ان اتجه السادات الى ابعاد الذين عملوا مع عبد الناصر .. وعدم تقريبهم .. ولكن سيد مرعى استطاع أن يكون رجل السادات الاول فى فترات طويلة من حكمه ، ويوم ترك مجلس الشعب عين رئيسا لمستشارى الرئيس وهى الهيئة

الوهمية التى لم يكتب لها البقاء لفظت انفاسها وماتت .. ساعة لفظ السادات أنفاسه .. ولم يكن سيد مرعى من الذين وقفوا مع السادات أثناء انقلاب مايو فى وقت مبكر .. فهو لم يكن من بين الذين أيدوا السادات فى اللجنة المركزية ضد « مراكز القوى » ... اذ كان معهم .. وليلة انقلاب مايو .. وهو يعرف كل ما يدور من صراعات ، كان فى الاسكندرية .. وقد رفع سماعة التليفون حتى لا يزعجه أحد ولا يورطه أحد .. وعند وضع سماعة التليفون ... كان كل شىء قد انتهى .. المجموعة التى بيدها السلطة قد استقالت وأذاعت استقالاتها ، وتركت كل المجالات مفتوحة أمام السادات ..

وظهر سيد مرعى الى جانب السادات ليشارك ، على حد قوله نفسه .. فى الاعداد لجلسة مجلس الشعب التى أسقطت فيها العضوية عن ١٤ عضوا عدا رئيس المجلس ووكيليه ..

ويقول لى محمد عبد السلام الزيات أقرب الرجال الى السادات فى ذلك الوقت أن سيد مرعى رجل يعرف دائما الوقت المناسب لكى يظهر .. والوقت المناسب لكى يختفى .. فهو الرجل المناسب فى الوقت المناسب .. فقد اختفى طوال الاحداث ولم يظهر الا ساعة حلف اليمين الدستورية للوزارة فى قصر القبة .

ويقول سيد مرعى أن علاقته بأنور السادات ترجع الى الايام الاولى من الثورة حيث التقى به .. وتوثقت الصلة بينهما فى منزل احسان عبد القدوس فى اطار من الصداقة العميقة والعائلية تربطهما معا « ولفت نظرى أن أنور السادات بعكس الكثيرين يتميز بروح عميقة من البساطة والهدوء .. والريفية التلقائية .. وهى صفات شدتنى اليه من البداية » .

وكان لتقارب منزليهما فى حى الهرم فرصة ليتزاوروا كأصدقاء فى جميع الاوقات .. وان تتبادل العائلتان الزيارات ، وكانت أول مرة يلتقيان فى عمل عندما رشحه السادات ليكون معه وكيلا لمجلس الامة على حد رواية سيد مرعى .. « فى تلك الاثناء استطعت أن

أرى أنور السادات عن قرب ، وأراه لاول مرة كوكيل له فى ممارسة مسئولية برلمانية من الدرجة الاولى .. واستطيع أن اقول ان هذا الرجل يتميز ببساطة مدهشة فى حياته تجعله فى الواقع اقرب الى مجتمع الريف منه الى مجتمع المدينة الذى يبدو أن أنور السادات لم يحبه أو لم يتوافق معه من البداية .. انه يعيش حياته ببساطة . وهدوء وعمق .. وهو كتوم الى درجة توحى لاصدقائه بالثقة ... وتوحى لاعدائه بالحذر .. وهو يؤمن تماما بمسئولية كل جيل عن تحضير واكتشاف جيل جديد يتحمل المسئولية من بعده .. » .

ويرى دائما ان مصر فى حاجة مستمرة الى دماء شابة فى قيادتها وحينما لم يجد تلك القيادات الشابة فانه كان يسعى لاكتشافها .. كما حدث فعلا أثناء رئاسته لمجلس الامة .. وبالاضافة الى ذلك فان أنور السادات يتميز بنوع غريب من الصبر لا يدركه الا كل من تربى فى الريف .. انه الصبر الذى يعرفالصديق انه نوع من الايمان بينما يتصور العدو أنه نوع من الضعف .. وهو فى الاحوال العادية لا يثور .. ولا ينفعل كثيرا » ..

هذه هى شهادة صهر السادات فيه كما أوردها فى مذكراته .. والتاريخ .. ومعاصرو السادات يمكن أن يتبينوا مدى الصدق فيها .

على اى حال فقد أصبح سيد مرعى صهر السادات منذ عام ١٩٧٤ .. وأصبح ابنه زوج ابنة السادات رجل أعمال ..

● جيهان .. والزواج الأسطورة ..

وجيهان هى الابنة الصغرى .. وصاحبة الزواج الاسطورة فى مصر ..

وجيهان هى التى تردد اسمها كثيرا فى محاكمات خالد الاسلامبولى ورفاقه الذين قتلوا السادات .. وكان الدفاع قد ركز مدفعيته على السادات وتصرفاته وسلوكياته هو وأسرته التى تبعده

تماما عن الاسلام فى محاولة لانقاذ أرواح الذين قتلوه أو تخفيف الحكم عليهم .. وكانت جيهان بتصرفاتها من الادلة التى استخدمها الدفاع ..

وجيهان أيضا باعتبارها آخر العنقود، كانت قريبة من والديها جدا ، الى حد انها كانت رفيقة معظم رحلات السادات حتى بعد زواجها ، هى وحدها دون زوجها فى أغلب الاحيان .. وكانت أيضا رفيقة معظم رحلات أمها .. وعلى الاخص الرحلات الى اسرائيل .

وجيهان هى صاحبة الزواج الاسطورة لانها تزوجت كطفلة كبيرة .. ولان الزواج كانت تبدو فيه صفة الصفقة التجارية بوضوح ..

دفع عثمان أحمد عثمان مهرا متواضعا لابنة السادات قدره مليون جنيه ! وعثمان كرأسمالى عندما يدفع مليون جنيه فلابد أنه يحسب استثمار مثل هذا المبلغ الكبير، والفوائد التى يحققها .ولعل أقلها أن يقف السادات فى خطاب علنى ليشتم الذين يهاجمون عثمان قائلا .. انه هو شخصيا المقصود بهذا الهجوم ، هو وأسرته ... فعثمان كرأسمالى كبير قد ربح كثيرا فى هذه الصفقة !

فمنذ الان يصبح عثمان أحمد عثمان الرجل القريب من السادات المستشار ورفيق رحلات السفر ، وجولات الامن الغذائى ، وتصبح شركة « المقاولون العرب » صاحبة امتياز على مصر كلها وتصبح مصر هبة المقاولون العرب .. ويتحول عثمان الى رجل سياسى .. عضو فى البرلمان .. وفى المكتب السياسى للحزب الحاكم ، ووزيرا ونائبا لرئيس الوزراء .. ونجم الانفتاح الاول .. ويصبح الحديث عن عثمان موجها لاولاد السادات وله شخصيا كما قال فى خطابه « ١٤ مارس١٩٧٦ » ويصبح من حق ابن عثمان أنيستأجر لشركاته الخاصة طابقا خاصا فى عمارة « المقاولون العرب » تخليه له الشركة من مقرها الرئيسى بشارع عدلى وتؤجره له لاعماله الخاصة فقط

بأربعة وثلاثين جنيها .. فقد أصبح محمود عثمان زوج جيهان الصغيرة أحد كبار رجال الاعمال فى مصر .. أو أحد العباقرةالصغار كما قال الدكتور محمود القاضى الذى اثار هذه القضية فى مجلس الشعب موجها كلامه لرئيس الوزراء عن المكان الفسيح بالدور التاسع من عمارة « المقاولين » بشارع عدلى الذى تم التنازل عنه لابن الوزير ليكون . كتبا لشركة انشأها هو وآخرون لتصنيع والاتجار فى المواد العازلة ولم لا وهو أيضا من العباقرة الصغار ..

وعندما تناول الدفاع فى قضية اغتيال الساداتجيهان الصغرى قدم للمحكمة نسخة من مجلة ايفا الايطالية عدد اول اكتوبر ١٩٨١ اى قبل الاغتيال بأيام .. على غلافها صورة للسيدة الصغيرة مع خوليو المطرب الاسبانى رأى الدفاع أنها منافية للتقاليد الشرقية وكان تعليق الصورة « خوليو يغزو جيهان » .

وقال لى عبد الحليم رمضان محامى خالد الاسلامبولى انه لم يقصد بذلك ادانة لجيهان ، ولكن فقط لتوضيح كيف كانت تعيشأسرة « سادس الخلفاء الراشدين » .. وما هى القيم والتقاليد التى تحكمها .

ونحن لا نهدف التشهير ، أو تشويه سمعة السيدة الصغيرة . فربما بالغ الدفاع عن المتهمين باغتيال السادات فى محاولة لتحقيق كسب لصالح موكليه عندما حاول أن يرجع اغتيال السادات الى تصرفات حمقاء منه ومن أسرته .. وبالتأكيد فان دوريز كايز مراسلة التليفزيون الامريكى فى القاهرة لا يستطيع أحد اتهامها .. وهى السيدة الامريكية ـ بالتحامل على السادات لحساب المعارضة أو لكسب شخصى .. تقول السيدة دوريز فى كتابها الذى تتحدث فيه من السادات « ضفادع وعقارب » بالنص :

« انه جاء صيف ١٩٧٨ ، وانتقل السادات وزوجته وابنته الصغرى جيهان وجيشحرسه الخاص الى مقره الصيفى فىالمعمورة

وقد لفت نظرى ابنة السادات وكان عمرها ١٨ سنة حينذاك ، وهى متزوجة منذ عامين من ابن اكبر ملياردير فى مصر عثمان أحمد عثمان ولكن وجودها هنا فى المعمورة بدون زوجها شجع الشائعات فى وجود خلاف شديد بين العروسين أساسه أن الزوج يفضل صديقة له من ابناء الشعب على بنت الرئيس السادات ، التى لم تكن قد ورثت من أمها شيئا سوى اسمها ، بينما هى صورة طبق الاصل من أبيها فى الشكل ، والانبهار بكل ماهو أمريكى وفى التصرفات التى جعلتها موضوعا لكثير من الاشاعات المتعلقة بالسلوك الشخصى » .

المهم أن محمود عثمان أحمد عثمان الذى كان قد تخرج لتوه من كلية التجارة تحول الى رجل أعمال .

وليس مصادفة بالتأكيد ان يكون كل ازواج بنات جيهان قد تحولوا الى رجال أعمال .. ليس فيهم موظف واحد .. أيا كانت الوظيفة .. فكلهم من أصحاب المكاتب .. سواء الاستيراد .. أو الوكالات التجارية .. أو المستوردين .. او الشركات والمصانع .!

ويبدو ان السيدة الاولى والاخيرة وزوجها أرادا أن يضربا المثل والقدوة أمام أجيال الانفتاحيين .

وبنفس الشهادة الانجليزية .. دخلت جيهان الصغيرة كلية الاداب أيضا مترسمة خطى السيدة الاولى جيهان الكبيرة ..

وبالتأكيد فان اختيار نوع الشهادة التى توصل للجامعة .. واختيار نوع الكلية ليس من قبيل المصادفات !

كان زواج جيهان الصغيرة قد تم بعد زواج شقيقتها بحوالى عامين حيث تم الزواج الاسطورة فى ٢٣ أكتوبر ١٩٧٥ وبدأ محمود يشق طريقه فى مجال الاعمال الحرة بسرعة الصاروخ فالجو كله مهيأ لكي يتقدم .. حتى بدون مجهود أو تعب فهو ابن المهندس

عثمان أحمد عثمان .. وهو أيضا صهر الساداات .. وهو زوج الابنة المدللة .. حبيبة أمها !

ورغم الشائعات الكثيرة التى انطلقت حول هذا الزواج ... والازمات العائلية التى عاشتها جيهان الصغيرة .. الا انه يبدو ان كل ما تردد لم يكن صحيحا .. وان جيهان عموما عاشت مع زوجها حياة الاسرة الجديدة التى تختلف عن حياة عامة المصريين نظرا لطبيعة الاسرة ، والامكانيات المادية المتاحة لها .

● زواج الابن الوحيد !

ثم نصل الى الابن الوحيد جمال ..

وجمال اثار ضوضاء أكثر من مرة ..

فى المرة الاولى عندما ولد .. اطلق عليه ابوه اسم جمال .. حبا فى جمال عبد الناصر .. وربما .. تقربا منه .. ربما .. وفاء له .. ربما .. على كل حال فقد وجه الى ابنه الذى ولد عام ١٩٥٦ رسائل ضمها كتاب « يا ولدى هذا عمك جمال » .

وجمال هو الذى شهد انقلاب ابيه على جمال عبد الناصر .. ولاشك انه قرأ الكتاب الذى وجهه اليه ابوه امتنانا لجمال عبدالناصر . ولاشك انه قرأ أيضا قصة حياة ابيه ، وهو يبحث عن ذاته .. فى كتابه .. ولاشك ان جمال قد اختار ــ مثل مئات الشباب ــ عندما قرأ ما قاله له ابوه فى الكتاب الاول عن جمال عبد الناصر .. وما قاله ابوه أيضا عن جمال عبد الناصر فى الكتاب الثانى .

قال فى الكتاب الاول : جمال عبد الناصر عمك يا بنى الذى سميتك على اسمه ، وصديقى ، ورئيسى ، الذى احبه واحترمه منذ أن كنا ضابطين صغيرين فى منقباد سنة ١٩٣٨ ، عمك جمال هــذا يا بنى يمتاز بالاقدام ، والايمان بمصر ، واستقلالها ، وكرامتهــا

ايمانا صلبا عنيدا ، كنت المسه منذ حداثتنا فى معاملتــــه لنا نحن اصدقاءه ، وفى معاملته أيضا للضباط العظام الذين كانوا رؤساءنا .. وفى معاملته لافراد البعثة البريطانية التى كانت مفروضة عــلى جيشنا ..

.. وهكذا وضع عمك جمال شعار المثل العليا موضع التنفيذ من قبل أن نبدأ الثورة يا بنى .. وهكذا كان عمك جمــــال ومازال وسيظل يحسب حساب كل شىء مهما كان مستبعدا يا بنى لذلك انهزم وانهار امامه ايدن الذى قضى ثلاثين عاما يصرف السياسة الدولية ويتحكم فى مقادير البشر ، وكانوا يعتبرونه أســــتاذا من اساتذة هذا الفن .

لن تستطيع ان تكون لنفسك فكرة حقيقية عن كل ما تم من غير ان تعود دائما الى شخصية عمك جمال التى تجمعت فيها كل خيوط هذه الثورة من قبل أن تبدأ وبعد أن قامت .

« اردت يا بنى ان اذكر لك هذه التفاصيل لكى تعلم كيف بدأت الثورة ، وكيف كان عمك جمال يسيطر على الاحداث فيوجهها ولا توجهه ، وهو فى كل ما يصدر عنه أو ينفعل به انما يفكر أولا فى مصر واثقا فى مصر ، وبعث مصر ..

كانت الصداقة هى العامل الاساسى الذى اتخذه عمك جمال شعارا له ، وهو يبنى تشكيل الضباط الاحرار يا بنى لانها معنى ينسجم مع طباعه ، ويحفز فيه بكل طاقات الانتاج والحماس ، فقد كان يسعدنى فعلا ان يوقف اجتماع شعبة من شعب التشكيل أو يلغيه لان ضابطا زميلا رجاه أن يساعده فى درس من دروس كلية أركان الحرب وقد لا يكون هذا الضابط عضوا فى التشكيل ، ولاينتظر منه اصلا ان يكون عضوا ، وانما يكفى جدا أن يفضله عمك جمال باسم الصداقة فيكون له مايريده حتى ولو عطل ذلك بعض الــوقت العمل الذى يعيش اليه ، ويكافح من أجله عمك جمال .. وهـــو الثورة ..

لقد انتصر عمك جمال فى كل هذه المعارك يا بنى ، وسينتصر باذن الله دائما لانه صادق مع ربه ، مع نفسه ، يحاسب نفسه اقسى واعنف حساب ، فى الوقت الذى يتلمس فيه لغيره كل ابواب العفو والغفران ، يحفظ العهد ، ويصدق الوعد ، ويخلص الود ، ويتقى ربه فى سره قبل العلن ، لذلك ايده الله ، وآزره ، ونصره .. عمك جمال يا بنى هادىء دائما ويعرف تماما ما يريد ..

يا بنى عمك جمال هو عقل الثورة ، ومدبرها ، ورائدها .. بمعنى انه الى هذه اللحظة مثلا بعد مضى عدة سنوات على قيام الثورة ، فان احدا منا نحن الذين كنا فى مجلس الثورة لا يعلم بالضبط عدد الضباط الاحرار ومن هم الذين خرجوا ليلة ٢٣ يوليو ، ومن هم الذين لم يخرجوا .. الا فرد واحد هو عمك جمال ..

اراد الله سبحانه وتعالى ان تنهار على يديه أكبر امبراطوريتين عرفهما العصر الحديث .. هما بريطانيا العظمى والاتحاد الفرنسى .. انهارت على يديه هاتان القوتان يا بنى وهما تملكان من أسلحة الدمار والفتك احدثها ، فى الوقت الذي لم يكن عمك جمال يملك الا ايمانا راسخا بربه وبوطنه ، تجلى فى اروع صورة يوم ان كانت الطائرات تقذف مدن مصر بالقنابل فكان عمك جمال يقول : الله اكبر من كل سلاح واقوى من كل من يصور له الغرور انه اقوى الاقوياء .. بهذا الايمان انتصر عمك جمال يا بنى لا لمصر وحدها ، وانما لكل الشعوب التى عانت طوال القرون السابقة من السيطرة الاجنبية ، استعمار الرجل الابيض الذى لم يعرف يوما الخلق ولا الضمير ، من اجل ذلك شنوا ويشنون اليوم على عمك جمال حربا يائسة ، استخدمت فيها بريطانيا وفرنسا السلاح والعتاد . فلما فشلتا بدات امريكا تكمل بسلاح اخر هو سلاح الدس السياسى والاغراء بالدولار والتخويف بالاساطيل لكى تحقق نفس الاهداف ، ولكن بفارق بسيط هو ان امريكا تعمل لحساب امبراطوريتها الجديدة الصاعدة بعد أن ايقنت من انهيار حليفتيها الامبراطوريتين الغاربتين.

وقد انتصرت الثورة ، وانتصر عمك جمال فى كل معركة خاضها باسم الشعب ، انتصر يا بني على ادعياء الدين من المشعوذين ، وقضى على الاتجار بالسياسة ، وانتصر فى مارس سنة ١٩٥٤ ، وانتصر فى اكتوبر سنة ١٩٥٦ ، وانتصر يا بنى فى معركة الاحلاف ، وانتصر فى معركة العروبة ، وانتصر فىمعركة تسليح مصر، وانتصر فى معركة القناة ، وانتصر فى معركة وحدة مصر وسورية ، وهو يكمل اليوم انتصاره فى اتحاد الدول العربية .

وسوف ننقل بعض ما ختم السادات كتابه الذى وجهه الى ابنه الوحيد وعمره لم يتجاوز على الارض شهرين ليضع امامه صورا من الثورة وقائدها ..

قال السادات : انتصارات جمال ، جمال يا رب من صنعك الرائع ، وابداعك القاهر ، انه عبدك المؤمن بك ، المتوكل عليك ، المسير بالهامك . الباعث فى شعبه وقومه رسالة الحق والعزة والسلام .

ولقد نصرتنا به يا رب فى مواطن كثيرة .

● تناقض يكشفه الابن :

سوف يحتار جمال انور السادات عندما يقرأ هذه الكلمات.. وعندما يراجع ما كتبه والده نفسه عن عبد الناصر .. بل وربما ذكره لنفس الوقائع ، وابرزها صفات عبد الناصر .. ثم حرب ١٩٥٦ التى صورها بطولة ، وعاد فصورها خرافة ! وايضا فى وصفه لعلاقات عبد الناصر بزملائه ، وبوالده بالذات ، كيف وصف العلاقة التى قال عنها انه صديقه ورئيسه بأنه لا يمكن أن يصادقه .. ولنقرأ بعض ما قاله السادات فى كتابه عن عبد الناصر :

قال فى الكتاب الثانى .. « أنه التقى بجمال عبد الناصر فى منقباد .. وكان من الواضح أن يقيم بينه وبين غيره من الناس

حاجزا من الصعب اجتيازه فقد كان منطويا على نفسه بشكل يلفت النظر ولذلك فكل ما قام بيننا فى تلك المرحلة لم يخرج عن نطاق الاحترام المتبادل ولكن من بعيد » .

« لم يكن من السهل ان تزول الغشاوة من عينى عبد الناصر وداخله ملىء بتناقضات لا يعلمها الا الله يحتم على واجبى كصديق ان لا اكتشفها أو افصح عنها . . لقد كان يفترض الشك فى كل انسان مسبقا ، وكانت النتيجة الطبيعية لكل هذا ان خلف عبد الناصر وراءه تركة رهيبة من الحقد سواء بين زملائه اقرب الناس اليه او داخل البلد نفسها بجميع طبقاتها » .

« اننى لا استطيع ان اقول سوى ان علاقتنا كانت علاقة احترام وثقة من جانب كل منا . . وليست صداقة على الاطلاق . . فلم يكن من السهل على عبد الناصر ان ينشىء علاقة صداقة بمعنى الكلمة مع اى انسان وهو المتشكك دائما . . الحذر المليء بالمرارة . . العصبى المزاج » .

بعد حرب ١٩٥٦ « كان عبد الناصر مشغولا بالخرافة التى أصبح اسمه مقترنا بها . . خرافة كبيرة جدا فى مصر والعالم العربى فهو البطل الذى حقق النصر على امبراطوريتين كبيرتين بريطانيا وفرنسا » .

« لا استطيع ان ادرك لماذا كان عبد الناصر يترك خلفه كمية رهيبة من الاحقاد . . » « كانت لديه عادة استماع الى الوشايات ، وعندما تمس شخصه أو بيته او امنه يصبح من السهل التأثير عليه » .

واعتقد ان جمال انور السادات الذى كان يحمل اسم جمال عبد الناصر فى حياة جمال . . قد اصيب بصدمة فى ابيه عندما قرأ هذا التناقض فى اقواله المكتوبة . . واحس مدى الوفاء الذى يتمتع به ابوه من خلال قراءة هذه السطور . . وهى قليلة مما كتبه السادات فى كتابه . . غير اقواله فى خطاباته . . وغير احاديثه

الصحفية فضلا عن الاحاديث الخاصة فى المنزل التى بدأت منذ وقت مبكر حول عبد الناصر .. وهى الاحاديث التى قال لى محمد عبد السلام الزيات انها بدأت عقب انقلاب مايو ١٩٧١ مباشرة فى الجلسات والسهرات التى كانت تعقد كل مساء فى المنزل تحت قيادة السيدة جيهان .. طعن فى جمال عبد الناصر .. مما دفع الزيات ان يتشكك فى نوايا السادات وصارحه بذلك ولكن السادات رفض هذا المنطق ونفر مما ذكره له الزيات ، ثم القى خطابا كتبه الزيات هاجم فيه المتشككين واصر على مبادىء عبد الناصر ، وعلى التطبيق الاشتراكى .. وبعدها بدأ يتخذ مواقف من الزيات انتهت الى ابعاده تماما ثم الى وضعه فى السجن فى نهاية عصر السادات .

● درس خصوصى لجمال :

التحق جمال محمد انور السادات بالجامعة بنفس الشهادة .. الشهادة الانجليزية التى التحقت بها امه بالجامعة .. والتى مكنت شقيقته من أن تلتحق بالجامعة أيضا !

وهذه الشهادة لا تعطيه الحق وفقا للقانون ان يدخل كلية الهندسة .. فدخل كلية الطب .. على سبيل التمويه والتغطية ، وتنفيذا لسيادة القانون .. وبعدها امكن التحويل من كلية الطب الى كلية الهندسة .. لان القانون يعطى هذا الحق .

وكانت العائلة . والحق يقال — حريصة على اتباع القانون .. والالتزام به .. وسيادته !

وعندما كان جمال يدرس فى الثانوية العامة ، التى لم يحصل عليها ، يقول الدكتور عبد العظيم انيس انه استدعى الى الرئاسة على عجل وباجراءات سريعة وهناك تبين ان سبب الاستدعاء هو انهم يريدون منه ان يعطى درسا خصوصيا لابن الرئيس فى الرياضة !

وتعجب الدكتور انيس لانه هو الشخص الذى وقع عليه الاختيار فى ذلك العام ليضع امتحان الثانوية العامة فى الرياضة ، فكيف عرفت الرياسة بذلك .. ثم كيف يطلبون منه ان يعطى درسا خصوصيا وذلك فضلا عن انه ممنوع بالقانون الذى كان يحرص الرئيس على التمسك بسيادته .. الا ان المفهوم ان المطلوب هو ان يعرف الطالب جمال اسئلة امتحان الرياضة من خلال درس خصوصى لدى الاستاذ الذى وضع الامتحان .

والدكتور انيس كان استاذا بالجامعة ، ولو كان المطلوب غير ذلك لعهد الى استاذ اخر .. أو الى استاذ من اساتذة المدارس الثانوية كما هى العادة المتبعة ، فلم يسمع احد ان طالبا بالثانوية قد اتفق مع استاذ جامعى كبير أو حتى صغير ان يعطيه درسا خصوصيا فى اية مادة .. ورفض الدكتور عبد العظيم انيس وذهب يشكو الى وزير التربية الذى واجه الامر بفتور .. وكأنه مسألة عادية .

● بكالوريوس جمال :

بعدها دخل جمال الجامعة بالشهادة المعتمدة لدى الاسرة ، ووصل الى كلية الهندسة ، وحصل على شهادة البكالوريوس .. تلك الشهادة التى كانت موضع مناقشة فى مجلس الشعب ، عندما اتهم بانه حصل عليها بالغش .. وكان الاستاذ الذى ضبطه ، متلبسا بالغش قد فصل من الجامعة ، ولجأ الى مجلس الدولة لاعادته الى وظيفته . وبعد مقتل السادات طرحت القضية فى بعض صحف المعارضة .. ووصل الامر الى حد مناقشتها فى مجلس الشعب ، على اعتبار ان اثارة مثل هذه القضية فيه تشكيك فى نزاهة الجامعة .

واقر مجلس الشعب ، ان بكالوريوس جمال السادات قد ناله عن جدارة واستحقاق ، وبالقانون .. ولم يتسرب اليه الغش ابدا !

وافتتح جمال السادات عقب تخرجه مكتبا هندسيا .

فقد شق طريقه هو الاخر الى مجال الاعمال الحرة ، وطبعا وجد الطريق ممهدا ايضا .. ووجد من بين المهندسين الكبار من يتعاونون مع مكتبه ، ومن بين الشركات الانفتاحية وغيرها من يعهد اليه باعمالها !

● زواج جمال .. ونادلر

اختار جمال السادات زوجته بنفسه زميلة له فى المدرسة الاجنبية الاعدادية والثانوية ، هى دينا التى كانت تدرس الاعلام فى الجامعة الاميركية وتم زواجه منها يوم ٢٤ سبتمبر ١٩٧٨ .. اليوم التالى لعودة السادات من كامب ديفيد .

وفى هذا الحفل ، وبهذه المناسبة السعيدة ، وعلى طريقة الملوك عندما يصدرون قرارات للشعب بمناسبة اعيادهم أو زواجهم ، فانه فى هذا الحفل اصدر السادات قرارا بعودة مصطفى امين الى الكتابة فى جريدة الاخبار، وابلغته له السيدة جيهان عندما حضر الحفل بناء على استدعاء من الرئيس ، وكانت السيدة جيهان كما يقول مصطفى أمين قد اتصلت به عقب منعه من الكتابة ، وقالت له انه أصبح بطلا شعبيا ، وطلبت منه الا يهاجر ، ولم يكن مصطفى أمين يفكر فى الهجرة ولكن هذا الطلب من السيدة جيهان كان يعنى الايحاء لمصطفى أمين بان يغادر البلاد . ويقول مصطفى امين ان السادات اثناء زيارته للولايات المتحدة سئل عن منعه من الكتابة ، وكان يجلس فى طائرة العودة مع زوجته ، فى صالون خاص ويجلس الى الخلف الصحفيون وفجأة فتحت السيدة جيهان الباب وقالت للصحفيين .. الرئيس قرر دعوة مصطفى أمين لفرح جمال .. وانه ارسل تلكس من الطائرة بالفعل وجاء تلكس أن مصطفى أمين تسلم الدعوة ..

وعندما عاد الصحفيون ابلغوه ان السيدة جيهان ابلغتهم بانه سوف يعود للكتابة ..

وضغط عليه الصحفيون لحضور فرح جمال ، ولكنه رفض ، وعندما لم يجده السادات ارسل اليه سيارة من سيارات الرئاسة مع موسى صبرى واحمد رجب ليعودا به .

وصافحه الرئيس ، والسيدة جيهان ، وجاءت السيدة جيهان لتجلس الى مائدتنا تاركة مائدة الرئيس .

اى أن السيدة جيهان لم تكتف بالتدخل فى السياسة والاقتصاد. وكان لها دخل ايضا فى الصحافة .

وان السيد الرئيس كان يرى فى زواج بناته ، وولده فرحا ينبغى ان يعم اثره على شعبه على طريقة الملوك ..

وهذا هو نظامه فى الحكم مع السيدة قرينته ، وبقيت تساؤلات تحتاج الى اجابة حول السيدة دينا زوجة جمال ..

يتردد انها حفيدة صاحب شركة نادلر المؤممة للحلويات .. ويقال ان اصل هذه العائلة يهودى .. فهل هذا صحيح .. اننا نرجو الا يكون صحيحا ابدا .. بل اننا نستبعد صحته ، ولكننا نطرح الاسئلة ..

ومرة اخرى دعيت مصر كلها الى حفل زفاف اسطورى تم فى قصر الجزيرة ..

● **حساسية للاضواء ..**

وتقول دورين كايز مراسلة التليفزيون الامريكى فى القاهرة .. اذكر بعد يوم واحد من عودتنا من كامب ديفيد كان السادات فى ذلك اليوم يحتفل بزواج ابنه جمال الذى سماه تيمنا باسم الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، وكان حفلا بالغ الفخامة والبهاء ، مطرزا بالزينات والاضواء وزبدة المجتمع المصرى ، واشهر المطربين والمطربات .. ولقد ركزت انتباهى كله على وجه السادات وكان فى

معظم اللحظات وهو جالس بالصف الاول يحاول ان يتظاهر بالمرح ولكنى استطعت ان الحظ انه رغم كل ما يبديه من مرح كان يسرح احيانا فتعلو وجهه تقطيبة رهيبة كأنما هو يرى اشباحا مخيفة تطوف امام عينيه ، ثم يتنبه لنفسه فجأة فتعود ابتسامته الميكانيكية عندما يحس بانوار الكاميرا تقترب لتسلط عليه ، والواقع انه كان لديه احساس غريزى لكاميرات التليفزيون لاتكاد أنوارها تقترب منه حتى يعد نفسه لهـــا .

● زوجة اب .. بلا قلب ..

هذه هى العائلة التى عاشت لها جيهان ..

الاب .. وبناته الثلاث .. والابن .. عاشوا جميعا حياتهم كما لم يعش احد .. ولم يتركوا شيئا لم يحققوه .. فلقد ملكوا كل شىء .. وتمكنوا من كل شىء .

وفيما بعد سوف يأتى الدور على الاحفاد .. لنرى الحفيد الطفل وكبرى صحف مصر تنشر صورته وتشيد بتواضعه الجم لانه وهو فى الثالثة من عمره ، ارتدى ملابس ضـــــباط الجيش وكان ديمقراطيا عندما لم يضع على كتفيه رتبة اللواء .. واكتفى برتبة الملازم فقط .. !!

وكان شريف نجل السيدة لبنى يصحب السادات دائما حتى فى رحلاته الى الخارج .. والداخل .. ولقد كان يوم اغتيال السادات فى المقصورة مع جدته السيدة جيهان .. ولعله شاهد بنفسه نهاية جده .. وربما يتساءل ذات يوم بعد أن يكبر عن السبب .. ولعله يعرفه من قراءة التاريخ بعيدا عن الانفعالات والعواطف .

على كل حال اذا كانت اسرة السادات تعيش فى هذه البحبوحة، فيجب ان نقرر ان هذه ليست اسرة السادات .. ولكنها نصف أسرته .. اما النصف الاخر فقد كان يعيش فى الظلام ..

جيهـــان .. زوجـة الأب ..

هناك جانب آخر مظلم من صورة السيدة جيهان .. حاولت دائما اخفاءه .. فالسيدة جيهان هى الزوجة الثانية للمرحوم .. وزوجته الاولى هى أم أولاده الثلاثة .. روكيـــة .. وراوية .. وكاميليا .. وهى بهذه الاوصاف تقربها جدا من ان تكون بلغـة المصريين « ضرة » .. وزوجة أب !!

ولعل ذلك كان أيضا مما دفع بالبعض الى تشبيه السيدة جيهان بشجرة الدر .. الزوجة الثانية .. الضرة .. وزوجة الاب .. والتى سامت أولاد زوجها سوء العذاب الى حد أنهم شـاركوا فى التآمر للتخلص منها .. ولم يكن ذلك صحيحا بالنسبة للسيدة جيهان من هذه الزاوية .

ولعل أفضل من يتحدث عن علاقة السيدة جيهان بزوجهـا وبأولاده من زوجته الاولى السيد حسن عزت .. ليس فقط لانه كان صديقا للسادات الذى عمل معه فترة فى المقاولات بعد طرده من القوات المسلحة .. ولا لانه كان زميلا له فى بعض التنظيمات داخل القوات المسلحة .. ولكن وهو الاهم لان السادات نفسه .. وجيهان نفسها يقولان انه هو السبب فى تعارفهما حيث أن اللقاء الاول بينهما تم فى منزله بالسويس على نحـو ما ذكرنا من قبـل .

يقول السيد حسن عزت أنه « فى منتصف مايو عام ١٩٨٣ ، التقيت صدفة فى القاهرة بالصديق سعيد ماضى شـقيق السيدة اقبال ماضى ، زوجة السادات الاولى ، وسالته عن أحوال شقيقته وبناتها روكية وراوية وكاميليا .. فقال لى أننا على بعد امتـار

قليلة من منزلها واقترح على أن أذهب معه لزيارتها فقبلت على الفور .. فأنا أحمل لهذه السيدة كل مودة واحترام وتقدير وهى التى كما ذكرتنى عندما جلست اليها ، كانت تغسل لى هدومى وترتق شراباتى وتطبخ لنا الطعام ..

وقد جاء تذكيرها لى بهذه الامور فى اطار عتاب شديد لاننى كنت السبب فى زواج انور من جيهان لكننى ذهلت وعقدت الدهشة لسانى وهى تقول « مش حرام عليك تجوزه وأنا كنت حامل وعلى ذمتــه » !!

فصممت عليها الحقيقة عن تفاصيل زواج أنور من جيهــان وكيف أنه اقسم على المصحف الشريف بأنه طلقها وهو فى السجن فقالت « هذا غير صحيح » ..

وقد فهمت وعرفت انه من الطبيعى والمنطقى ان الحاجــة اقبال حملت منه أوائل سبتمبر ١٩٤٨ ، أى قبل شـــــهر من خطوبته لجيهان فى ٣ اكتوبر ١٩٤٨ !!

يا للغرابة .. هل حلف أنور على المصحف بالباطل وادعى أنه طلقها وهو فى السجن وأنا صدقته لان القسم الذى اقســمناه على المصحف يوم أن شكلنا أول نواة للضباط الاحرار كان يتضمن أن لا يكون بيننا الا الصــدق .

لقد اعتبرت نفسى مجرما فى حق هذه السيدة وبناتها ، وكان على ، يوم جاءنى المرحوم صفوت بخصوص زواج جيهــــان من السادات ، أن ابحث عنها أو عن سعيد ، شقيقها ، لكى اتحقق . ولكن لم يخطر على بالى ان أنور ، الذى لم يكن ينقطع عن الصلاة يصدر عنه مثل هذا السلوك ويقول غير الحق وهو يقسم عــلى المصــحف !!

ثم كانت الصاعقة الكبرى عندما سألتها عن معاش البنــات وميراث والدهن السادات .. لقد قالت الحاجة اقبال ، باستسلام :

معاش ايه .. طلبونا فى ادارة المعاشات وقالوا ان معـــاش السادات ٥٠٠ جنيه فى الشهر .. بناتك ٢٥٠ والسيدة جيهـــان ٢٥٠ .. وهذا كل شىء ، ثم جاء ما هو أدهى وأمر .. عنـــدما سألتها عن ميراث السادات وقالت أنه لم يترك مليما واحدا ... قلت « والمنزل الكبير فى ميت أبو الكوم والـــ ١٨ فدان » .. فنظر الى سعيد ماضى وقال « لقد بعتهم له بثمن بخس عندما قال لى أنه يريد الارض لبناء بيت كبير يأوى أختى وبناتها بعد مماته .. لكنه سجله باسم ولده جمال من الست جيهان » .

صدمت .. ورحت أضرب كفا بكف واردد نفس الكلمات التى رددها رحمه الله قبل أن يطلق عليه قاتله تلك الرصاصات الغادرة : مش معقول .. مش معقول ..

لكنهم ، سعيد ماضى والحاجة اقبال وبناتها ، قالوا ان هذه هى الحقيقة عارية .. فتركتهم وتوجهت على الفور الى الاستاذ عبد الحليم رمضان المحامى العملاق ورويت له الحــكاية فابدى استعداده لمقاضاة الطرف الاخر لرد الحق وتحقيق العدل ..

توجهت الى زميلى فى الــكفاح العـــالم الجليل أحمد حسن الباقورى ولم نكن قد التقينا منذ حوالى ٣٠ سنة .. وما ان طرقت باب منزله فى مصر الجديدة وفتح لى حتى تعانقنا ، وكانت زوجته الفاضلة السيدة كوكب حاضرة فقلت مازحا « أنا المرحوم حسن عزت » فضج الشيخ الباقورى الوقور بالضحك وقال ان الرحمة تجوز على الحى والميت .

ذكرت للشيخ الباقورى ما كان من تصرف أنور بميراثه ... فذهل للحظة ، فقد كان متحمسا للسادات ومواقف السيدة جيهان المعتدى عليها .. وعندما سألته رأى الشرع فى هذا التصرف مـــد يده الى صحيح البخارى وأخذ يقرأ ما كان من شأن رسول اللـــه عندما جاءه النعمان ليشهده على هبته لابنه من زوجته الثانيـــة « بحره » الفارسية الجميلة .

فسأله رسول الله عن أولاده من زوجته الاخرى .. وأضاف وفى الشرح ، الراجع عن الهبة كالمتقىء وقال له الرسول الكريم : « انك لم تعدل » وأوجب عليه أن يرجع عن الهبة .

أضاف العالم الجليل بأن السيدة جيهان لم تظلم بنات السادات .. لكن السادات هو الظالم طبقا لنص الشريعة .. وقال « هذا هو ما أراه يا أخى .. والله أعلم » ..

هكذا افتى الشيخ الباقورى .. العالم الجليل والوطنى المخلص .. وفى اليوم التالى ذهبت الى سعيد ماضى والسيدة اقبال لعمل توكيل للاستاذ عبد الحليم رمضان كى يبدأ فى الاجراءات القضائية الا أننى فوجئت بالرد الذى يؤكد أصالتهم ومعدنهم الجيد اذ قالوا : « نحن أغنياء بنفوسنا ولا نريد أن نؤرقه فى قبره ونعذب روحه الطاهرة .. لقد فوضنا أمرنا لله » .

وأنا الان أتساءل ـ هكذا يقول صديقه حسن عزت ـ : كيف يمكن أن يستريح السادات فى قبره ويتجنب حساب الله العسير ؟ وارى الاجابة عند السيدة الفاضلة جيهان السادات وقد وضحت الآن أمامها الحقيقة وهى أعلم بما تركه السادات فى مصر أو فى الخارج ..

.. فهل ترضى السيدة جيهان بهذا الظلم الذى حاق بزوجته وبناته ..

اننى أتضرع اليها راكعا على ركبتى ، وقد كنت سبب زواجها ان تنصف بنات السادات وترد لهن حقهن .. وأنا على ثقة أنها لا ترضى بظلم أحد ولن ترضى » ..

● استولى على الميراث :

يعيد حسن عزت رواية قصة هذا اللقاء فى حديث بمجلة الدستور « ٧ يناير ١٩٨٥ » قائلا :

فى العام الماضى كنت فى مصر ، وبعد زيارة للمحامى عبد الحليم

رمضان .. وأنا خارج من عنده قرب الجاردن سيتى ، حيث تسكن بنتي هناك ، وإذا بى أتقابل ، وبعد عشرين عاما ، مع سعيد ماضى ، شقيق اقبال ، أهلا وسهلا .. بالحضن والبوس ، وأخبرنى أنه باع مطبعته ، وأنه مستور والحمد لله .. سألته ، وكيف حال اقبال ؟ .. فأجابنى هى هنا فى الشارع المجاور ، ومعه قمت بزيارة الحاجة اقبال ، نعمها الله ، وهى التى لم أرها منذ خمسة وعشرين عاما .. وفوجئت بها محاطة ببناتها الثلاث اثنتان مطلقتان والثالثة وهى حاصلة أخيرا على ماجستير من أمريكا ، هى ايضا على وشك الطلاق .. اية حالة ، حالة تبكى ، وكيف لا تبكى وأنت ترى بنات من صلب السادات فى هذه الحالة ، وقارنت بين حالتهم وحالة السيدة جيهان السادات التى تعيش وأسرتها فى ترف وبيوتها فى الاسكندرية ومصر .

لقد دخلت بيت اقبال بعد خمسة وعشرين عاما ، وكانت معى زوجتى الايطالية ، روزالين ، وذهلت معى لما رأت .

لقد أنبتنى اقبال ، واتهمتنى بأنى مسئول عن تعاستها ، وأننى طلقتها من زوجها ، وقالت لى أنك لا تعرف الحقيقة . ان السادات لم يطلقنى .

وهذه هى المفاجأة ، لقد واجهتنى بوثيقة ميلاد الابنة الثالثة للسادات ، كاميليا ، لقد ولدت بعد خطبة السادات لجيهان بثلاثة عشر يوما ، فهل رأيت قاضيا يطلق امرأة حاملا فى تسعة أشهر ، لقد كان السادات يعيش حياة عادية مع زوجته اقبال . فى الوقت الذى كان يعيش قصة حب كبرى مع جيهان .. وهى الحقيقة التى لم أعرفها الا خلال زيارتى الاخيرة .. فعندما فاتحنى السادات فى خطبة جيهان ، قلت له وماذا ستفعل مع اقبال ، فأكد لى أنه طلقها ، وأتيت له بالمصحف ، وضع عليه يده واقسم ثلاثا أنه طلق اقبال ..

وتتدخل روزالين زوجة حسن عزت ، وهى ايطالية تتكلم بعربية متقطعة لتقول :

« لقد اطلعتنا اقبال فى السنة الماضية على صورة لها مع السادات وبناتها منه ، راوية ، رقية ، وكاميليا فى راس البر ، صورة عائلية ، بينما كاميليا لم تولد الا بعد زواجه من جيهان ..

وقد انزعج حسن عزت وهو يقول أننى لاسباب كثيرة ، أولها خيبة أملى فى السادات ، هذا الرجل الذى اقسم على المصحف ، وذهبت لاشترى له الشبكة ، وأحضر لزفافه جوقة عبد العزيز محمود ويمكن لى أن أتذكر صوته وجوقته وهى تعزف للراقصات وهو يغنى : « يا مزوق يا ورد فى عود ، والعود استوى ، والكحل فى عينيك السود ، جلاب الهوى » ..

ويذكر عبد العزيز محمود أنه أخذ منى وقتها ثلاثمائة جنيه . دفعتها ، كالحمار او كالبغال ، والرجل تزوج .. وأنا دفعت ..

وكنت اثق فى السادات ، الشريف الذى كنت اصلى وراءه فى السجن وهو امام ولا كل الائمة ، ثم أننى رفضت خطبة ابن شقيقى « على عزت » الذى جاء طالبا يد جيهان ، واخيرا كانت المفاجأة الكبرى التى واجهتنى وانا أزور السيدة اقبال .

لقد أكدت لى أن الجهات الحكومية استدعتها للحضور ولتبليغها أن نصيبها من المعاش المخصص لها من طرف الحكومة ، هو مائتان وخمسون جنيها شهريا ، تأخذها بينما تأخذ جيهان ، نفس القيمة .

فقد قررت الحكومة تخصيص منحة شهرية لعائلة السادات خمسمائة جنيه شهريا .

لقد خرجت من بيت اقبال ، وتوجهت رأسا عند المحامى عبد الحليم رمضان لانقل له قضية أريد رفعها للقضاء المصرى ، قضية نصب .

نصب السادات على عائلة السادات ، فعندما كان انور السادات رئيسا للدولة ، استدعى شقيق اقبال ، سعيد مافى

وقال له « اسمع ان لك ولاختك اقبال أرضا فى ميت أبو الكوم .. اريد أن اقيم لكم عليها بيتا يعود عليكم بالخير فى الايام الصعبة ، وعليك ان تتنازل لى عن تلك الارض ، ثمانية عشر فدانا بسعر رمزى ، حوالى ثلاثمائة جنيه للفدان .. لاقيم عليها بناية باسمكما وفعلا حصل .. وعلى الرغم من أن سعر الارض كان وقتها يتعدى الثلاثة آلاف جنيه للفدان فقد سجلت بثلاثمائة ، واتضح فيما بعد أن الارض سجلت بعد أن بنيت ، باسم جمال السادات وطلب منى عبد الحليم رمضان ، أن احضر اقبال لتمضى توكيلا . فرفضت اقبال وقالت : كيف أقيم دعوى على السادات وهو فى قبره ؟ ورفضت اقبال التوجه الى الشهر العقارى .

● رسالة الى جين :

أرسل حسن عزت خطابا الى السيدة جيهان .. التى تعلم بما تركه السادات فى مصر أو فى الخارج .. يذكرها بقوله تعالى « ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد » .. قائلا ان السيدة جيهان لا ترضى بهذا الظلم وتكون حمالة الحطب ..

وقد جاءت رسالة حسن عزت ردا على اتصالات قامت بها السيدة جيهان لابلاغه بعدم التحدث عن موضوع البيت الذى كانت تملكه السيدة اقبال ماضى واستولى عليه السادات بالخديعة وسجله باسم جمال ابنها .. وجاء فى الرسالة بالنص ..

وختاما .. ارجو يا جين أن تفهمى موقفى ، فيما لو صحت رواية الحاجة اقبال وخصوصا أن أنور حلف لى على المصحف عند خطوبتك انه طلق اقبال وهو فى السجن ، وقد كنت تعلمين هذه الحقيقة عند خطوبتك .. وهو الامر الذى لا أجد له تعليلا الا حبه الاعمى لكى ، وأنا أعذره لهذا .. فمعنى هذا اننى كنت مخلب القط ، الذى ارتكب جريمة تشريد هذه السيدة وبناتها الثلاث ..

وكنت السبب ، ولو بحسن نية ، فى خراب بيوتهم وحرمانهم من والدهم وحنانه طول حياته .

والله العظيم يا جين زرتهم فى منزلهم المتواضع ، الحاجة وبناتها ، اربع غرف ورأيت الاحفاد وكيف يعيشون الفاقة على معاش ٢٥٠ جنيها - مرتب سواق - وعددهم زيادة عن عشرة الا يكفى حرمانهم من حنان والدهم فى حياته ، كمان يحرموا بعد مماته ، اليس هذا حرام يا جين ، وانتى الست المصلية الطاهرة ؟

وافتكرى اللى قلته لكى فى باريس عندما كنتى وانور عند جيسكار ديستان ، حكاية سيدنا محمد لما نزلت عليه الاية الكريمة - **انا فتحنا لك فتحا مبينا** ... - الخ .. الله يهدينا ويهديكى يا جين ويحسن ختامنا جميعا .. واذا ماكنتش مسألة ضمير ارجعى لضميرك ، وانا عارفه ومتأكد منه .. فلو اقنعتنى انهم مظلومين ، رجعى لهم بيتهم عشان ربنا يسترهم ، ويستر عليكى . ويسترنى أنا كمان ، وأكفر عن خطئى ، وأنا رجل عجوز ومريض وما بقى من العمر الا القليل ، خلينى أموت مرتاح الضمير يا جين أنا ماعملتش فيكى الا كل خير .

انتى الان على وشك طبع كتابك عن انور ، الله يجعله ملايين النسخ ، ويربحك فيه الكثير ، ولو حدث وصدر كتابى وهو الان فى المطبعة بلندن : فان صورتك الناصعة أمام الرأى العام العالمى ستهتز وبدلا ما تبيعى منه مائة نسخة سيصبحوا خمسين .. اذن أولى أن تصححى وضع هؤلاء البنات التعساء ، وتحتفظى بصورتك لامعة مضيئة كما عرفتها دائما .. ويكفينى شر ظلمك والتجنى عليكى ..

أرجوكى ان تكتبى الى قرارك حتى اتمكن من حذف هذه القصة الحزينة من الكتاب قبل صدوره .. وتريحينى من عذاب الضمير ، حتى أموت مكفرا عن ما عسانى أخطأت ، والله يعلم أنه بحسن نية ، ولم أكن الا ضحية ، وما أردت ولكى الا كل

سعادة .. الله يهديكى يا جين ويهدينا جميعا ويلهمنا الصواب ؛
والسلام ختام .. » ..

● من هى الابنة الكبرى ..

لا أعتقد أن السيدة جيهان سوف تستجيب لرجاء حسن عزت بانصاف بنات ضرتها .. فاذا كانت المسألة تتعلق بالمال .. فالسيدة جيهان قد عبرت من خلال مواقفها طوال فترة حكم انور السادات وأيضا خلال تصرف السادات فى ممتلكاته — سواء كانت كثيرة أو قليلة — عندما تصرف فيها لاولاده منها فقط .. ولان الرئيس كان مؤمنا .. شديد الايمان .. ولانه كان يتشبه بعمر ابن الخطاب عدالة وحسما .. ولانه كان يستعد لكى يكون سادس الخلفاء الراشدين .. ولانه اخيرا قال انه لا يبدل القول لديه وما هو بظلام للعباد ..

فهل كل ذلك يؤدى لمثل هذه التصرفات ..

السيدة جيهان .. التى شبهها هو بالسيدة خديجة . شجعت او سعت او على الاقل وافقت على ذلك . .

على أن الصدمة التى أحس بها الناس .. والتى ربما شاركوا السيدة اقبال وبناتها الثلاث ازمتهن .. كانت عندما نشرت الصحف منذ البداية نبأ خطبة الابنة الكبرى للرئيس السادات الى الضابط أحمد المسيرى ..

يومها أحس الناس بما يمكن أن يسببه نشر مثل هذا النبأ غير الصادق من متاعب وآلام نفسية فى منزل الزوجة الاولى .. فلم تكن لبنى هى الابنة الكبرى للسادات .. انما ابنته الكبرى السيدة رقية أو روكية ..

وكان فى نشر هذا النبأ تجاهل تام لزوجته الاولى .. وليس

هذا هاما على فرض انه كان قد طلقها .. ولكنه هام جدا بالنسبة لبناته منها ..

كيف مات ضمير الاب لديه حتى تجاهل فلذات كبده الثلاثة . بمثل كل هذا التجاهل ، وفرض عليهن ستارا كثيفا من الصمت والاهمال ، فلا هو استقبلهن ، ولا هو صحبهن فى رحلاته .. ولا هو زارهن .. ولم نسمع أن الصحف نشرت نبأ عن واحدة منهن . او صورة لهـا .

وظهر للمواطن العادى الذى لا يعرف شيئا .. وللعالم كله أن عائلة السادات التى تظهر فى التليفزيون ، وفى المجلات ، وحتى فى مطبوعات الدعاية عن مصر .. هى العائلة المكونة من زوجته السيدة جيهان وبناته الثلاث وابنه جمال فقط .. اما بقية أفـراد اسرته .. بناته الثلاث الاخريات وزوجته السابقة فكأن الارض قد ابتلعتهن تماما !!

● الاضرار .. والزوجة الثانية :

السيدة اقبال تعيش مع بناتها الثلاث فى شقة عادية بشارع البستان بالقاهرة ..

ولقد تزوجت الثلاث .. زوجتهن أمهن بنفسها ، وكأنهن قد فقدن الاب ..

حدثت خلافات بين الزوجات .. وازواجهن .. لم يتدخـل السادات ..

طلقت احداهن .. ليس للسادات دخل .. تزوجت ليس له عـلاقة .

ن زوجته الاولى :

وقالت كاميليا ابنة السادات انها هى وشقيقاتها لم يتمتعن مع والدهن بالمعاملة التى تمتع بها اخوتها غير الاشقاء (ابناء السيدة

جيهان) وان الرئيس السادات عندما تزوج بالسيدة جيهان قال لزوجته اقبال ان الشرع يبيح له الزواج من اربع لكنها طلبت الطلاق وحصلت عليه قبل زفافه الى السيدة جيهان بأيام كما قالت ان السادات خلال السنوات العشر الاولى من زواجها بالسيدة جيهان كان يزورها للاطمئنان على ابنائه الى أن علمت السيدة جيهان بهذه الزيارات فمنعته .

كل ذلك فى صمت وبعيدا عن الابالذى يتمتع بالسلطةوالنفوذ والسلطان .. والذى كرس امكانيات الدولة من أمن .. وسيارات وغيرها لخدمة بعض أولاده ..

اى نوع من الاباء .. هذا الرجل ..

وأى قيم كانت تحكمه .. وأية أخلاق كان يتمسك بها ..

ربما ظن أن هذه هى أخلاق القرية التى كان يتحدث عنها .
أو ان هذا هو العيب الذى كان يتهم الكثيرين بأنهم لايعرفونه ..

وأى عدل .. ننتظره من رجل لم يعدل بين أولاده ..

ثم .. وهو الاهم .. أين كانت السيدة جيهان من ذلك كله ..

لا نريد أن نقول انها كانت السبب .. ولكننا فقط نتساءل عن دورها .. كزوجة ثانية . .وهى التى تبنت قانون الاحوال الشخصية حرصا على المرأة حتى لا تضار بسبب الزواج الثانى .. وكيف قبلت أن تكون هى الزوجة الثانية التى حاربتها .. هل كانت تحس بمعاناة الزوجة الاولى لزوجها وهى تدافع عن الزوجات اللواتى ظلمن بالزواج الثانى للرجل .. اذا كانت قد أحست بمثل هذه المعاناة فلا شك أن تصرفها كان سيكون مختلفا ..

● جيهان زوجة الاب :

كانت السيدة جيهان تنشر العطف ، والرحمة ، والوفاء .. وتزرع الامل فى نفوس الناس كما صورتها أجهزة الاعلام .. ولكنها لم تراع هذه المعانى مع أولاد ضرتها .. فعاملتهن معاملة زوجة الاب !

ولقد عرضت السينما المصرية فى كثير من قصصها مآسى تسببت فيها زوجة الاب .. وبكى الناس وهم يتابعون تصرفات زوجة الاب التى أختيرت دائما كشخصية شريرة لتلعب هذا الدور الذى يتطلب اجادة فى التمثيل .. واظهار البراءة والطيبة فى جانب واخفاء للحقيقة المبكية والمأساوية فى جانب آخر ..

ولم نسمع عن أن السيدة جيهان قد قامت بمثل هذا الدور ؟ فانها لم تلتق ببنات زوجها .. لم تعاملهن معاملة سيئة .. ولم تعاملهن معاملة حسنة .. فهى لم تتعامل معهن على الاطلاق .. وربما لم تراهن فى حياتها حتى نقول أنها كانت تعصف بهن ..

ومن هنا يكون السؤال .. للسيدة جيهان .. كيف طاوعها ضميرها ان تفصل بين الاخت والاخت .. ان احدا لا يظلم أولاده بأن يفصل بينهم وبين أصدقائهم .. فكيف بالفصل بين الاخوة .. كيف لا يتعارفن .. ويتحاببن .. ويتصادقن .. وكيف لا يدعى الاخوة لحضور أفراح اخوتهم .. وأن يكونوا بعيدين عنهم يقرأون عنهم فقط فى الصحف ..

واذا جاز ذلك فى حالات الزواج .. فان المصريين يكنون قداسة خاصة للموت .. وينسون خلافاتهم مهما كانت ضراوتها وقوتها أمام جلال الموت الذى يهز وجدانهم وأفئدتهم .. وتلك خاصية مصرية أصيلة وعريقة ..

وبعد قتل السادات .. نشرت بناته الثلاث نعيا صغيرا مدفوعا بالنقود فى صفحة الوفيات ..

أى أنهن كن بعيدات تماما عن حادث الاغتيال ، وعن تلقى العزاء فى والدهن ..

بل انهن لم يدخلن منزل والدهن حتى للمشاركة فى تلقى العزاء .. اية قسوة هذه ..

ثم .. انهن كن يتلقين عزاء آخر .. فكان هناك مأتمان .. مأتم

أولاد السادات وأسرته الاولى .. ومأتم أولاد السادات واسرته الثانية ..

الاول يحظى بكل الاهتمام .. ويقام فى قصر .. والثانى لا يحظى بأى اهتمام .. ويقام فى سرادق فى ميت أبو الكوم ..

اية قسـوة هذه ..

ولم تكن الدولة متجنية عندما شاركت فى المأتم الاول ذلك ان صاحب المأتم نفسه قد فرض هذه الصورة على الجميع قبل مقتله ..

● ظلام هناك .. وأضواء هنا :

كان العارفون بتفاصيل القطيعة التى غرست بين الاخوة لا يكتمون اندهاشهم ،وهم يرون احتفالات لتنصيب سيدة مصر الاولى والاخيرة كمجاهدة كبيرة .. وأم مثالية لمصر كلها ..

وربما تساءل البعض منهم بخبث أو بسلامة طوية عن مفهوم الام المثالية والمعايير التى توضع عند اختيارها .. وهل من بينهـا أن تكون زوجة ثانية .. وأن تبعد أبناء الزوج الاول . وتفرض عليهم العزلة وحياة الظلام بينما تنعم هى وأولادها فيما وفره لهم الاب من سعادة ، وعز وجاه ..

لقد كان من حق الاولاد نصف أبوة السادات .. ونصف حياته .. ونصف وقته .. كما أنه كان من حقهم نصف ثروته .. ولـكن الناس كلهم يعرفون أن ذلك لم يتحقق .

وعندها يكون السؤال .. عن الدافع وراء ذلك .. اننا لا يمكن أن نتهم السادات بانعدام عاطفة الابوة لديه .. ولا بقسوة القلب وتحجره .. وهو الذى صوره لنا الاعلام على انه يفيض رقة وعذوبة وانسانية .. وهكذا أيضا تحدثت عنه زوجته الثانية السيدة جيهان ..

واذا كان ذلك صحيحا ، ولعله صحيح .. فمن اذن يكون

صاحب القلب القاسى .. والسطوة التى أوصلت وضع الاسرة الى هذا الانقسام الظالم ..

قسم يعيش فى الاضواء .. ويملك كل شىء .. وهو القسم الجديد من الاسرة ..

قسم يعيش فى الظلام .. ولا يملك شيئا .. وهو القسم القديم والاصيل من الاسرة ..

وكيف تناست كل أجهزة الاعلام .. وكل الجهات .. وكل الشخصيات التى كرمت السيدة جيهان دورها كضرة ، وزوجة ثانية .. وهل لم يخطر ببال أحد .. أن يسأل عن ابناء الزوجة الاولى ..

وعندما كانت الصحف تنشر الانباء عن زواج الابنة الاولى للسادات أو الابنة الثانية .. أو الابنة الثالثة .. أفلم يكن فى ذلك امتهان لعقول الناس .. وكذبا مفضوحا فان زوجة السادات وبناته الاولى والثانية والثالثة روكية ، وراوية ، وكاميليا .. لم يكن مجهولات .. كما أن زواجه الاول لم يكن مجهولا أيضا .. وليس من المنطقى أن يتم هذا التجاهل ، والنشر بهذه الطريقة الا ان يكون ذلك بتعليمات للصحف .. أى أن التعليمات كانت تفرض الظلام على نصف أولاد السادات .. وأن يتم تجاهل أولاده من غير السيدة جيهان ، ولا تتم حتى مجرد الاشارة اليهن .. بل يلغى وجودهن تماما .. فتكون لبنى كبرى بناته .. وليس روكية .. وتكون جيهان صغرى بناته .. ولا يرد ذكر كاميليا الابنة الصغيرة الثالثة من السيدة اقبال ماضى الزوجة الاولى .. التى لم تنشر الصحف صورها ولو لمرة واحدة ، ولم يسمع أحد عنها اى شىء ..

هل هناك زوجة أب اشد قسوة .. وجبروتا من ذلك ..

ثم هل يتناسب هذا الدور مع سيدة أولى .. من المفروض أن تضرب المثل ..

ثم هل يليق هذا الدور بسيدة ذات نشاط اجتماعى فى خدمة

الضعفاء •• والوقوف الى جانب المرضى •• ورئاسة جمعيات الرعاية الاجتماعية .. والدفاع عن حقوق المرأة .. !

لا نريد أن نخوض فى تفاصيل الحياة اليومية القاسية للجانب الآخر من الصورة .. المهم فقط أن نرصد موقف جيهان زوجة الاب .. « والضرة » .. ذلك الموقف الذى تجاهلته السيدة التى دافعت بحماس عن حقوق المرأة .. والتى رسمت لها صورة تفيض انسانية .. ورقة .. وعذوبة .. واستطاعت بهذه الصورة وبالتعليمات أن يطمس الجزء الآخر من العملة .. وأن تفرض عليه حيـــــاة الظلام ..

ثــروة الســــــيدة الاولــى

نشرت الصحف ذات يوم نبأ يقول انه قد ضبطت فى كازينو الليل خمور مهربة بدون جمارك . وان حصيلة الجمارك عليها نصف مليون جنيه .

وكازينو الليل تملكه السيدة شريفة فاضل الشهيرة بأم البطل !
وتردد فى القاهرة بين الناس أنه أنه اذا كانت أم البطل الواحد .. تملك ما قيمته نصف مليون جنيه .. فكم تملك السيدة أم الابطال!
ولم يكن ما تردد بين الناس صحيحا على أطلاقه .

وبما كان السبب فى ذلك ما قاله السادات نفسه ردا على السيدة بابرا والتز ــ فى حديث تليفزيونى نشر فى القاهرة أيضا ان زوجته السيدة جيهان تعمل فى التجارة ولكنه منعها من التعامل مع الحكومة أو القطاع العام حتى لا تكون هناك شبهة استغلال نفوذا! وانها أيضا من حصيلة أعمالها تنفق على ما يعيش فيه من بذخ ..

ولا أحد يعرف صحة تصريح الرئيس .. ذلــــك ان العمل التجارى فى بلد مثل مصر ـ بظـــــروفها وقوانينها لابد أن يمر عبر الاجهزة الرسمية على كل حال !
فالاستيراد مثلا يلزمه تصريحات وموافقات حكوميــــة .. والجمارك على المستوردات يلزمها التعامل مع الحكومة .. والارباح يلزمها تقديم اقرارات لمصلحة الضرائب الحكومية ..
فكل الانشطة التجارية تحتاج فى نهاية الامر الى أن تمــــر عبر الحكومة .. مهما كانت مشروعة !

فاذا انتقلنا مثلا الى الاراضى ، وكانت تجارة رائجة فى تلك السنوات ، فانها تمر عبر الحكومة من التسجيلات الرسمية ، الى توصيل المرافق فى الاراضى الجديدة ، الى الضرائب ، فضلا عن ان الحكومة ذاتها هى المالك لكل الاراضى الجديدة التى تقسم للبناء ، وتستصلح للزراعة !

وكذلك كل الانشطة الاقتصادية .. مما يجعلنا نقرر انه فى مصر ليس هناك نشاط اقتصادى مشروع الا والحكومة طرف فيه .. حتى ولو كان دورها قاصرا على الموافقة .. أو السكوت أو تحصيل الضرائب !

وليس معروفا على وجه التحديد ما هى الانشطة التجارية التى كانت تقوم بها السيدة جيهان .. والتى تحدث عنها الرئيس.. وخاصة انه فيما بعد قالت فى أحاديث صحيفة أنها لا تملك شيئا ، ولم تعمل بالتجارة وأنها لا تملك سوى مرتبها من الجامعة وهو أقل من ستين جنيها شهريا ، ولكن هذه التصرحـــات جاءت بعد اغتيال السادات فهى لم تكذبه فى حياته ولكنها كذبته بعد مقتله ، وكانت قد ترددت شائعات كثيرة حول مشاركة السيدة جيهان لعدد من المستثمرين ، وفى شركات للنقل ، والتاكسيات كانت لحساب جمعية الوفاء والامل كما ترددت شائعات عن قصر فى النمسا تملكه السيدة الاولى ، وضيعة فى الولايات المتحدة هى على اغلب ظن الذين رددوا هـــذه الشائعة هدية من شاه ايران ، وأن جمال نجلها كان يقضى اجازته بها عندما اتصلت به والدته تطلب اليه الحضور فورا بعد ان تأكد لها اغتيال والده المرحوم كما تردد انها تملك قصرا فى لندن ، وكانت قد زارت لندن عقب تولى السادات ، وبعد انقلاب مايو مباشرة لتجرى أولى عمليات التجميل ، وهناك إقامت حفلا حضره السفير كمـــال رفعت الذى لم يكن فى استقبالها عند حضورها ، وعدد من الشخصيات المصرية التى تصادف وجودها فى لندن ، وقيل أنها اقامت هـــذا الاحتفال فى القصر الجديد الذى تملكه بيد أن هناك من يكذب ذلك

قائلا ان القصر يملكه المليونير المصرى الذى يقيم فى لندن رشدى صبحى وانه وضع تحت تصرفها طوال مدة اقامتها بالعاصمة البريطانية !

وتكفى الهدايا الرسمية ، العلنية ، وغير العلنية التى قدمت للسيدة جيهان خلال تنقلاتها فى الداخل والخارج لكى تصبح فى عداد واصحاب الملايين ! .. كانت الهدايا فى الداخل من الذهب الخالص .. والهدايا فى الخارج من الاحجار التى تفوق الذهب قيمة ، وخاصة تلك التى حصلت عليها من بعض دول الخليج ، ولسنا نريد ان نخوض فيما تردد حول هذا الامر من اقاويل واقاصيص وصلت الى حد النشر فى الصحف ، لان الهدف ليس التشهير لسيدة كانت عزيزة قوم .. فأذلتهم ..

● **المقتنيات الفنية والآثار :**

كانت الصحف قد تحدثت عن المقتنيات الفنية التى اختفت من متحف المرحوم محمد محمود خليل بعد أن ضم المتحف الى قصر كاسترو الذى استولى عليه المرحوم من الحراسة ودفعت الدولة نصف مليون لاصلاحه .. ونشرت صور بعض اللوحات الضائعة وهى تزين قصر السادات ورغم أن القضية اثيرت فى مجلس الشعب الا أنه لم يصل الامر فيها الى شيء .. فهناك من يصر على أن السيدة الأولى استولت على المقتنيات الفنية النادرة من قصر المرحوم محمد محمود خليل الذى كان متحفا وضمته الى القصر " ثم عاد اخيرا الى وزارة الثقافة ..

والحقيقة أن السيدة جيهان قد تربت عندها فجأة الميل الى اقتناء التحف . الى حد أن احدى الصحف « الديلى اكسبريس ١٥ سبتمبر ١٩٨٤ » قد نشرت أن ارملة الرئيس المصرى السابق انور

السادات قد دخلت محل بيتر جونز « قتل بضعة ايام واشترت معظم محتويات الطابق الخاص بالتحف والاثريات » !

وكانت عقب تولى زوجها الرئاسة قد ذهبت الى قصر عابدين وطافت بكل حجراته ، واشارت الى عـــدد من التحف ، والنجف واللوحات ، والسجاد ، وطلبت نقلها الى منزل الرئيس ، ولكن طلبها لم ينفذ .. حيث اتصل المسئولون عن القصر بالرئاسة شاكين من ان هذه المقتنيات بمثابة عهدة ، ولا يمكنهم نقلها او التفريط فيهـــا بمجرد أمر شفوى من حرم الرئيس .. — ولم تكن قد حملت لقب السيدة الاولى بعد — وكان وزير شئون رئاسة الجمهورية المختص هو سامى شرف الذى رفض واتصل بها معاتبا على مثل هذا الطلب، ولكنها واجهته بانفعال شديد ، وظلت التحف فى مكانها على الاقـل الى ما بعد مايو ١٩٧١ — وربما أضيف موقف سامى شرف هذا — الى مواقف اخرى ترسبت لديها من طريقة تعامل مراكز القوى مع حموحات حرم الرئيس التى ظهرت مبكرا جدا ولم يمض على توليه المسئولية أقل من شهر !

وليت الذين يكثرون من الحديث عن تحف ومجوهرات اسرة محمد على يتعرضون لجرد القصور الملكية القديمة لمعرفة ما بقى فيها ، وما ضاع منها واين ذهب .. ومن الذى استولى عليه ، ومتى ..

وان يمتد عملهم فى تقصى هذا الامر الى مجوهرات الاسرة المالكة التى رصدت وسجلت فى دفاتر وحفظت فى خزائن البنك المركزى ، هل عبث بها .. وهل طلب بعض منها بحجة تقديمـه كهدايا للملوك والرؤساء ، ومن الذى عبث بها اذا ثبت ان ذلك صحيح .. وذلك حتى توضع خاتمة لهذه القضية التى طال الحديث حولها .. والتى تشتتت فيها أصابع الاتهام .. وذلك قبل ان تضيع المسئولية ..

وينبغى ان نضيف الى ذلك الوقوف على التحف النادرة من اثار مصر التى خرجت من المتاحف بناء على خطابات رســـمية من الرياسة متسائلين هل يجوز هذا التصرف ، وهل وصلت التحف كلها الى الرؤساء الذين اهديت اليهم . خاصة وان بها حليا من الذهب والياقوت والزمرد وغيرها من الاحجار الكريمة لا يكتفى بقيمتها المادية بل تضاعفت مئات المرات بقيمتها التاريخية .

● تجارة السيدة الاولى :

ان التنقيب فى ثروة السيدة الاولى السابقة عملية صعبة .. ذلك ان الشائعات كثيرة .. وكثيرة جداً .. وقد أكد الشائعات قــول المرحوم ذات مرة انه لا يجد غضاضة فى أن تقوم زوجته بالتجارة لان السيدة خديجة زوجة الرسول الكريم كانت تقوم بالتجارة .

اى أن السيدة جيهان كانت تاجرة ، والتجارة فى ذلك الزمن بالنسبة للصعاليك كانت مصدر ملايين فماذا يكون شأنها بالنسبة لعلية القوم وسادتهم ..

ولم توضح السيدة جيهان التجارة التى تقوم بها ، ولا ارباحها منها ، الا أن تكون تجارة خاسرة .. وفى هذه الحالة أيضا كان ينبغى عليها ، أمانة ـــ أن تقدم اقرارا ضريبيا عن أعمالها ، ورأس المال الذى استثمرته ، وحجم خسارتها !!

وتنفى السيدة الاولى والاخيرة دائما أنها ثرية ، وتدعى انهــا تقوم بالقاء المحاضرات لتحصل على نفقات حياتها .. اى انها تأكل من عمل يدها .. ويقول حسن عزت فى مذكراته أنها تملك ضيعة فى كاليفورنيا ، وأنه سيظل وراءها حى يحصل على نصيب زوجتـــه الاولى وأولادها منه تكفيرا عما ارتكبه فى حقهم عندما عرف أنور بجيهـــــان ..

• مافيا شقيق المرحوم :

اننا ونحن نتخبط فى الظلام باحثين عن ممتلكات السيدة الأولى والاخيرة نجد امامنا من القرائن ما يمكن ان يؤكد انها كانت سيدة اعمال .. وذلك من كلمات زوجها المرحوم نفسه الذى صرح فى أكثر من مناسبة ان زوجته سيدة أعمال وانها تعمل بالتجارة ، وأنه منعها من التعامل مع الحكومة أو القطاع العام ..

وهذه التصريحات القاطعة تعطى الدليل الذى لا يحتمل النفى او التكذيب الى جانب قرائن أخرى ويأتي فى مقدمتها قضية عصمت السادات شقيق المرحوم ، وكانت محكمة القيم برئاسة المستشار احمد رفعت خفاجي قد قالت فى حكمها الشهير الذى ادان عصمت واولاده بالاستغلال ان مجموع الاموال المملوكة لعصمت واولاده هى مائة وخمسة ملاين وستمائة واربعون الفا وثمانمائة وتسعة جنيهات و ٦٨٠ مليما ..

وقالت بالنص فى حيثيات الحكم « ان عصمت السادات وأولاده الاربعة الآخرين ــ وهم السادات محمد عصمت محمد السادات وشهرته جلال ويتخذ اسما آخر « الساداتى أحمد عصمت محمد الساداتى » وطلعت أحمد عصمت محمد السادات ومحمد أنور احمد عصمت السادات ونادية أحمد عصمت أحمد السادات ــ رغم صغر اعمارهم وعدم خبرتهم ــ انتهزوا جميعا صلة القربى التى ترتطهم برئيس الجمهورية السابق وأخذوا يعيثون فى الارض فسادا دون وازع من ضمير ودون رقيب أو حسيب ، فاقتحموا عددا كبيرا من القطاعات مخالفين اللوائح والنظم الادارية متجرين بالنفوذ لدى بعض كبار المسئولين مستغلين فيهم انحرافهم أو ضعفهم وتهالكهم على مناصبهم ، عارضين خدماتهم على أصحاب البيوت الصناعية والتجارية فى خارج البلاد استعمالا لنفوذهم بصفة كبيرهم المدعى عليه الأول الشقيق الأصغر لرئيس الجمهورية السابق وأولاده باقى

المدعى عليهم لتمثيل مصالحهم ولو كانت غير مشروعة وتقديم تسهيلات لهم عند تعاملهم فى مصر على حساب المصلحة العامة ولو كان فى ذلك اضرار بالمال العام وبقوت الشعب وبسمعة مصر فى الخارج ، هادفين من ذلك الى الاثراء غير المشروع وتكوين ثروات طفيلية ، زاعمين أن احدا لن يستطيع أن يمسهم لالتصاقهم الشديد برئيس الدولة السابق والصلة التى تربطهم به ، واهمين ان مصر ضيعة تركها لهم اباؤهم وهم لها وارثون .

فانقلبوا كالثعالب الضالة يتصيدون ضحاياهم ويمتصون دماءهم ويخربون اقتصاد مصر ويلتهمون من خيراته ويفسدون الحياة السياسية فى البلاد ، لاهم لهم الا السطو والنهب وجمع المال والاستيلاء على الغنائم ، مسلحين بالجشع والانانية وحب الذات ، متخذين الحيلة والنصب والوساطة والرشوة وفرض الاتاوات بالارهاب والتهديد ركابا الى اثمهم وعدوانهم بغرض الكسب السريع، دون أكتراث بأحكام القانون ودون النظر الى انهم بذلك يخرجون على مبادىء القيم ويخالفون ابسط قواعد الاخلاق ، ذلك انهم نفوس لهثت الثراء قد داست بأقدامها كل القيم الانسانية والانسان أيضا، مما يصدق عليهم ويحق انهم عصابة المافيا التى ظهرت فى مصر ونشرت فسادها فى ارجاء البلاد وفى الوقت الذى يعيش فيه افراد الشعب تحت وطأة الحاجة ظلت هذه الفئة الطفيلية تسرح وتموج دون رادع الى أن استطاعت بوسائلها الخبيثة تكوين ثروات طائلة تقدر بالملايين من الجنيهات بالنسبة لكل واحد منهم . كل ذلك بعد ان انقضوا على كل هو محرم فارتكبوا من الافعال الضارة بالمجتمع مالا عين رات ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر، اذ تخشبت قلوبهم ، وتكلست ضمائرهم ، ولم يرحموا مصر وهى تشكو وتئن من اقتصاد مرهق يعيش أغلب الناس فيه تحت حد الفقر ، ومعتقدين انهم بمنأى عن مخالب القانون وانيابه وانهم أسياد مصر وفوق المحاسبة ومتناسين أن الله يمهل ولا يهمل وان يوم الحساب لا ريب فيه « فسطوة القانون قائمة ولا احد فوق المساءلة

ولا احد فوق القانون وشرعية النظام القائم على الطهارة ونظافة اليد وسلامة المسلك نافذة للضرب على رأس كل منحرف ومستغل وللقضاء على كل معتد اثيم » .

« وآية ذلك ما اسفرت عنه الاستدلالات وكشفت عنه التحقيقات من أن المدعى عليهم لم يتركوا مجالا من المجالات ولم يرحموا قطاعا من القطاعات الا واستغلوا نفوذهم فيه للاثراء الحرام ، اذا كان اخوات المرحوم فعلوا ذلك بشهادة رسمية هى نص حكم محكمة القيم التى حاكمتهم ، فماذا تكون قد فعلت زوجة الرئيس التى كانت تعمل بالتجارة على حد اعترافه .. وهؤلاء لم يكن احد يعرف عنهم انهم يعملون بالتجارة مثلها . ولم يكنوا من السلطات والنفوذ والحياه مثلهـــا » .

● شقيق السيدة جيهان :

على أن فى قضية عصمت السادات جانبا آخر عن السيدة جيهان بشكل مباشر ، عندما وقف جلال السادات فى قفص الاتهام يتساءل عن سبب عدم محاكمة شقيق جيهان على صفوت رؤف وقد كان شريكا له فى بعض الصفقات المشبوهة .

ولم تكن المحكمة مخولة بمحاكمته ، لانه لم يقدم اليها .. ولو كانت مخولة بذلك لوجدت فى اوراق قضية عصمت السادات المودعة امامها وقائع تمس شقيق أرملة الرئيس السيدة جيهان ..

والقضية ترويها وقائع الاوراق التى عرضت على محكمة القيم اثناء محاكمة عصمت السادات . . . الاوراق عبارة عن مذكرات تقدم بها مأمور قسم الهرم السابق العقيد عبد العال شطا . الى الرئيس بنفسه يروى وقائع استغلال مشتركة قام كل من عصمت السادات وعلى رءوف صفوت شقيق جيهان وفى البداية ارســـل عبد العال شطا الى المدعى العام الاشتراكى يروى قصته عندما كان مأمورا لقسم الهرم ووجد ان السيدين عصـــمت وعـــلى

رءوف يتدخلان فى أعمال الشرطة بالقسم وأنهما قاما بالاستيلاء على محاجر الزلط والرمل المملوكة للدولة على طـــريق مصر اسكندرية الصحراوى ، فحرر بذلك محاضر فى الشرطة ، وبدأت مضايقتهما له ..

« وكان على رءوف يحضر للقسم يقوم بتهديدى حماية للذين اعتدوا على أراضى الدولة حتى لا ازيل للتعديات ، بل لقد بلــغ الامر ان مواطنا اسمه محمد فؤاد كان بينه وبين آخر نزاع على ملكية قطعة أرض فتدخل فيها السيد على رءوف وكتب على شكواه بخط يده عبارة .. تبين من حرياتى صحة الشكوى » !

وعند ذلك حاول الخصوم الاعتــداء على شــقيق حــرم الرئيس لتدخله فى الشكاوى لصالح الاخرين وقام سعد أحمد حسن بضربه « بساطور » من الحديد الا أن النيابة رأت حفظ القضية حتى لا تتسرب الاخبار وقالت أن المعتدى كان سكرانا ..

ولنترك المذكرة الرسمية التى قدمها مأمور قسم الهرم الى المرحوم اثناء عمله فى القسم .. وهى تروى جانبا من انحرافات شقيق الرئيس وشقيق حرمه ..

● قام على رءوف بمصاحبة عصمت السادات ومكنه من وضع يده على محجر من الرمال بطريق مصر اسكندرية / ١٦ واحضر له الكثير من العمال وانشأ مكتبا لهذا الغرض سماه « المكتب الفنى للانشاءات » دون تصريح بذلك من ادارة المناجم والمحاجر — فى الوقت الذى كان هذا المحجر مخصصا لشركة الطوب الرملى وحرر بذلك المحضر ٣٤٣ ادارى الهرم ١٩٧٤ ..

● قام المأمور بازالة جميع التعديات الواقعة عــلى املاك الدولة بطريق مصر اسكندرية الصحراوى ، وقد تدخل السيد / على رءوف تدخلا سافرا لعدم التنفيذ وذهب لقسم الهرم عدة مرات مع المغتصبين للأراضى من الشخصيات الهامة وقد تم تحرير المحاضر

رقم ٣٠٥ لسنة ١٩٧٤ ادارى قسم الهرم ٦٢٥ لسنة ١٩٧٣ قسم الهرم (أدارى) .

وارسل التقرير السرى رقم ١٦ سرى شخصى للسيد مدير أمن الجيزة فى ١٩٧٤/٢/٢٠ ولكن على رءوف ومن معه هددوا المامور بنقله من قسم الاهرام وكذلك نقل محافظ الجيزة .

● قام محمود الجبيلى تاجر اسمنت بالاستيلاء على كميات من الاسمنت عن طريق تزوير بعض التوقيعات .

وكان يعاونه ابراهيم عبد الرحمن ابراهيم رئيس مطبعة محافظة الجيزة وتم ضبط محمود الجبيلى فى الجناية رقم ٢٤٦ لسنة ١٩٧٤ جنايات قسم الهرم .

● شهد الشهود العديدون بأنه كان يأخذ كميات الاسمنت بأوراق مزورة ــ ليقوم بالبناء بجزء منها ويبيع الباقى فى السوق السوداء ــ وتحرر عن ذلك المحضر رقم ١٥٥٢ لسنة ١٩٧٣ ادارى الهرم أيضا ــ وقدمته النيابة العامة لمحكمة الجنايات .

ثم قام السيد ضابط مباحث قسم الاهرام بضبط التاجر المذكور للمرة الثانية فى المحضر رقم ١٩٧٤/٢٤٢ ادارى الهرم ــ وهو يحوز كميات الاسمنت المخصصة للمجهود الحربى بالاسماعيلية .

تحرك التاجر يؤازره على رءوف زاعما انه دفع رشوة لضابط مباحث القسم لتوزيعها على العاملين بالقسم وصاحبه على رءوف فى تقديم شكواه للنيابة ــ ورافقه فى جميع تحركاته نظير اغداق المال الوفير له .

وانتهى التحقيق فى هذه الشكوى الكيدية التى قيدت برقم ٤١٦ لسنة ١٩٧٤ ــ ادارى الهرم الى الثناء على المأمور وتقدير سلامة الاجراءات من رئيس نيابة أمن الدولة والذى حفظ التحقيق لعدم صحة الشكوى ولكن على رءوف استطاع استصدار قرار بنقل مأمور الهرم المشاكس . .

● تاجر اسمنت اخر .. محمد فؤاد على بينه وبين اخرين نزاع على ملكية وحيازة قطعة ارض بشارع الاهرام وقام القسم بتحرير المحضر رقم ٤٣٧ لسنة ١٩٧٤ ادارى الهرم — وتم القبض على التاجر محمد فؤاد على وتم وعرض الامر على النيابة ..

وتدخل على رعوف واصطحب تاجر الاسمنت المذكور ومعه شكوى كتابية يتهم فيها السيد ضابط مباحث القسم بأنه سيمكن الاطراف الاخرى من أرض النزاع — واثبت السيد/على رعوف بخط يده على الشكوى عبارة (تبين من تحرياتى صحة الشكوى) .

وأكبر دليل على استغلال على رعوف هو قيـــام الاطراف الاخرى بمحاولة قتله « محضر رقم ٤٤٣ ادارى الهرم سنة ١٩٧٤» اذ خرج عليه احد اصحاب هذه الارض وهو سعد أحمد حســن بساطور من الحديد من مكان خربيشارع الهرم محاولا قتلــه وتجمعت الاهالى والشرطة — واقتيد الجميع الى قسم الاهرام ومعهم الساطور — وتحرر المحضر ثم عرض على النيابة العامــة حيث تبين للنيابة حقيقة الامر فاتصلت بالمسئولين فى وزارة العدل حيث رأوا سترا للفضائح قيد الحادث برقم مخالفة ضد المتهـــم باعتبار أنه كان مخمورا وهو يحاول قتل على رعوف وقيد المحضر برقم (٦٣ لسنة ١٩٧٤ مخالفات قسم الهرم) .

● قام على رعوف بالاتفاق مع السيدة (مـــدام هانو) وهى تقيم بقصر كبير بطريق مصر اسكندرية الصحراوى بدائرة قســم الهرم على أغتصاب قطعة ارض — مملوكة للمقدم على ماهر البيلى نظير انتفاعة ماديا من ذلك .

وحررت له عقد ملكية لقطعة ارض زراعية بزمــــام حدائق الاهرام وهو عقد صورى وتوجه للقسم بطلب مســـــاعدته فى استلام الارض ، وتبين انها مملوكة للمقدم على ماهر البيلى — الذى علم بالامر وشكاه للسيد رئيس الجمهورية فتراجع على رعوف

عن العقد الصورى (المحضر رقم ٦٧٢ لسنة ١٩٧٢ ادارى الهرم) .

● قام على رعوف بالانتقال لقسم الاهرام فى المحضر رقم ٧١٦ ادارى قسم الاهرام سنه ١٩٧٣ لمقابلة رئيس الشئون القانونية بالقسم ومناشدته معاونة فـــــاروق مدنى القصـــــاص فى تمكينه من متجر مملوك لقاصر ويعد للاستغلال لحســـاب القاصر فكلف رئيس الشئون القانونية بالقسم احد الضباط حديثى التخرج بتنفيذ كل ما يشير به على رعوف وتم ذلك فعد .

● طلب وكيله بناء على طلب السيد / عـــــلى رعوف ان يسمح لاحد الاهالى ببناء سور على قطعة ارض يمتلكهـــا اخرون ويجاور هذه المنطقة احد السادة المستشارين .

وطرد الوكيل من القسم ونهرته ، وافهم ان يبلغ الســـــيد على رعوف انه لو عاد لذلك ـــ سيرفع المأمور الامر للسيد رئيس الجمهورية وسمع الحديث وعملية طرده من القسم بعض الاهالى الذين صادف وجودهم بالقسم .

● هذا وقد استولى على رعوف على مبلغ خمسين جنيها من الجندى حسين ابو المعاطى من قوة قسم الاهرام ليعمل على الغاء نقله من قسم الاهرام لفرق الامن بعد أن صدر قرار نقله فذهب اليه الجندى المذكور وسلمه المبلغ ليتوسط لدى بعض المســئولين بمديرية الامن لالغاء هذا النقل .

ولما لم يتم ذلك ذهب الجندى المذكور وزوجته عند منزل على رعوف ودارت منقاشة حامية أمام باب منزله فأسرع وسلم زوجة الجندى ثلاثين جنيها ـــ ووعدها بسداد العشرين جنيهـــا فى وقت قريب .

● شكوى من الشقيق :

المهم ان الانحرافات كثيرة يندى لها الجبين . سجلت فى وقت مبكر من حكم المرحوم ، وأن مأمور الهرم الذى تصدى لانحرافات

شقيق حرم الرئيس قد نقل من قسم الهرم مخالفة لقوانين ولوائح رجال الشرطة .

وعندما نقل من موقعه كتب مذكرة ثانية للرئيس صـــورة منها فى ملف قضية عصمت السادات تناول فيها أيضـــا شقيق حرم الرئيس وأرفق صورا من المكافآت والاوســـمة التى حصل عليها لاجتهاده فى عمله ولكن أحدا لم يستمع الى شكواه ، فاستقال وذهب للاقامة والعمل فى المملكة العربية السعودية .

● من أين لك هذا ؟

هل كان شقيق حرم الرئيس يفعل ذلك كله خفية ، ومن وراء الستار ولا يعرف عنه الرئيس أو زوجته شيئا ، فضلا عن ان ذلك أمر غير مقبول فان السيد على رعوف قد أصبح عضوا فى مجلس الشعب تترشيح من المرحوم أو من ارملته . وكان واحدا من المتحـــدثين باسم الشعب المدافعين عنه ، الذين يشرعون القوانين ، ويراقبون أعمال السلطة التنفيذية ولا نريد ان نخوض كثيرا فى الحديث عن شقيق أرملة المرحوم وثروته ، وأعماله فتلك أمور قد تخرجنا عن الموضوع الاصلى وأن كان قريبا منه ..

على أن فى ذلك كله بعض الدلالات والقرائن ، على مجتمع عائلة الرئيس بمعناه الواسع .. الزوج .. واشقائه .. والزوجة واشقائها ..

ومجتمع عائلة نهمة .. الى السلطة .. والمال الذى كدسوه بعد ان جمع البعض منه بطريق غير مشروع بشهادة حكم قضائى .. !

وتنشر أخيرا احدى المجلات العربية أن السيدة جيهان تعتزم الهجرة من مصر والاقامة فى الولايات المتحدة الامريكية ، وأنها بدأت تصفى ممتلكاتها ، فعرضت للبيع ثلاث شاليهات فخمة تملكها عـــلى شاطىء المنتزه بالاسكندرية ، وخمسة عشر فدانا عن أجود الاراضى

الزراعية فى ميت أبو الكوم وكذلك فيلا مكونة من اربعة طوابق تضم حديقة كبيرة ، قد اثثت بسخاء كبير !!

واذا كان السادات قد كتب بنفسه قصة حياته ، وكيف كان يعيش هو واسرته تحت خط الفقر ـــ كما قال بالنص ـــ يكون من حقنا ان نتساءل كيف حصل على هذه الثروة هو والسيدة الاولى .. وهل مرتب رئيس الجمهورية ، ومرتبه من الوظائف التى تولاها من قبل على فرض أن مرتبه حوله كله الى مدخرات يمكن أن يحقق كل ذلك اذا تغاضيا عن شقق الابن ، والبنات فى العمارات على النيل .. وهى تمليك أيضا !!

● تساؤلات حول الثروة :

وفى النهاية لابد أن نطرح عددا من التساؤلات التى تدور على السنة الناس ، ولعل فى نفيها ما يؤكد طهارة ذمة السيدة الاولى والاخيرة خاصة وأن بعضها نشرته صحف الخارج والبعض الاخر تردد فى مصر مثل ميزانية المصاريف السرية وهى بالملايين نصفها بالعملات الاجنبية ، وأموال الدعم العربى التى اثير لغط كبير حولها فى الخارج ، خاصة بعد أن كان المرحوم قد نسى المليون جنيـــه المحولة من الشيخ خليفة باسمه الى أحد البنوك المصرية على نحو ما ذكر هو فى خطاب ، ثم التبرعات والمجوهرات المهداه من السلطان قابوس .. ثم تبرعات الوفاء والامل .. واموالها هـــــــذه هى تساؤلات الناس .. وكذلك ما نشرته الصحف الاجنبية فى محاولة للنيل من سمعة السيد الاولى والاخيرة ، نريد منها توضيحا لما نشر حول مجوهرات قيمتها ٩ ملايين فى بلجيكا .. وفيروزه أهداها لها الشاه عندما قدم مطرودا ليقيم فى القاهرة ، وقد احسن استقباله وفاء لما قدمه لمصر ـــ ! ـــ !

أما أرض أمريكا التى قيل أنها جاءت عن طريق روكلفر ، وارض المانيا التىجاءت عن طريق عثمان أحمد عثمان، فاننا لا يجب أن نصدق

سريعا مثل هذه الاشاعات ، لان نفيها سهل ، واثباتها صعب .. ان من يريد أن يشترى ارضا ، أو يضع أموالا فى الخارج يصعب كشفه خاصة وأن الشراء يمكن أن يتم عن طريق شركـــات .. وشركات متعددة الجنسيات لذلك فنحن لا نميل الى تصـــديق الشائعات .. فقط نريد توضيحا ، واقرارا للذمة المالية توضح حجم الهدايا والمجوهرات ، ومصادرها .. وأين ذهبت !

ونريد أيضا ان نتساءل عن سيف من الذهب الخالص اغلب الظن انه أخذ من متحف الفن الاسلامى ، وسلم للمرحوم بواسطة وزير الثقافة يوسف السباعى بحضور رشاد رشدى فى احتفال « عيد الفن » على مرأى ومسمع من الناس الذين رادا السيف وسمعوا انه اثرى ومن الذهب وغير ذلك من الهدايا الذهبية ..

ونحن نعرف ان الحديث عن الذمة شائك .. ويحيط به كثيرا من المحظورات لذلك فلن نخوض فيه كثيرا فى انتظار توضيح .. وأيضا فى انتظار الايام الكفيلة بكشف كل الحقائق لها .. أو عليها

بطلة الســـلام ·· ومبادرة « السلام »!

ترك الناس الامور الكبيرة .. وظلوا يرددون المسائل غير الهامة ..

وهذه المسائل نفسها التى ترددت حتى أثناء محاكمة الذين قتلوا السادات ..

قبلة كارتر للسيدة الاولى والاخيـــرة قبلة بيجين لسيدة مصر المسلمة وزوجة رئيسها .. مراقصتها لبيجين أو كارتر .. ثم حديثها لمجلة « البلاى جيرل » .. حيث صور الرجال الجنســـية العارية .. وكيف انها علمت السادات ان ينام وهو مرتدى الجورب .. بعد أن كان ينام عارى القدمين وغيرها من الامور التى لا ترقى فى الاهمية مستوى ما قامت به السيد الاولى .. وعلى الاخص فى الامور السياسية الكبرى ·· فيماسمى بمبادرة السلام مثلا ·

● مبادرة الســـــلام :

سأل الكاتب الاسرائيلى يورى أفنيرى رئيس تحرير « هاعولام هازيه» السيدة جيهان عن معنى كلمة جيهان فاكتفت بأن قالت « انه اسم فارسى .. وابنتى التى تبلغ من العمر عشرين عاما ، وقد احتفلت بعيد ميلادها يوم ٢٧ نوفمبر الماضى قالت لى : اذا رزقت بمولودة فسوف اسميها « جيهان » ان لدينا .. جيهانات .. كثيرة فى المنزل .. فقلت لابنتى .. اننا نسعى الى السلام .. فلماذا تسمينها جيهان .. ولكنها فضلت ان تختار اسمى انا .. جيهان .. وابنتى جيهان .. وحفيدتى جيهان .. ثم ان ابنـــة شقيقتى أيضا اسمها جيهان .. وهى تعيش معنا فى المنزل .

وهكذا تبدو جيهان .. فارسية الاسم .. انجليزية الام تركية الاب .. مسلمة الزوج والعقيدة مما يذكرنا قصة الملكة شجرة الدر ..

واشارتها الى بناء السلام لكاتب اسرائيلى تعنى انهـــا كانت تريد لابنتها أن تسمى المولودة « سلام » اشارة لا يخفى مغزاها ..

ولم يعرف بعد دور « أم الابطال » فى الصلح المنفرد مع العدو الصهيونى .. ولكن هناك اشارات تدل على انهـــا لعبت دورا مؤثرا فى هذه القضية .

ولم يعد مقبولا قولها انها فوجئت باعلان الـــــرئيس من استعداده للقيام برحلة الى القدس .. قالت السيدة جيهـــان : « اننى لم أكن فى المنزل فى ذلك المساء ، لقد كنت اتعشى مع بعض صديقاتى .. وعندما عدت الى المنزل وجدت ابنتى الصـــغرى جيهان تقول لى : ماما .. هل تعلمين ان بابا ذاهب الى اسرائيل .. وكانت تشعر بالقلق على والدها فقلت لها : هل تمزحين ..

وعندما رايت الرئيس السادات جالسا سألته : هل هـــذه حقيقة ، فأجاب : نعم .. وصدقنى لا استطيع ان أشرح لك الهدوء الذى شعرت به .. اننى لم أكن مثل سائر النساء اللاتى فى سنى ! قلت له ان هذا هو افضل شىء قلته طوال حياتك .. وهل تعنى حقا ما تقول يا أنور .. فأجاب : بالطبع نعم .. الا تعرفين يا جيهان اننى اعنى ما أقوله أيا كان .. فعدت اساله : هـــــل سيبعث اليك الاسرائيليون بدعوة ؟

قال : نعم سوف احصل على دعوة ، فقلت : انك سوف تلقى معارضة شديدة حتى هنا فى مصر .. فقال : اعرف ذلك .. واستطردت تقول : عند هذا الحد قلت للرئيس السادات : اننى اريد السلام ، وليس السلام فقط هو ما اريد .. أن المسألـــة أكبر من ذلك أننى اعتقد اننا يجب أن نبنى بلدنا أيضا .

والحقيقة ان كلمات السيدة جيهان هى من قبيل تحسين الصورة .. فهى لم تكن بعيدة عما يجري حتى تفاجأ بعد عودتها من حفل العشاء .. وأيضا عندما اعلن السادات عن استعداده للذهاب الى آخر الدنيا حتى الى الكنيست الاسرائيلي للحفاظ على دماء ابنائى ، كان ذلك فى جلسة مجلس الشعب فى الساعة الحادية عشرة صباح يوم ٨ نوفمبر ١٩٧٧ فلم يكن الاعلان اذن ليلا حتى تعرفه عقب عودتها من حفل عشاء . وقد اتضح ان هذا الاعلان ، كان بمثابة عملية الاخراج التى كان السادات يبحث دائما عنها لاعلان المسائل الكبرى .. فلم تجىء هذه الكلمات اعتباطا ، أو بناء على الهام ، وهو يعبر بحر البلطيق محلقا فى الطائرة كما قال اكثر من مرة ، وكما ذكر فى كتابه البحث عن الذات ..

كانت هذه الزيارة مخططة ، ونوقشت اثناء رحلته الى رومانيا ، وكانت السيدة جيهان ، واولادها يصحبونه فى هذه الرحلة .. كما كانوا يصحبونه الى كامب ديفيد .. ولذلك فقد رد على زوجته يوم خطابه فى مجلس الشعب قائلا ان الاسرائيلين سيرسلون له دعوة .. أى انه كان يعرف ان دعوة فى الطريق له بعد هذه الكلمات المتفق عليها ..

ويقول محمد ابراهيم كامل وزير الخارجية الاسبق الذى استقال لعدم موافقته على اتفاقيات كامب ديفيد انه عقب تعيينه وزيرا للخارجية شرح له قصة المبادرة فقد « خطرت له فكرة زيارة اسرائيل ، والالتقاء بالاسرائيليين فى مواجهة مباشرة وعرض السلام عليهم ، وتذكر أن الرئيس الرومانى شاوشيسكو كثيرا ما اقترح عليه أهمية المفاوضات المباشرة مع اسرائيل للخروج من الدائرة المغلقة التى التزمها العرب من البداية ، فما كان منه الا ان قام بزيارة شاوشيسكو لسؤاله عن شخصية مناحيم بيجين وهل هو رجل قوى وقادر على تحقيق السلام ، فلما اكد له شاوشيسكو ذلك عزم امره على الذهاب الى القدس والقيام بمبادرته .

ويقول محمد ابراهيم كامل انه ذهب مع الرئيس الى رومانيا فى يوليو عام ١٩٧٨ ، وطلب الى الرئيس أن يتفاوض مع اسرائيل فى العريش بدلا من لندن ولكنه اعترض حتى لا تكون المفاوضات على أرض مصر أو اسرائيل حرصا على مشاعر الدول العربية التى كانت تطالب باعلان وقف الاتصال المباشر بين مصر واسرائيل وحتى تفسح المجال أمام مهمة لجنة التضامن العربى برئاسة نميرى « اننى افضل أن اشنق على أن أذهب الى العريش لاتفاوض مع الاسرائيليين على ارضى وتحت العلم الاسرائيلى وفى حراسة القوات الاسرائيلية المحتلة » ويبدو أن رفض محمد ابراهيم كامل لم يعجب السادات فذهب لينام وبقيت وحدى مع السيدة جيهان السادات التى دعتنى الى تناول الغداء معها ، وكانت تكن لى بعض التقدير منذ زيارتها الاولى الى المانيا الغربية فى عام ١٩٧٤ — وقت أن كنت سفيرا بها — وقد كانت زيارة ناجحة للغاية وتركت شخصية السيدة جيهان السادات اثرا طيبا باقيا فى نفوس كل من قابلتهم من المسئولين وفى نفوس الشعب الالمانى عامة » .

وفى اثناء الغداء قالت لى : بالله يا محمد بك لا تترك الرئيس وحده عند مقابلته لشيمون بيريز فى فيينا . فقلت : الحقيقة اننى محرج .. ورويت لها ما ذكره لى الرئيس السادات عندما أبلغنى بعدوله عن سفرى معه الى النمسا منذ ايام باعتبار ان المقابلات التى ستجرى فيها غير رسمية وانها على المستوى الحزبى ، ولن يحضرها وزراء خارجية وانى لم اعلم بتغيير هذا القرار الا فى الساعة السادسة والنصف من صباح هذا اليوم نفسه » ..

فقالت : لا لا ارجو الا تتركه وحده اطلاقا مع هؤلاء الجماعة، فان الاسرائيليين فى غاية الخبث والدهاء والرئيس رجل صريح وما فى قلبه على لسانه وسيعمدون حتما الى الافادة من ذلك واستغلاله ، وقلت ولماذا لا تطلبين منه انت ذلك ؟ قالت : لا استطيع فهو يغضب اذا حدثته فى شئون العمل ، وهو يحبك

ويثق فيك ولن يمانع فى حضورك معه اذا طلبت انت منه ذلك، وقلت سأحاول ..

وانتهى الغداء وشكرتها واستأذنتها فى الانصراف وعدت الى مقعدى فى الطائرة الا أن حديثها ظل يرن فى اذنى ويدور فى فكرى، ترى ما الذى دعاها الى ما قالته لى ؟

انها سيدة ذكية قوية الملاحظة وهى قريبة منه ، ثم ان لديها من الكبرياء ما يحول دون افصاحها عن ملاحظاتها ومشاعرها ، ولكنها تعلم ان العلاقة بينى وبين زوجها تعود الى اكثر من ثلاثين عاما وانها تستطيع ان تثق فى ... لماذا هى قلقة ؟ لابد انهـــــــا لاحظت شيئاا ما على السادات ؛ ربما انه لم يعد يعالج الامور بما تقتضيه مسئولياته الخطيرة من دراسة وتبصر ، ربما شـــــعرت ان الغرور قد اصابه وأنه تجاوز مراحل الحذر ، ربما أنه يسرف التفاؤل ولم يعد يحفل برأى غيره ، وربما وربما .. ولكن شيئا ما دفعها الى ما قالته لى . ومر براسى خاطر ، ترى هل كانت السيدة جيهان وراء عدول السادات عن قراره بعدم أصطحابى معه الى النمسا وقراره فى آخر لحظة بأن اسافر معه ؟

وهكذا يصف محمد أبراهيم كامل تدخل السيدةجيهان فى السياسة .. الى حد انها كانت وراء سفر وزير الخارجية مـــــع الرئيس فى رحلته بعد ان كان الرئيس قد اخطر الـــــوزير انه لن يسافر معه .

فهل لـــم تكن السيدة جيهان تعلم بما سمى مبادرة الســـادات وفوجئت بها ذات مساء على لسان ابنتها جيهان ، ولم تصدق ؟ أم انه نوع « أيضا من الاخراج الذى يدل على شــــجاعة الرئيس » واسلوبه فى الصدمات الكهربائية » .

● **شهادة اسماعيل فهمى :**

وزير الخارجية المستقيل يوم زيارة السادات للقـــــدس اسماعيل فهمى يروى قصة هذه الزيارة وما دار حولها ، وكيف

انها لم تكن ابدا مفاجأة ، وان المناقشة حولها قد استغرقت اياما فى جلسات متعددة فى عدد من العواصم ، وبعد ذلك عرضها السادات على مجلس الامن القومى على طريقته باسلوب عرضى فى نهاية الاجتماع .

وكان الاعلان عن هذه الزيارة ايضا قد تم ــ كما قلنا ــ بطريقة عرضية فى مجلس الشعب وفى جملة عرضية فى خطاب طويل ، وبلغ من شدة حرص السادات على الاخراج ان أمر بحذف هذا الجزء من الخطاب عند نشره فى الصحف ، اكتفاء بأن المراسلين الاجانب سوف يطيرونه الى الخارج ، والى ان الجميع قد سمعوه عند اذاعة الخطاب على الهواء ، اى ان الرسالة قد وصلت الى المقصودين بها .

كما كانت دعوة ياسر عرفات لحضور اجتماع مجلس الشعب وارسال طائرة حربية خاصة لاحضاره يدل على شدة التدبير ، ليكون الاعلان فى مواجهة رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بما يحمله ذلك من معان على المستوى الداخلى ، والعربى ، والاسرائيلى ، وهو الاهم فى ذلك الوقت ، حيث كان هو المقصود بهذه الرسالة التى تقال فى جملة عرضية يلتقطها العدو ليوجه الدعوة .. وتبدأ اجراءات الصلح المنفرد بعد ذلك ..

تؤكد شهادة اسماعيل فهمى فى مذكراته كل هذه المعانى ، بما يجزم ان السيدة جيهان التى كانت تدير السياسة كانت على علم بالمبادرة ، ولانريد ان نزيد على ذلك لانه لم تتوفر لدينا معلومات بعد .. يروى اسماعيل فهمى قصة هذه الزيارة قائلا : « كان واضحا ان الاسرائيليين يفضلون مفاوضات ثنائية ، بالرغم من تعهدهم كتابة بالاشتراك فى مؤتمر جنيف ، كما ظهرت بعض الدلالات عند نهاية الصيف على انهم يودون اتصالات مباشرة مع الرئيس السادات ، غير انه لم يكن هناك اى سبب للاعتقاد بنجاحهم فى منع انعقاد مؤتمر جنيف .

« فالاشارة الاولى بأن شيئا ما يدور فى خلد الاسرائيليين جاءت عندما وصلتنى فجأة برقيات من سفارتنا فى النمسا وواشنطن ولندن تذكر ان عددا من القادة الصهيونيين العالميين عبروا عن رغبتهم فى تدبير اجتماع سرى بالرئيس السادات .. وقد بدا انه بعيد الاحتمال ان يكون وصول جميع هذه الرغبات فى نفس الوقت محض صدفة ، غير أن المعنى لم يكن واضحا . ونقلت هذه الرغبات الى الرئيس السادات وانا فى حيرة من امرها ، ثم اضفت بأنه فى رأيى : الا يسمح لهؤلاء الافراد بالحضور الى مصر لانهم صهيونيون معروفون، وان اسماءهم على قائمة المقاطعة العربية . كما انى اوضحت ان ردا ايجابيا لهذه الرغبات سوف يخلق رد فعل مضاد فى العـــــالم العربى .. فوافق ، واعطيت التعليمات الى سفاراتنا الثلاث لتعبر عن اسفنا بأن الرئيس السادات لا يستطيع الموافقة على مقابلة هذه الشخصيات .. هل اوعز بيجين الى هؤلاء القادة الصهيونيين بالسعى الى مقابلة السادات حتى يستطيع الاقتراح بعقد اجتماع بينه وبين السادات ؟ .. مازلت لا ادرى !! .. ومهما كان من أمر فانه ما كدنا نرفض هذه الرغبات حتى نقل الينا الملك الحسن رغبة بيجين فى الاجتماع بالسادات ومن المحتمل أن يكون بيجين قد اتجه نحو الملك الحسن بعد ان اخفقت محاولته الاولى لخلق اتصال بالصهيونيين .

وقد ترك موقف السادات اسئلة كثيرة دون رد ، فهو لم يظهر أى مقاومة اساسية عندما نصحته بعدم مقابلة الصهيونيين . غير انه .. وبعد اسابيع قليلة قبل اقتراح بيجين بالاتصـــــال المباشر وارسل التهامى الى الرباط .. وقد اختار السادات الا يبلغنى رسالة بيجين ورده عليها ، وكانت هذه هى المرة الاولى التى أمتنع فيها السادات عن وضعى فى الصورة ، ولعله اتخذ هذا القرار لعلمه بمعارضتى لهذا التحرك .

تركت القاهرة مع الرئيس السادات فى نهاية شهر اكتوبر

فى طريقنا الى رومانيا وايران والسعودية .. ووصلنا الى بوخارست فى الثامن والعشرين من أكتوبر وقابلنا الرئيس شاوشيسكو وغيره من القادة الرومانيين فور وصولنا ، ثم توجهنا الى « سيناء » وهى قرية تبعد حوالى مائة كيلو متر من العاصمة الرومانية .. وكان لهذه القرية الرومانية جاذبية رومانسية خاصة عند الرئيس السادات ، فقد سميت باسم سيناء المصرية . كذلك لانها كانت منتجعا مليئا بالخضرة ولكن واسفاه فالماساة التى مزقت جهود السلام بدأت فى سيناء ..

وفى اليوم التالى لوصولنا الى « سيناء » اخبرنى السادات بالتفصيل عن اجتماعه بالرئيس الرومانى شاوشيسكو .. فقد اراد شاوشيسكو كما اخبرنى السادات ان يكون همزة وصل بين مصر واسرائيل .. وفى واقع الامر : انه كان قد قابل بيجين ، ثم دعا السادات بعد محادثاته مع رئيس الوزراء الاسرائيلى وكان بيجين طبقا لكلام شاوشيسكو مصمما بجدية على اتمام معاهدة سلام مع مصر . ان بيجين رجل قوى وجاد اذا ما رغب فى العمل. هكذا ادعى شاوشيسكو .. كما اطلع بيجين الرئيس الرومانى على خطط للسلام فى الشرق الاوسط بخرائط كتب عليها جميع اسماء المدن والمساحات بالعبرية .

« كان واضحا ان بيغن اشار الى استعداده لتوقيع معاهدات سلام مع البلاد العربية ، كما طالب شاوشيسكو بالسعى لمعرفة رد فعل السادات بالنسبة الى حل المشكلة الفلسطينية .. كانت اسرائيل تقترح خلق كيان فلسطينى صغير فى مقابل ضم الضفة الغربية وقطاع غزة ضما نهائيا الى اسرائيل على ان يكون الكيان الفلسطينى نفس مساحة غزة ، غير انه يبدأ من حدود لبنان متجها نحو الجنوب موازيا للبحر الابيض المتوسط وبعد ان استمع السادات الى هذا العرض الاسرائيلى الغريب سأل الرئيس شاوشيسكو عما اذا كان عنده « مسطرة » حتى يستطعا القياس على الخريطة ، مدى امتداد هذا الكيان الفلسطينى من جنوب

الحدود اللبنانية ، ومقارنته بقطاع غزة .. غير انـــه لم يكن عند شاوشيسكو « مسطرة » وهنا قال الرئيس السادات اننا فى مصر عندما لانجد «مسطرة »فاننا نستعمل قطعة من « الدوبار » ونحاول ان نقارن المقاييس على الخريطة ووجد شاوشيسكو قطعة مـن الدوبار وبالمقارنة ادرك السادات انه . اما ان بيغن قد جن واما ان عرضه غير جاد .. فقد كانت المساحة المقترحة ضئيلة جدا .. وعندما نقل الى الرئيس السادات هذه التفصيلات باجمعها . اجبته بأن بيغن غير جاد ، وان هدفه لاشك هو ضـم الضفد الغربية وقطاع غزة ، ثم اضفت . انه لا حاجة لنا بمناقشة عـــرض بيغن مــع الفلسطينيين لعلمنا بانهم سيرفضونه بأكمله .

« وكان ، واضــحا ان بيغن لم يكـن مخلصا وان ما عناه فى الحقيقة هو عدم موافقة على دولة فلسطينية مسـتقلة تحت اى ظرف ، وان ما ينويه هو ضم غزة والضفة الغربية ووافقنى الرئيس السادات على تقديرى لنوايا بيغن الحقيقية .. وخاصة ان عرض بيغن كان ركيكا مهلهلا غير ان السـادات فى نفس الوقت وفجاة ابلغنى بفكرته الجديدة بالذهاب الى القدس .

« كنا فى قصر الضيافة فى « سيناء » عندما بدأ الرئيس السادات وهو مازال فى ملابس النوم يناقشنى هذه الفكرة .. لم نكن نطير فوق تركيا متجهين الى ايران او نعبر الجبال كما قال السادات فى مناسبات عدة وكما كتب فى كتابه « البحث عن الذات » كل ما فى الامر انه اراد تغليف مبادرته المزعومة بهالة من الغموض . كل هذا الحديث لاصحة له مطلقا فان السادات لم يفكر فى الذهاب الى القدس بينما كان يطير بين السحب فوق تركيا او بعد ما ترك الرياض فى طـريقه الى القاهـرة .. لقد فكر فى المشروع خلال وجـوده فى « سيناء » وتناقش معى عن عرض اسرائيلى واضـح الانحراف ينقصه حسن النية ايضا .

عندما انتهى الرئيس السادات من اخبارى عن محادثاته مع

الرئيس شاوشيسكو وخطة بيغن مصر وغيرها من البلاد العربية من الناحية العسكرية فاننا لن نستطيع ان نهدف الى انتصار عسكرى .. فوافقنى ، وهنا اضفت قائلا : لو انا ركبنا طائرة وذهبنا بها الى القدس ، فهذا عمل ينطوى تلقائيا على الاعتراف باسرائيل وانهاء حالة الحرب .. فنحن نلعب بكارتين اساسيين فى السياسة دون أن نجنى أى شىء . فالمكسب كله يعود لمصلحة اسرائيل ، كما تتضاعف قوتهم فى المساومة ، كذلك فاننا سنثير ثائرة العرب والفلسطينيين ، كما اننا لن نستطيع التقهقر اذا ما ذهبنا الى القدس ، ولن يكون هناك مجال لنكث العهد يا سيادة الرئيس ، بل اننا سنكون فى مركز حرج يمنعنا من المناورة ، لنكره اسرائيل على الوصول الى حل شامل .

استمع الى السادات بيقظة وبكل اناة وصبر ، ولكنه كان متوترا وعندما حضر فجأة جمال ، ابنه الوحيد ، الى الغرفة ونحن على انفراد : صرخ فيه غاضبا وطلب منه الخروج من الغرفة .. ثم اجاب الرئيس : بانه يوافقنى تمام الموافقة ، غير انه يعتقد ان رأيه هذا قد يفضح نوايا اسرائيل الحقيقية ، اجبته قائلا :

« ولكن هذا فى رأيى لا يمكن أن يؤسس هدفا اساسيا ، كما انه لن يؤدى الى السلام الذى نعمل جميعا من اجله .

« واستمرات المناقشة بينى وبين السادات ما يقرب من ثمانى ساعات دون توقف .

وفى اليوم التالى ركبنا الطائرة متجهين الى ايران ومن ايران اتجهنا نحو الرياض حيث مكثنا يومين .

« وكان على السادات ان يلقى خطابا هاما فى مجلس الشعب

وكان على السادات أن يلقى خطابا هاما فى مجلس الشعب .. ولاول مرة دعى عرفات من مجلس الشعب للحضور وقبل الدعوة فأرسلنا اليه طائرة حربية تحمله الى القاهرة ، والغريب :

كانت هذه المناسبة هى المناسبة التى إختارها السادات ليعلن عن استعداده للذهاب الى القدس .

كان المفروض أن يلقى السادات فى المجلس خطابا مكتوبا ، غير انه على اتم الاستعداد للذهاب الى أى مكان فى العالم حتى الى القدس ويلقى كلمة موجهة الى الكنيست لو ساعد هذا على انقاذ دم أبنائه ، وصدم ياسر عرفات وتساءل « ما معنى هذا الكلام ؟! هل يتعمد السادات هذا القول فى حضـــورى .. هل دعوتمونى الى القاهرة لاسمع هذا الكلام » واكدت له أنه لم يكن هناكأى خطة لذلك ، وأن هذه زلة لسان ، ولكنى شخصيا لم أكن متأكدا .

وقد اضطربت بشدة لان السادات لم يعط أى انذار مسبق بانه قد يشير فى خطابه الى احتمـــال الذهاب الى القـــدس ، ولو بطريقة عرضية .. غير أن أعضاء المجلس والشعب المصرى كذلك لم يتصورا ان كلمة السادات يجب أن تفسر تفســـيرا حرفيا ، ولم يعن الهتاف الذى قابل هذا الاعلان ان اعضاء المجلس وافقوا على فكرته فى الذهاب الى القدس ،أو اعتقدوا أنه ينوى الذهاب فعلا ، كل ما فى الامر انهم انفعلوا بقول الرئيس عندما أعلن اســـتعداده للذهاب الى أى مكان فى العالم لينقذ دماء ابنائه متمشـــــيا مع قول مصرى شعبى « بأن الانسان المصرى مستعد دائما للذهاب الى نهاية العالم ليحصل على شىء ما » قليل جدا من الافراد شك فى أن بيان الســـادات لم يكن الا نوعا من البلاغة .. وكان ياسر عرفات واحدا منهم ، وكان الآخر الفريق الجمسى وزير الدفاع الذى همس فى اذنى قائلا « لقد أعادها مرة ثانية » .

« وملاحظة الفريق الجمسى تستدعى شـــيئا من التفسير .. فبعد عودتنا من بوخارست وطهران والرياض دعـــا الســـادات مجلس الامن القـــومى المصرى فى الخـــامس من نوفمبر ليعطيهم ملخصا عن رحلته .. وابتدا السادات ببيان عام عن الزيارات وخص بالتفصيل محادثاته مع الرئيس شاوشيسكو شارحا عـــرض

وجهة نظر بيجن حـــول كيان فلسطينى ، وفى النهاية وبطـــريقة عرضية .. كأنه يشير الى ممثلى الشـــعب المصرى قائلا : انى مستعد للذهاب الى القدس والقاء خطاب فى الكنيست لو كان فى هذا انقاذ لدم أبنائى .

« وتبع البيان سكوت تام ، والظاهر ان احدا لم ياخذه ماخـــذ الجد . ولم يسترسل السادات فى فكرة الذهاب الى القدس ، ولعل ذلك يعود الى عدم اتخاذه القرار النهائى أو لانه كالعادة لا يريد منحنا فرصة للتعليق او المناقشة لما يقول وتبدد هــذا السكون بالفريق الجمسى الذى رفع يديه فجأة وصرخ قائلا « الكنيســت كلا .. الكنيست كلا .. هذا غير ضرورى » والجمسى عادة رجل نظام فهو لا يتدخل فى الحديث دون استئذان السادات ولكنه هذه المرة كان مضطربا خوفا من أن يعنى السادات ما يقول .. ومرة أخرى عاد السكوت شديدا فى الاجتماع ولم ينطق احــد بكلمــة واستمر السادات يناقش مسائل أخرى كأنه لم يسمع الجمسى على الاطلاق .

« وذهب السادات واعضاء الوزارة الى ردهة الاستراحة بعد القاء الخطاب فى مجلس الشـــعب ، ونادانى هنـــاك أمام الجميع صارخا : « هذه زلة لسان ، أرجو يا اسماعيل أن تمنعها الرقابة منعا باتا » فأمرت فورا بحذف الجملة الخاصة برحلة القــدس ، والكنيست من خطاب السادات ، وبناء على ذلك لم يظهر فى صحف الحكومة فى اليوم التالى أى اشارة اليها غير أن المراسلين الاجانب الذين حضروا مجلس الشـــعب أبرزوا هــــذه الفقرة بالذات فى برقياتهم » .

الفكرة اذن لم تكن مفاجئة .. ولا يمكن ان السيدة الاولى التى كانت ترافقه فى رحلته الى رومانيا قد فوجئت بها .

فقد اتضح من شهادة السيد اسماعيل فهمى ان هدف زيارة

رومانيا كان التحدث مع شاوشيسكو فى امر هذه الزيارة .
ودخل ابنه جمال اثناء الحوار ولكن السادات أبعـــده ..
وحاول وزير خارجيته ان يثنيه عن هذه الزيارة فى لقاء أستمر ثمانى ساعات ولكنه نفذ ما استقر عليه رأيه وحده .

فهل بعد ذلك كله يمكن ان نتصور ان الزيارة كانت مفاجئة على نحو ما رددت السيدة جيهان فى حديثها للتليفزيون الاسرائيلى وهو الحديث الذى يكشف كثيرا من ارائها حول اسـ ائيل ، وان الفكرة كانت قديمة والاتصالات بدأت بها .

● اتصـــــالات قديمة :

تقول السيدة جيهان انها بدأت منذ فترة مبكرة اتصالاتهــــا باسرائيل .. فمنذ فترة طويلة قمت بارسال خطاب لام الاسرائيلية فقدت ابنها الجندى فى الحرب .. فى البداية بعثت الى هـــذه الام برسالة ، وصدقنى كنت متأثرة للغاية لاننى أحسست باحاسيسها ، لم أكن لاهتم بجنسيتها .. برغم كل الظروف ، ولابد انك تذكر ان هذا الوقت كان من اصعب اوقات الحرب . فلم يكن قد تم التوصــل الى وقف اطلاق النار بعد .. ووصلتنى رسالة الام الاسرائيلية قبل وقف اطلاق النار فعلا . وقد بعثت برد قصير عليها . وكنت قد اتصلت بوزير الحربية ــ أحمد اسماعيل ــ وطلبت منه تقـــديم المساعدة فى البحث عن جثة هذا الجندى . وبذل وزير الحربية كل ما فى وسعه . وكانت هناك جثة لجندى اسرائيلى آخر بالاضافة الى جثة ابن صاحبة الرسالة . وقد ابلغنى وزير الحـــربية انه تم العثور على جثة الجندى الآخر .. فى حين لم يعثر لجثة الجنــدى الاول على أثر يذكر ..

بعد ذلك كتبت رسالة تلك الام .. كتبتها بكل احساسى .. وكانت جميع صديقاتى قد نصحتنى بأن هـــــذا ليس هو الوقت المناسب . وان على أن اسأل زوجى أولا . وان الناس هنا يحبونك

ولكنهم لم يحبوا هذا العمل .. أو انه عمل غير مناسب على الاقل. لكننى وضعت نفسى مكان هذه المرأة الاسرائيلية . وتساءلت : ماذا سيكون شعورى لو اننى فقدت ابنى ؟

وعندما ذهبت الى الرئيس السادات . واخبرته بقصة الرسالة الى الام الاسرائيلية . نصحنى بالتريث .. ليس الان . التريث افضل، فقلت ولكننى ارسلت الرسالة بالفعل . فقال : لـــماذا اذن جئت تطلبى النصيحة ؟..

اننى اعتقد ان كل شخص يجب ان يكون « انسانيا » وصدقنى كان هذا ولا يزال هو شعورى .

وفيما بعد بعثت برسالة اخرى الى طالب اسرائيلى .. ردا على رسالة منه .. ومع ذلك لم تكن الرسائل هى كل شىء .. فذات يوم سمعت من احدى صديقاتى أن اليهود فى مصر يتعرضون لمصاعب عندئذ طلبت استدعاء الحاخام لمقابلتى .

وعندما اتصلوا به احس بالاضطراب .. وكان رده هو : أنه لم يرتكب اى خطأ . وطلب فسحة من الوقت لكى يستدعى محاميه. فابلغوه اننى اريد مقابلته فقط .. لكنه رد قائلا : ولكننى لم اطلب شيئا ، ثم سألهم : هل هذا هو مقر اقامة الرئيس ؟.

وعندما قالوا له نعم . طلب منهم رقم التليفون ليعاود الاتصال بنفسه للتأكد من ان الامر ليس « مقلبا » لانه لم يكن يصدق ذلك ..

واود ان اقص عليك ما حدث فى منزلى . لقد ذهبت الى زوجى وبلغته ان اليهود يعانون فى بلدنا . وانهم فقراء جدا . وقلت انهم مواطنون مصريون .

عندئذ قال الرئيس : اننى مسئول عن كل فرد فى هذا البلد .

واستدعينا الحاخام مرة اخرى . فجاء لمقابلتنا . وفى هـــذه المرة تقابل مع أولادى . وقد سألته : لماذا انت مضطرب ؟

فأجاب : اننى لم أكن استطيع ان اصدق عندما ابلغونى انك تريدين مقابلتى . اننا لا نعانى من الفقر . فقلت له لا تخف اى شىء. اننا جميعا مصريون . اننا اسرة واحدة . ومرة اخرى عـاد يقول اننا لا نعانى من أى شىء .. ولكنه طلب رقم تليفونى .. قائـلا انه سيتصل بى عندما يحتاجون الى أى شىء ، وقد اتصل بى فيما بعد بالفعل ، وابلغنى ان هناك بعض المتاعب بالنسبة لمقابر اليهود.

اننا جميعا ادميون .. سواء كنا يهودا ، أو مسيحيين ، أو مسلمين ، اننا جميعا اسرة واحدة .. ونستطيع ان نعيش حياة طيبة .

« ان نساء اسرائيل لديهن نفس رغبتنا فى السلام · وانهن قدمن تحيات حارة لزوجى وانه قد تأثر بذلك جدا . ولكن ما ننتظره من السلطات الاسرائيلية هو ان تفعل نفس الشىء بالنسبة لشعبنا اننى اعتقد ان الجميع فى اسرائيل وفى مصر وفى سائر المنطقة العربيـة ينتظرون ، ويريدون ان يروا رد اسرائيل على الرئيس السادات ..

وفى الحقيقة فاننى اعتقد ان المرأة الاسرائيلية عـلى نفس المستوى . وانها تدفع من أجل السلام الاسرائيلى على مستوى ما فعله الرئيس السادات . انك تعرف اننا نريد العيش فى سلام . اننا تقبلنا وجود اسرائيل كحقيقة واود ان اقول لكم اننى قلت ذلك اثناء الحرب عندما كنت منهمكة مع جنودنا . ففى احد المستشفيات قال بعض جنودنا الجرحى .. ارجو ان تكون مقابلتنا القادمة فى تل ابيب. وعندئذ قلت لهم : لا . اذا كنتم تريدون تحيتى فدعونا نتقابـل فى سيناء .. وليس فى تل ابيب لان تل ابيب هى بلدهم . وصدقنى .. ان هذا كان مفهومى اثناء الحرب وبعدها لانى كنت اريد ان يعـرف جنودنا حقيقة الامور أن ما نريده هو السلام وقد اصبحت اسرائيل حقيقة واقعة .. ولا يوجد من يذكر ذلك .. اننا لم نعد نفكر بالطريقة القديمة .. لقد اصبحنا عمليين فى ظل حكم الرئيس السـادات : فاصبحنا نرى ان اسرائيل حقيقة واقعة .. وما نريده هو الارض

العربية . وما يريده الفلسطينيون هو وطن لهم . انهم أدميون يريدون وطنا . ودعنا جميعا نعيش فى سلام فى هذه المنطقة . اننا أبناء عمومة ..

لماذا نشن الحروب ضد بعضنا البعض ؟! .. لقد عشنا هنا طويلا مع اليهود فى الماضى . ونحن لا نريد الا السلام .

الرئيس السادات رجل سلام .. انه خلال حرب اكتوبر وعندما شعرنا ان مصر وصلت الى القمة ، قال السادات لقد وصلنا الى القمة ، وذهب الى البرلمان لالقاء خطابه وهناك وقف وقال اننى امد يدى للسلام . وفيما بعد قام الرئيس باعادة فتح قناة السويس . وترك سكان الاسماعيلية والسويس يعودون الى بيوتهم وكان هناك قدر كبير من المعارضة لهذه الاجراءات وكان المعارضون يقولون ان هذا ليس هو الوقت المناسب ولكنه قال اننى افعل ذلك من أجل السلام ، انه يعرف ماذا يفعل انه يعمل من أجل السلام .
— على فكرة : ان لدى سكرتيرة اصيب زوجها فى سماء « مصر » وقد بترت ساقه هنا فى مصر ، وطلب منا ان نبحث عن الطبيب الذى انقذ حياته لنقدم له الشكر .
اما عن العرب والفلسطينيين فأنا اعتقد انهم سيقتفون اثرنا. اننا ندرك ذلك فعندما وقعنا الاتفاق الاول للفصل بين القوات كانوا يعارضون ويهاجمون ، ولكن فيما بعد اقتفوا اثرنا . وربما يكون لديهم نفس مشاعركم . فماذا اذن عن امنهم ؟ ماذا عن وطنهم ؟ انهم ادميون ، ودعنا لا ننظر الى الوراء ولكن فلننظر الى الامام ، ولنبدأ صفحة جديدة فى حياتنا لان النظر الى الوراء سوف يجعلنا فى ضيق مما حدث منكم وما حدث من الفلسطينيين اذ أن لكل شخص وجهة نظره الخاصة ولذلك دعنا نتطلع الى السلام من اجلنا جميعا .
لم اذهب مع الرئيس لاسرائيل لان ابنتى كانت تنتظر مولودا . ولكى اكون صادقة فانه يجب أن يذهب وحده وان يواجه العالم وحده ، فهذا قدره . وتلك رسالته .

ان هذه الرحلة كانت رحلته ، ولو انى كنت قد ذهبت معــــه فانني لا اعتقد ان هذا كان سيضيف شيئا الى هذه القضية .

ولكن فيما بعد سوف اذهب الى اسرائيل بالطبع الا ان ذلك لن يكون قبل الصيف على اية حال ، ان لدى اشياء يجب ان تنتهى انني سوف اتخرج فى الجامعة فى الاسبوع القادم .

ان ابنتى تبلغ العشرين من عمرها . وقد احتفلت بعيد ميلادها فى المستشفى فى ٢٢ نوفمبر الماضى ، ويومها قالت لى اذا رزقت بمولودة أنثى فسوف نسميها جيهان ، ثم توقفت وتابعت حديثهـــا : ان لدينا ، جيهانات ، كثيرة فى الاسرة . أنا جيهان .. وابنتى جيهان، وحفيدتى أيضا جيهان .. وهذا كثير .. ثم ان ابنة شقيقى أيضا اسمها جيهان ، وهى تعيش معنا ، اننا اذن « ٤ جيهانات » فى المنزل، ثم عادت الى حديثها الاول قائلة :

لقد قلت لابنتى اننا نسعى من أجل السلام لماذا لا تسميهــــا « سلام » ولكنها فضلت ان تختار لها نفس اسمى ..

● ســــيدة السلام :

يكشف حديث السيدة جيهان مع أورى افنيرى والــذى اذاعه التليفزيون الاسرائيلى عن افكار السيدة جيهان بالنسبة للصـــلح المنفرد مع اسرائيل ، واتصالاتها المبكرة بالام الاسرائيليـــة ، ثــم دعوتها الحاخام اليهود لبحث مشاكلهم .. ثم رأيها فى انسانية اليهود وان اسرائيل حقيقة واقعة واننا عشنا هنا طويلا مـــع اليهــود فى الماضى ، ولا نريد الا السلام .. فنحن جميعا أدميون سواء كنـــا يهودا أو مسيحيين أو مسلمين .. أسرة واحدة .. وغـــير ذلك من الاراء الكثيرة التى تحتاج الى مناقشة .. مما يكشف رأيها فى الصلح مع العدو ، ورؤيتها للصراع العربى الاسرائيلى .

هل كان للسيدة جيهان دور وراء زيارة السادات للقــدس ، يميل بعض المحللين الى تجسيم هذا الدور ، ولكن ليس لدينا ما يؤيد ذلك اكثر من كلماتها ، التى ربما تعطى هذا المعنى . أو لا تعطيه .

وتبقى الحقيقة الواضحة فى كل ذلك .. هو ان جيهان قد استثمرت السلام .. وذهبت لاسرائيل اكثر من مرة .. وكــونت صداقات هناك ودافعت عنها فيما بعد الصحافة الاسرائيلية ، التــى كانت تنفرد بنشر اخبارها بعد اغتيال زوجها .

فكلما اطلق عليها اثناء الحرب اســم « أم الابطال » ..

وكما اطلق عليها بعد الحرب اسم « أم الشهداء » ..

الآن .. اصبحت جيهان تعرف باسم سيدة « السلام » ..

فيما يشبه المهرجان الفنى الكبير احتفل ابناء اكاديمية الفنون بالهرم وعلى رأسهم هيئات التدريس بمعاهدها المختلفة بتقديم درع الفنون والسلام « للسيدة جيهان السادات » تعبيرا عن امتنانهم العميق لجهودها المخلصة من اجل ازدهار الفنون ودعم خطـوات السلام ..

وفى قاعة سيد درويش .. قدم لها الدكتور رشاد رشدى مدير اكاديمية الفنون بحضور السيد يوسف السباعى وزير الثقافــة والاعلام درع الفنون والسلام .. وهى درع من الفضة محفــور عليها علم جمهورية مصر العربية وشعارها مع الكلمـــات الآتية : « درع الفنون والسلام لسيدة مصر الاولى جيهان السادات » ، هدية اكاديمية الفنون تقديرا لجهودها الخلاقة من أجــــل مصر والفن والسلام » .

تحدث يوسف السباعى وزير الثقافة والاعلام عن الدور العظيم الذى قامت به سيدة مصر الاولى رمز الوفاء والامل التى عاشــت

طوال ايام المعركة تحمل فى كل خطوة تخطوها البسمة والبلسم لكل من وهب مصر قطرة من دمه الزكى ..

ولقد كان التاثر الشديد باديا طوال الوقت على وجه السيدة جيهان السادات .. فهى فى تواضعها الجم تعتبر أن كل ما تقدمه ما هو الا واجب ودين عليها لمصر ..

وجاءت كلمتها التى القتها فى الحفل اضافة اخرى الى قداسة المحراب الذى تلقت فيه رمز التقدير .

ولعل فى ربط الدرع التى قدمت لها بالفن والسلام .. تأكيدا على اهمية الدور الذى تلعبه الفنون فى تدعيم السلام . باعتبارها لغة تخاطب دولية راقية .. ومؤثرة . تستحق كل الاهتمام .. علاوة على انه تعبير رمزى عن الدور الذى تقوم به السيدة ذات القلب الكبير التى اسرت قلوب الشعب المصرى كما تسميها الصحف والمجلات الاجنبية من اجل تدعيم السلام العالمى .

حتى انهم اطلقوا عليها « سيدة السلام » ..

● ثم يسدل الستار :

وهكذا تنتهى قصة السيدة جيهان .. أم الابطال .. وام الشداء وصانعة السلام .. وام المصريين .. السيدة الأولى والاخيرة فى مصر ..

فهل كان الذين يميلون الى تشبهيها بالملكة شجرة الدر على حق .. والى أى حد كانت رؤيتهم صحيحة .

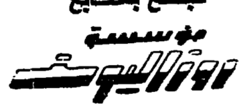
أن قصة السيدة جيهان لم تنته يوم المنصة التى غادرتها فــور علمها بمقتل زوجها الى منزلها لتجرى اتصالات ، وتقــــوم ببعض الاعمال قبل زيارة خاطفة للمستشفى .

لم تنته القصة بعد .. فمازال فيها الكثير .. والكثير جدا .. ولعل هناك من يكشف الجزء الباقى من حياتها .

كتب المؤلف

● الشارع الطويل	دار الشعب	نفــذ
● النــاصرية	دار الشعب	نفــذ
● حكايات عن عبد الناصر	دار الشعب	نفــذ
● منبحــة القضاء	دار مدبولي	نفــذ
● معركة المخابرات الامريكية	المركز الثقافى الجامعى	نفــذ
● تجربة عثمان	دار الموقف العربى	٥ طبعات نفذ
● حكايات عن عبد الناصر	دار الوطن العربى	نفــذ
● النــاصرية	دار الوطن العربى	نفــذ
● عبد الناصر والاخوان المسلمون	دار الموقف العربى	نفــذ
● قضية عصمت الســادات محــاكمة عصر		نفــذ
● صلاح نصر يتذكر		
● انقلاب ١٥ مايو	دار الموقف العربى	طبعة أولى
● انقلاب ١٥ مايو	دار الموقف العربى	طبعة ثانية « نفذ »
● عبد الناصر وعامر		
● سيدة مصر الاولي والاخيرة		

رقم الايداع
٥٣٩٥ / ٨٥



جيهان سيدة مصر الأولى والأخيرة

هذا الكتاب هو أول كتاب يصدر عن السيدة جيهان صفوت رءوف .. الشهيرة باسم جيهان السادات والتى يرى البعض أن هناك أوجه للمقارنة بينها ، وبين الملكة شجرة الدر التى حكمت مصر ، وقتلت زوجها ..

والكتاب يتعرض لهذه المقارنة وهو يروى قصة السيدة جيهان فى السياسة والحكم ، وفى حياة السادات منذ ما قبل الثورة حتى حادث المنصة مرورا بانقلاب مايو ، وما سمى بمبادرة السلام .. كما يتعرض الكتاب لالتحاق أم الابطال بالجامعة وحصولها على الماجستير .. ويتحدث المؤلف عن زواج ، بناتها وعن جيهان كزوجة للأب .

ويحاول الكتاب أن يجيب على كثير من التساؤلات حول ثروة سيدة مصر الأولى والاخيرة ، وكل ذلك من خلال شهادة المعاصرين ، واعادة لقراءة الاوراق التى عرفها الناس ، وضاعت فى محاولات ضجيج الاعلام الموجه لتنصيب جيهان كسيدة اولى للعالم أجمع ، ولخلق صورة جماهيرية لها يثبت الكتاب أنها بعيدة عن الحقيقة .



مطابع روزاليوسف